

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي يسر وأعان، وهياً لهذا الدين رجالاً وهبوا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة دين الله -جلّ وعلا-، تعلمًا وتعليمًا، وهذا من فضل ربي وعنايته بأمة القرآن، أن يسر لها من يبصرها بدينها الذي بعثت من أجله الرسل، وأنزلت من أجله الكتب ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

فعلى العباد الشكر لله بما هو أهله، والثناء عليه بما يستحقه من المحامد والآلاء. ونصلي ونسلم على نبينا وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبد الله خير داعٍ إلى الله بالهدى والبيّنات، وعلى صحبه الأطهار، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم المآب.

ثم أمّا بعد:

إنّه يجب على الأمة المحمدية أفرادًا وشعوبًا أن يوقروا علماءهم، ويعرفوا لأهل الفضل فضلهم؛ بما قدموا لهم من العلم الشرعي النافع الصافي الأصيل المنبثق من كتاب ربنا وصحيح سنة نبينا محمد ﷺ، وعلى رأس العلماء الموثوق بعلمهم وعدالتهم: أصحاب رسول الله ﷺ الذين عايشوا التنزيل، والذين رضعوا من معين النبوة القرآن والسنة منذ دخلوا في الإسلام؛ فهم أفضل الأمة دينًا، وأشدّهم به تمسكًا، وأغزرهم علمًا، وأقلّهم تكلفًا.

لذا زكاهم المولى -جلّ وعلا- في كتابه العزيز في أكثر من آية؛ إشادةً بهم، ورفعًا لمكانتهم، فاستحقوا من الله الرضا، لما قدّموا من جهادٍ في سبيله ونصرةٍ لدينه، حيث

اختارهم الله لصحبة رسوله، فأعطاهم الله فضل الصحبة والقربى، فرضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم.

وجاء من بعدهم التابعون وتابعوا التابعين، فسلخوا سبيلهم، وأموا منارهم، فعلياً أن نجلهم؛ فهم خير القرون بعد قرن الصحابة، كما قال ذلك النبي المصطفى ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(١) متفق عليه.

وهكذا كل من أتى من بعدهم من العلماء الربانيين الذين جعلوا من كتاب الله نوراً مبيناً، ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ هدياً قوياً، ومن نهج السلف الصالحين أسوة وقدوة لهم في الخير متبعين بذلك من سلف من هذه الأمة.

ومن العلماء الذين لا بد أن نعترف لهم بسابقتهم إلى الخير في هذا الزمن ومن الدعاة إلى الكتاب والسنة، ومن المرغبين في اتباع من سلف من الصحابة وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن المحذرين من الشرك والبدع والفجور والسيئات في بلادنا المملكة العربية السعودية، وبالأخص في المنطقة الجنوبية منها، وفي جازان أرض العلم والعلماء، وهم كثرة والله الحمد، ومنهم: فضيلة شيخنا ووالدنا الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي السني السلفي رَحِمَهُ اللهُ وأمثاله من علماء هذه البلاد الطيبة المباركة-.

وأنا في هذا المقام لا يسعني أن أذكر عن حياة شيخنا في هذه العجالة شيئاً سوى أنني سأذكر نبذة يسيرة عن حياة شيخنا العلمية، وذلك بعد ذكر ترجمة الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللهُ.

وسأحيل القراء الكرام في ذكر شيء عن ترجمة شيخنا النجمي رَحِمَهُ اللهُ إلى من هو أعرف به مني ألا وهو تلميذه النجيب الدكتور الشيخ محمد بن هادي المدخلي المدرس

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه في كتاب الشهادات باب لا يشهد على جور إذا شهد، وأخرجه أيضاً الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة رَحِمَهُ اللهُ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

بالجامعة الإسلامية حاليًا، والذي ترجم لشيخنا بترجمة جيدة في كتاب شيخنا الموقر أحمد النجمي والمسمّى باسم (المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال) والذي قام بتحقيقه والتعليق عليه بعد أن عزى الآيات المذكورة في كتاب شيخنا النجمي إلى مظانها من سور القرآن، وخرّج الأحاديث والآثار إلى مصادرها من كتب السنة والأثر؛ فجزاه الله خيرًا على هذا الجهد المبارك.

وعلى ذلك فمن أراد أن يعرف شيئًا عن حياة شيخنا فليرجع إلى هذا الكتاب ففيه ما يشفي ويكفي، ومن أحيل إلى مليء فليحتل. وإنني في هذه المقدمة أود أن أبين أن للشيخ أحمد النجمي جهودًا مشكورة في سبيل بذل العلم لذويه ومبتغيه.

وقد اعتنى شيخنا غاية الاعتناء رحمه الله بشرح كتب السنة منذ زمن ليس بالقصير، فكان له دروس في شرح صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وشرح أحاديث بلوغ المرام، وعمدة الأحكام، إلى غير ذلك من الكتب التي عني أصحابها فيها بتبصير العباد بسنة نبينهم محمد ﷺ وبمنهج السلف الصالح -رحمة الله عليهم جميعًا-.

ولا أنسى أن أذكر للشيخ أحمد بن يحيى النجمي جهودًا دعوية أخرى موفقة غير التأليف من إلقاء للمحاضرات، ومن المشاركة في الندوات واللقاءات، وهو أيضًا من الدعاة المشاركين سنويًا للدعوة في موسم الحج التي تُنظّمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

وقد نُصّبَ في السنوات الأخيرة للإفتاء في منطقة جازان؛ فهو الذي يقوم بالفتوى من زمن لا يقل عن خمس وعشرين سنة رحمه الله.

ويتميز شيخنا الفاضل في طريقة تدريسه بطريقته الجيدة التي تجعل المتعلم على يديه لا يضيّع ما تعلمه منه، وهي طريقة بعض السلف -رحمهم الله- ألا وهي طريقة الإماء على طلابه، وذلك في أغلب دروسه.

ومن ضمن الدروس التي ألقاها على طلابه بهذه الصفة درسه المسمّى بـ: «إرشاد

الساري إلى توضيح شرح السنة» لأبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري إمام أهل السنة والجماعة في عصره -رحمة الله عليه-.

فقد بدأ شيخنا في شرحه في أول يوم من أيام الدورة الصيفية، والمسماة بدورة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي العلمية الرابعة لعام ١٤١٩هـ المقامة في محافظة صامطة بجازان، وكنت من ضمن الطلاب المشاركين في هذه الدورة، ولم يتمكن فضيلته من إنهائه في هذه الدورة، وقد وعدني فضيلته أن يكمل شرح هذا الكتاب فيما بعد إن يسر الله له ذلك.

وقد وفى فضيلته بالوعد، وحرص أشد الحرص على مواصلة السير، وبذل جهده وطاقته، وضحى بوقته في سبيل أن يتم شرح هذا الكتاب الجليل ليحني أبناءه الطلبة فيها ثمرة جهده واجتهاده ويظفروا بما بذله لهم فيه من العلم النافع المأخوذ من كتاب ربهم، ومن صحيح سنة نبيهم ﷺ، ومن نهج سلفهم الصالح -رضي الله عنهم أجمعين-، فجزاه الله خيراً، وبارك في علمه وعمره لنصرة الحق وأهله.

وقد تم شرح هذا الكتاب المبارك في (٢٢ / ٧ / ١٤٢٢هـ) وقد وعدت الشيخ أحمد بأن أبدل قصارى جهدي في طباعته، وإخراجه للناس في أجمل صورة وأبهى حلة، ليستفيد منه طلبة العلم.

فقمتم في هذا الشرح الطيب المبارك بعزو الآيات إلى مظانها من السور، وبتخريج أحاديث هذا الشرح بشيء من الإيجاز والاختصار إلى مصادره من كتب السنة، وذلك بعد أن نقلت الحديث من أصله؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه من ذلك، وإن كان الحديث يوجد في غير الصحيحين خرّجته من غيرهما من أمهات السنة كالسنن الأربع وغيرها من كتب السنة، وبينت أقوال المحدثين في صحة الحديث وضعفه.

وقد اعتمدت كثيراً بعد الله ﷻ إلى تصحيح وتضعيف الإمام الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله، وذلك لغزارة علمه، وسعة اطلاعه، ولكثرة تأليفاته في هذا المجال، وكتابه سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة بمجلداتها المتتابعة خير شاهد على ذلك.

وقد قمت كذلك بتخريج الآثار الواردة عن السلف مما ذكره شيخنا في ثنايا شرحه لهذا الكتاب بشيء من الإيجاز والاختصار، فأذكر من قال هذا الأثر من الأئمة وأحيل إلى المصدر الذي ذكر فيه هذا الأثر بقدر الجهد والاستطاعة.

ولا أنسى هنا أن أبين بأني قد أرجع في تخريج الأحاديث والآثار عن السلف إلى ما قاله محققا شرح السنة أعني بهما: الشيخ القحطاني والشيخ الراددي - وفقهما الله لكل خير - وخاصة في تخرجهما لأحاديث وآثار المتن.

وأحياناً أحتاج إلى مساعدة بعض إخواني طلبة العلم ممن أعرفهم من طلبة شيخنا النجفي في تخريج بعض هذه الأحاديث والآثار، وقد أشرت إلى ذكر أسمائهم في الحاشية، فمهما يكن فالعبد قوي بإخوانه ضعيف بنفسه.

وإنني لأقول لمن شاركني في هذا البحث على التحقيق والتدقيق: أسأل الله لكم الأجر والثواب، ولكم مني ومن شيخي الشكر والثناء والدعاء، وأسأل الله أن يكتب ذلك في موازين حسناتكم.

وقد اعتمد شيخنا في شرح هذا المتن على النسخة التي قام بتحقيقها الشيخ محمد ابن سعيد بن سالم القحطاني.

ثم لما أوشك شيخنا النجفي على الانتهاء من شرح هذا المتن المبارك، وجدت طبعة أخرى بتحقيق الشيخ أبي ياسر خالد بن قاسم الراددي، وقد قارنت بين النسختين فوجدت اختلافاً كثيراً بينهما؛ ولصعوبة التغيير والتبديل أشرت في بعض المواضع إلى النسخة الجديدة بقولي: وفي نسخة الراددي كذا.. أو في طبعة أخرى كذا..

وأخيراً: أسأل الله أن يجزي شيخنا النجفي خير الجزاء، وأن يجمعنا به وبالصالحين من عباد الله في جنات عدن على سرر متقابلين، وأن يعيدنا جميعاً من النار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سطرها

تلميذه الفقير إلى رحمة ربه

حسن بن محمد بن منصور دغيري

ترجمة الماتن الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ

بناءً على طلب شيخنا أحمد بن يحيى النجفي رَحِمَهُ اللهُ أَنْ أكتب ترجمةً لصاحب المتن الإمام البرهاري لَبَّيْنَا الطَّلَبَ، واستعناً بالله في ذلك، واعتمدنا على ما ترجم به محققا هذا الكتاب الدكتور الشيخ محمد بن سعيد القحطاني، والشيخ خالد بن قاسم الراددي -حفظهما الله وهما للحق والصواب-، وما كتباه فيه غنيةً -إن شاء الله- عن البحث والتحقيق وفي الميسور بركة، والله المستعان.

اسمه، وكنيته، ونسبه:

هو الإمام الحافظ المتقن الثقة الفقيه المجاهد شيخ الحنابلة وكبيرهم في عصره أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البرهاري -بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة أيضاً، وفتح الباء الثانية أيضاً، والراء المهملة أيضاً بعد الهاء والألف-، وهذه نسبة^(١) إلى برهاري، وهي الأدوية التي تجلب من الهند.

موطنه، ونشأته:

قال الشيخ الراددي: «لم تذكر المصادر المتوفرة بين أيدينا شيئاً عن مولده ونشأته؛ لكن يبدو لي أنه بغدادي المولد والنشأة، وذلك لذيع صيته وشهرته فيها بين عامة الناس فضلاً عن خاصتهم، وقد صحب البرهاري جماعةً من أصحاب إمام أهل السنة والجماعة

(١) قال الشيخ الراددي: انظر في نسبته الأنساب للسمعاني (١/٣٠٧)، واللباب لابن كثير (١/١٣٣).

أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، وأخذ العلم عنهم، وجلَّهم بغداديون كما يأتي بيانه، وهذا مما يدل على أنه نشأ في وسطٍ علمي سني مما كان له كبير الأثر على شخصيته»^(١). انتهى.

وقال الشيخ القحطاني: فقد صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد منهم الإمام أحمد بن محمد أبو بكر المروزي صاحب الإمام أحمد، وأحد نجباء تلاميذه، وصحب أيضاً سهل بن عبد الله التستري، وروى عنه قوله: إن الله خلق الدنيا وجعل فيها جهلاً وعلماء، وأفضل العلم ما عمل به، والعلم كله حجة إلا ما عمل به، والعمل به بهاء إلا ما صحَّ، وما صحَّ فلست أقطع به إلا باستثناء ما شاء الله»^(٢). انتهى.

هيئته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه :

قال الشيخ الراددي: لقد كان الإمام البربهاري رَحِمَهُ اللهُ إماماً مهيباً قوَّالاً بالحق، داعيةً للسنة واتباع الأثر، له صيتٌ عند السلطان وجلالة، وكان مجلسه عامراً بحلق الحديث والأثر والفقهاء يحضره كثيرٌ من أئمة الحديث والفقهاء، قال أبو عبد الله الفقيه: إذا رأيت البغدادي يحب أبا الحسن بن بشار وأبا محمد البربهاري، فاعلم أنه صاحب سنة^(٣). انتهى.

قال الشيخ القحطاني: لقد ذكر المؤرخون قصةً تبين عظم مكانة هذا الإمام؛ فقد سرق القرامطة الحُجَّاج، فقام فقال: يا قوم من كان يحتاج إلى معاونة بمائة ألف دينار، ومائة ألف دينار ومائة ألف دينار خمس مرات عاونه. قال ابن بطة: لو أرادها معاونة لحصلها من الناس. انتهى.

قال الشيخ الراددي: وأما عن ثناء العلماء عليه فكثير: قال ابن أبي يعلى: ... شيخ الطائفة في وقته ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع والمباينة لهم باليد واللسان، وكان له صيتٌ عند السلطان وقدم عند الأصحاب، وكان أحد الأئمة العارفين والحفاظ للأصول

(١) قال الشيخ الراددي: انظر طبقات الحنابلة (٢/٦٤). اهـ.

(٢) قال الشيخ القحطاني: طبقات الحنابلة (٢/٤٣). اهـ.

(٣) قال الشيخ الراددي: انظر طبقات الحنابلة (٢/٥٨). اهـ.

المتقين والثقات المؤمنين.

وقال الذهبي في العبر: ...الفقيه القدوة شيخ الحنابلة بالعراق قالاً، وحالاً، وحالاً، وكان له صيتٌ عظيمٌ وحرمة تامة.

وقال ابن الجوزي: جمع العلم والزهد، وكان شديداً على أهل البدع.

وقال ابن كثير: العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ ... وكان شديداً على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر تعظمه الخاصة والعامة. انتهى.

وقال الشيخ القحطاني: ومما يدل على مكانته: أنَّ أبا عبد الله بن عرفة المعروف بِنَفْطَوِيَه لما مات في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة حضر جنازته أمثال أبناء الدنيا والدين، وقدم البرهاري لإمامة الناس، وفي هذه السنة ازدادت حشمة البرهاري، وعلت كلمته وظهر أصحابه وانتشروا في الإنكار على المبتدعة، فبلغنا أنَّ البرهاري اجتاز بالجانب الغربي فعطس فشمته أصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة وهو في روشنه^(١) فسأل عن الحال، فأخبر بها، فاستهولها^(٢). انتهى.

زهده وورعه :

قال الشيخ القحطاني: اشتهر البرهاري بالزهد في متاع الدنيا، زهد الذي يملك الدنيا ولكن يضعها في كفه، أمَّا حبُّ الله ورسوله وإعلاء الحق، ففي قلبه، ولذا ذكر المترجمون له أنَّه رَحِمَهُ اللهُ تنزه من ميراث أبيه عن سبعين ألف درهم^(٣). انتهى.

تلاميذه :

قال الشيخ الراددي: لقد أخذ العلم عن هذا الإمام عددٌ كبيرٌ من طلاب العلم واستفادوا منه، فقد كان رَحِمَهُ اللهُ قدوةً في حاله ومقاله، ومن هؤلاء التلاميذ:

(١) أي في بيته أو قصره.

(٢) قال الشيخ القحطاني: انظر طبقات الحنابلة (٢/ ٤٤). اهـ

(٣) قال الشيخ القحطاني: انظر طبقات الحنابلة (٢/ ٤٣). اهـ.

١- الإمام القدوة الفقيه أبو عبد الله بن عبيد الله بن محمد العكبري الشهير بابن بطة توفي في المحرم من سنة سبع وثمانين وثلثمائة^(١).

٢- والإمام القدوة الناطق بالحكمة محمد بن أحمد بن إسماعيل البغدادي أبو الحسين بن سمعون الواعظ صاحب الأحوال والمقامات توفي في نصف ذي القعدة من سنة سبع وثمانين وثلثمائة^(٢).

٣- أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة أبو بكر راوي هذا الكتاب عن المؤلف.

٤- محمد بن خلف بن عثمان أبو بكر، قال الخطيب: وكان فيما بلغني يظهر التقشف وحسن المذهب إلا أنه روى مناكير وأباطيل^(٣). انتهى.

بعض أقواله :

قال الشيخ القحطاني: يقول البربهاري: مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رؤوسهم وأيديهم في التراب، ويخرجون أذنانهم فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مخفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما أرادوا^(٤).

ومن أقواله النافعة: قوله: المجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة^(٥).

ومن شعره قوله:

من قنعت نفسه ببلغتها أضحي غنياً وظلّ ممتنعاً

(١) قال الشيخ الراددي: انظر ترجمته في العبر (١٧١ / ٢)، والسير (٥٢٩ / ١٦). اهـ

(٢) قال الشيخ الراددي: انظر ترجمته في العبر (١٧٢ / ٢)، والسير (٥٠٥ / ١٦). اهـ

(٣) قال الشيخ الراددي: انظر ترجمته في تاريخ بغداد (٢٢٥ / ٣)، والميزان (٢٨ / ٤). اهـ

(٤) قال الشيخ القحطاني: انظر المنهج الأحمد (٣٧ / ٣). اهـ

(٥) قال الشيخ القحطاني: انظر سير أعلام النبلاء (٩١ / ١٥)، والطبقات (٤٣ / ٢). اهـ

لله درُّ القنوع من خلقي كم من وضع به قد ارتفعنا
تضييق نفس الفتى إذا افتقرت ولو تعزَّى بربه اتسعا^(١)

مصنفاته :

قال الشيخ الراددي: ذكر المترجمون له أنَّ له مصنفات عديدة بيد أنَّي لم أظفر له بكتاب سوى هذا الكتاب. انتهى.

مجنته ووفاته :

قال الشيخ القحطاني: امتحن هذا الإمام كما امتحن الصالحون من قبله، فقد كانت المبتدعة تغيط قلب السلطان عليه؛ ففي سنة إحدى وعشرين وثلثمائة في خلافة القاهرة ووزيره بن مقله تقدَّم بالقبض على البرهاري، فاستتر، وقبض على جماعة من كبار أصحابه وحملوا إلى البصرة، فعاقب الله ابن مقله على فعله ذلك بأن أسخط الله عليه القاهرة بالله وهرب ابن مقله، وعزله القاهرة عن وزارته، وطرح في داره النار، ثم قبض على القاهرة بالله سنة ٣٢٢ هـ وحبس، وخلع من الخلافة، وسمره عيناه حتى سالتا جميعاً فعمي^(٢).

ثم جاء الخليفة الراضي، فلم تزل المبتدعة توحش قلب الراضي حتى نودي في بغداد ألا يجتمع من أصحاب البرهاري نفسان، فاستتروا، وكان ينزل بالجانب الغربي بباب محول فانتقل إلى الجانب الشرقي مستتراً فتوفي في الاستتار في رجب سنة ٣٢٩ هـ وله ست وتسعون سنة، وقيل بل عاش سبعا وسبعين سنة، وكان في آخر عمره قد تزوج بجارية^(٣). انتهى.

(١) قال الشيخ القحطاني: انظر الوافي بالوفيات (١٢/١٤٦). اهـ

(٢) قال الشيخ القحطاني: انظر الطبقات (٣٨/٢). اهـ

(٣) قال الشيخ القحطاني: انظر طبقات الحنابلة (٢/٤٤)، وسير أعلام النبلاء (٩٣/١٥)، والنهج الأحمد (٣٨/٢). اهـ

قال الشيخ الرادادي - حفظه الله - نقلاً عن ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة قال: حدثني محمد بن الحسن المقرئ قال: حكى لي جدي وجدتي قالا: كان أبو محمد البربهاري قد اختبأ عند أخت توزون بالجانب الشرقي في درب الحمام في شارع درب السلسلة فبقي نحوًا من شهر فلحقه قيام الدم فقالت أخت توزون لخدمها: مات البربهاري عندها مستترًا انظر من يغسله؟ فجاء بالغاسل فغسله، وغلق الباب حتى لا يعلم أحد، ووقف يصلي عليه وحده.

فطالعت صاحبة المنزل فرأت الدار ملأ رجالاً عليهم ثياب بيض وخضر، فلما سلم لم تر أحدًا، فاستدعت الخادم، وقالت يا حجام: أهلكني مع أخي. فقال: يا ستي ما رأيت؟ فقالت نعم، فقال: هذه مفاتيح الباب وهو مغلق. فقالت: ادفنوه في بيتي فإذا مت فادفوني عنده. انتهى.

وبذلك أيها الإخوة القراء انتهت ترجمة هذا الإمام الجليل رحمه الله والتي ما هي إلا إشارات واضحة على جلالته وقدره، وعلو شأنه بين أهل العلم، ولمزيد من التقصي عن سيرته رحمه الله كما أشار إلى ذلك الشيخ الرادادي - حفظه الله -، فليرجع في ذلك إلى المصادر التالية على النفس تتأسى بما كان عليه الإمام البربهاري من العلم والعمل الصالح، وما حباه الله من الزهد في الدنيا، وتقديم ما يبقى على ما يفنى.

فنسأل الله أن يتغمده بواسع فضله ورحمته وسائر علماء المسلمين الأحياء منهم والميتين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

- ١- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (٢ / ١٨-٤٥).
- ٢- المنتظم لابن الجوزي (١٤ / ١٤-١٥).
- ٣- الكامل في التاريخ لابن الأثير (٨ / ٣٧٨).
- ٤- العبر في خبر من غبر للذهبي (٢ / ٣٣).
- ٥- سير أعلام النبلاء للذهبي (١٥ / ٩٠-٩٣).
- ٦- تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٣٢١-٣٣٠ هـ ص ٢٥٨-٢٦٠).

- ٧- البداية والنهاية لابن كثير (١١ / ٢١٣-٢١٤).
- ٨- الوافي بالوفيات للصفدي (١٢ / ١٤٦-١٤٧).
- ٩- مرآة الجنان لليافعي (٢ / ٢٨٦-٢٨٧).
- ١٠- شذرات الذهب لابن العماد (٢ / ٣١٩-٣٢٣).
- ١١- المنهج الأحمد للعليمي (٢ / ٢٦-٣٩).
- ١٢- المقصد الأرشد لابن مفلح (١ / ٢٨٨-٢٣٠).
- ١٣- مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص ٥١٢-٥١٣).
- ١٤- جمع الجيوش والديساكر على ابن عساكر ليوسف بن عبد الهادي (ل / ٨١ ب).
- ١٥- الأعلام للزركلي (٢ / ٢٠١).
- ١٦- معجم المؤلفين لرضا كحالة (٣ / ٢٥٣).
- ١٧- تاريخ التراث العربي لسزكين (١ / ٣ / ٣٣٤-٣٣٥) انتهى.



ترجمة لشارح المتن الشيخ أحمد بن يحيى النجفي رَحِمَهُ اللهُ

وأما شيخنا أحمد بن يحيى النجفي رَحِمَهُ اللهُ فقد ذكرت ترجمته في كتابيه المهمين وهما: المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال، حيث ترجم له تلميذه النجيب الشيخ محمد بن هادي المدخلي بما يغني اللبيب، ويكفي الطالب الحبيب عن مزيدٍ عن التقصي عن سيرة شيخنا أحمد النجفي.

وأما الكتاب الآخر فهو: كتاب الفتاوى الجليلة عن أسئلة المناهج الدعوية، والذي قام بتحقيقه وإخراجه كاتب هذه الأسطر -عفا الله عنه، وأرشدته للحق والصواب، وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويوم المآب وسائر شيوخه وزملائه وجميع المسلمين-.

وسأذكر هنا في هذا المقام تلك الترجمة الوجيزة عن شيخنا النجفي، والتي وردت في كتابه الفتاوى الجليلة علَّ فيها نفعاً للجميع مع اختصارها ولكن فيها كفاية -إن شاء الله-

فقد سئل شيخنا النجفي في ذلك الكتاب وفي أول سؤالٍ فيه بقول السائل: نرجو من فضيلتكم التكرم بالتعريف ببطاقتكم الشخصية؟

وأجاب رَحِمَهُ اللهُ بقوله: الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

أخوكم أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجفي، من مواليد قرية النجامية^(١)

(١) النجامية: وهي قرية من قرى جازان؛ تبعد عن مدينة صامطة جنوباً بحوالي أربعة كيلومترات يحول

وكانت ولادتي في آخر عام ١٣٤٦ هـ درستُ القرآن في الكتاتيب^(١) ثلاث مرات قبل مجيء شيخنا عبد الله بن محمد القرعاوي^(٢)، وبعد مجيء الشيخ رحمه الله وتأسيس المدرسة السلفية^(٣) في صامطة عام ١٣٥٩ هـ ترددت إلى المدرسة ولم أستمِر.

بينهما الوادي .

(١) الكتاتيب: هي جمع كُتّاب، وهو مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة والكتابة، وتحفيظهم القرآن. انظر المعجم الوسيط ص ٧٧٤ طبعة دار الدعوة.

(٢) هو الشيخ عبدالله بن محمد بن حمد القرعاوي، وهذا لقبٌ لجده نسبةً إلى قرية سكنها يقال لها القرعاء تابعة لمدينة بريدة، ولد رحمه الله في ١٣١٥/١٢/١١ هـ كان رحمه الله من حملة السنة، والدعاة إليها في ذلك الوقت؛ درس على أيدي علماء أجلاء في بلاده نجد وفي غيرها، ورغب بأن يكون من الدعاة إلى الله ومن المجددين لدين الله نصره للحق، ومن الدالين على طرق الهدى من الضلال والشرك من التوحيد، ومن المحذرين من السيئات التي تكون سبباً في غضب الكبير المتعال جلّ جلاله. وشاء الله تعالى أن يكون رحمه الله من الدعاة إلى سبيله في المنطقة الجنوبية، وذلك بمشورة من شيخه آنذاك مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم وذلك بعدما قصّ عليه رؤياه التي رآها في منامه، أشار عليه الشيخ بأن يذهب إلى المنطقة الجنوبية، فوصل إليها وأناخ رحاله في مدينة جازان في عام ١٣٥٨ هـ، ومن ثمّ أدلف بعد ذلك إلى مدينة صامطة، فنفّع الله به أهالي هذه الديار، فتعلّموا منه الكتاب والسنة، وتفقهوا في دين الله على يديه، وعلى رأسهم: فضيلة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي، والشيخ عمر جردي المدخلي، ومحمد بن أحمد الحكمي، وغيرهم من العلماء الذين أعزّ الله بهم السنة، وقمع الله على أيديهم البدعة، فرحم الله من قد مات منهم وغفر الله لمن هو باقٍ على قيد الحياة وأحسن لنا ولهم العاقبة والمآل آمين. مات فضيلة الشيخ عبد الله القرعاوي -رحمه الله وأسكنه فسيح جنّاته- في مدينة الرياض يوم الثلاثاء الموافق ١٣٨٩/٥/٨ هـ.

لمزيد من التحري والاستقصاء عن حياته رحمه الله انظر كتاب تلميذه -حفظه الله- الشيخ عمر بن أحمد جردي بعنوان (النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية) طبعة عام ١٤١٦ هـ. (٣) المدرسة السلفية هي التي أقامها الشيخ عبد الله القرعاوي في أول مجيئه إلى صامطة في دار الشيخ ناصر بن خلوقة رحمه الله وذلك في أول شهر شعبان عام ١٣٥٨ هـ والتي بدأ التدريس فيها في ذلك

ثمَّ من أول عام ١٣٦٠ هـ ، وفي شهر صفر بالتحديد دخلت المدرسة السلفية بصامطة التي أسسها فضيلة شيخنا الداعية المشهور الذي أنقذ الله به أُمَّةً في منطقة جازان ورحمهم به، بأن أخرجهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الفسق والبدع إلى البر والإيمان.

والحمد لله واصلت الدراسة في مدرسة الشيخ وفي عام ١٣٦٥ هـ عُيِّنَ من قبل الشيخ في مدرسة النجامية، وفي هذا المسجد الذي بجانب بيتي، فكنت أدرِّس فيه وأدرس

=

التاريخ تقريبًا. انظر المصدر السابق ص ١٨٨ وما بعدها.

وبمناسبة ذكرنا للمدرسة السلفية التي تأسست في عهد الشيخ عبد الله القرعاوي آنذاك نود أن نشيد بالمكتبة السلفية الخيرية والتي أكملت ما بدأه الشيخان الفاضلان: فضيلة الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي، وفضيلة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي -رحمهما الله- من تزويد مرتاديهما بالعلم النافع الصافي من كل شائبة والخالٍ من كل بدعة واردة بمشيئة ربنا وفضله، وهي جديرة بأن تذكر ويعلو صوتها ويبث صداها في العالمين، كيف لا وهي مؤسَّسة على أصلٍ متين ومنهجٍ قويم من كتاب ربنا ومن سنَّة نبينا محمد ﷺ.

وقد أشرف على انتقاء كتبها واختيار المراجع السلفية لها فضيلة الشيخ زيد بن محمد المدخلي -أمدَّه الله بالعافية لخدمة السنَّة وأهلها- وقد تم تأسيسها في محافظة صامطة بمنطقة جازان في ١٧/٣/١٤١٦ هـ، وقد فسحت من قبل وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد برقم ٢٠٤٨/١٠، وهي تضم على ما يزيد عن أربعة آلاف كتاب، وهي مفتحة أبوابها لكل راغب في الاستفادة والتزود من العلم الشرعي الذي ملئت كتبها به وذلك بدءًا من الساعة التاسعة صباحًا إلى صلاة الظهر ومن بعد صلاة عصر كل يوم إلى صلاة العشاء بخلاف يوم الخميس، فبابها مفتوح من صباحه إلى صلاة عشاء ذلك اليوم.

وهي ترحب بكل من أراد أن يمدَّ لها يد العون من إخواننا السلفيين الموسرين الذين يريدون فعل الخير والإسهام في تزويدها بأكبر قدر ممكن من الكتب، فهي ما قامت إلَّا على أيدي بعض المحسنين -غفر الله لنا ولهم ولمن سعى ويسعى دومًا في خدمة السنَّة وأهلها وإحياء لتراث السلف، رحم الله الجميع برحمته-.

قال الله تعالى: ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦].

في المدرسة السلفية.

ثمَّ في عام ١٣٦٧ هـ عُيِّنَ أيضًا بصفة رسمية في نفس المدرسة، وفي عام ١٣٧٢ هـ عُيِّنَ إمامًا ومعلمًا بمسجد أبي سبيله جهة العارضة^(١) وجلست سنتين في تلك المنطقة أذهب وأجيء، وبعدها فتح المعهد العلمي بصامطة في مستهل عام ١٣٧٤ هـ وعُيِّنَ فيه مدرِّسًا مع الشيخ حافظ^(٢)، وناصر خلوفه^(٣)، وجماعة معهم^(١)، ودُرِّست في ذلك المعهد

(١) العارضة: مدينة صغيرة شبه جبلية تبعد عن مدينة أبي عريش شرقًا بحوالي ٣٠ كيلو مترًا تقريبًا.

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، والحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة من مِذْحَج أشهر وأعظم قبيلة من شُعب كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان، والله أعلم.

ولد رَحِمَهُ اللهُ في قرية السلام عام ١٣٤٢ التابعة لمدينة المضايا وهي إحدى قرى منطقة جازان نشأ في أسرة مشهورة بالصلاح فحتم القرآن صغيرًا وهو راعٍ للغنم، حُبَّ إليه العلم من الصغر، ولَمَّا جاء الشيخ عبد الله القرعاوي وبدأ يُدرِّس في عام ١٣٥٩ هـ اتصل به الشيخ حافظ عن طريق الكتابة وهو في قرية الجاضع إحدى القرى التابعة لمحافظة صامطة بواسطة أخيه الأكبر محمد رَحِمَهُ اللهُ، فلمَّا وصل إليه خطابه أعجب بخطه وذهب إليه، ومكث في قريته بضعة أيام فأعجب به الشيخ عبد الله القرعاوي غاية الإعجاب، وطلب من والديه الذهاب به إلى صامطة مقر المدرسة السلفية فالتحق بعد ذلك بالمدرسة السلفية بصامطة عام ١٣٦٠ هـ وتفرغ للدراسة، وفي خلال سنتين تقريبًا من دراسته حوَّى علمًا كثيرًا، وحفظ متونًا ومنظومات عديدة في فنون العلم المختلفة، وبدأ في التأليف في عام ١٣٦٢ هـ بلغت حوالي ٢٣ مؤلفًا منها ما هو مطبوع، ومنها ما لم يطبع، له أعمالٌ جليلة لا يتسع المقام لذكرها في هذا السفر الصغير، مات رَحِمَهُ اللهُ في يوم السبت ١٨ / ١٢ / ١٣٧٧ هـ.

ولمزيد من التقصي عن حياة الشيخ حافظ الحكمي نحيل القراء الكرام إلى كتاب (النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية) تأليف الشيخ عمر بن أحمد جردي - حفظه الله - (ص ١٨٦) وما بعدها، وإلى رسائل مستقلة عن حياة الشيخ حافظ الحكمي العلمية لفضيلة الشيخين الجليلين الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي، وفضيلة الشيخ أحمد بن علي علوش المدخلي اللذان ما زالا على قيد الحياة، متَّعنا الله بحياتهما لنصرة الحق، وقمع أهل الزيغ والبدع.

(٣) الشيخ ناصر بن خلوفة الملقب بطيَّاش بن محمد بن علي المباركي، ولد بمدينة صامطة عام ١٣٢٢ هـ وهو أحد طلاب الشيخ عبد الله القرعاوي - رحمه الله عليهم جميعًا -، وله الفضل بعد الله وعَلَّاهُ في نشر العلم، وفتح أبوابه لمبتغيه إذ قد ساعد على تأسيس أوَّل مدرسة سلفية تقام في صامطة عام

عشر سنوات ثم استقلت في ١١ / ٣ / ١٣٨٤ هـ.

كانت نفسي تَوَاقَّة إلى أن ألتحق بالجامعة الإسلامية مدرِّسًا لاسيما وأنَّ فيها في ذلك الوقت الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني المحدث المعروف والشيخ عبد العزيز بن باز الذي هو رئيس الجامعة الإسلامية بالنِّبَاة كنت أرغب الاتصال بهما والأخذ عنهما رغبت هذا ولم يرد الله ذلك.

ثمَّ بعد ذلك حاولت أن ألتحق بالجامعة^(٢)، فلم يُقدَّر لي، والتحقْتُ بالدعوة والإرشاد^(٣) فعينت واعظًا ومرشدًا في جهة صامطة، والموسم، والمسارحة، وأبي عريش، فجلست ثلاث سنوات تقريبًا متجولًا في المنطقة للوعظ والإرشاد إلاَّ أنَّ الأسفار^(٤)

=

١٣٥٨ هـ والتي كان مقرُّها في بيته، ومات رَحِمَهُ اللهُ في ٦ / ١١ / ١٣٩٣ هـ لمزيد من الإيضاح والتبيان

عن ترجمة هذا العَلَم راجع المصدر السابق (ص ١٨٨) وما بعدها.

(١) أمثال الشيخ: محمد بن عثمان نجار المباركي رَحِمَهُ اللهُ المتوفى عام ١٣٧٧ راجع ترجمته في الكتاب السابق (ص ١٩٣)، والشيخ محمد بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللهُ انظر ترجمته في المصدر السابق أيضًا (ص ٢٠٥)، وغيرهم من الفضلاء الذين لا يتسع المقام لذكرهم في هذه العجالة، رحم الله من قد مات منهم، وغفر الله لمن بقي.

(٢) المقصود بها الجامعة الإسلامية.

(٣) الواقعة بمدينة جازان لم يكن في جازان ذلك الحين مركز للدعوة وإدارة مستقلة، وأنا عُيِّنْتُ في الرياض أوَّل إنشائه ومرجعي محكمة جازان، ومرجع الجميع المفتي السابق محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ. الشيخ أحمد النجمي.

(٤) المقصود بذلك -والله أعلم-: أنَّ الشيخ أحمد النجمي رَحِمَهُ اللهُ يرى أنَّ ما فوق مسافة بريدين يعتبر سفرًا، والبريد يقدر بحوالي ٢٠ كيلًا تقريبًا، استند في ذلك إلى بعض الأدلة كقوله رَحِمَهُ اللهُ: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلا مع ذي محرم» أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حجٍّ أو غيره رقم الحديث ١٣٣٩ بترقيم عبد الباقي. وفي رواية: «لا يحل لامرأة مسلمة تسافر مسيرة ليلة إلا معها رجلٌ ذو حرمة منها» أيضًا أخرجه مسلم بمثل التخريج السابق.

واليوم وحده أو الليلة وحدها تقدر بمسافة ٤٠ كيلًا تقريبًا، والعبرة بما كان يسافر عليه الأولون من

=

أتعبتني وأرهقتني فطلبت الرجوع إلى المعاهد مرةً أخرى، ونقلت مدرّساً، والحمد لله صدر قرارٌ بإرجاعي إلى المعاهد مدرّساً.

وفي أول سنةٍ لم أتحصّل على صامطة، فعُينت في معهد جازان فبقيت فيه العام الدراسي ١٣٨٧-١٣٨٨ هـ وبعد نهاية العام الدّراسي نقلت إلى معهد صامطة العلمي مرةً أخرى، ولبثت به إلى أن أُحلت للتقاعد في عام ١٤١٠ هـ وبعد ذلك، والحمد لله لم أنقطع عن التدريس فقد واصلت فيه على طريقة الحلقات في المساجد، وأسأل الله أن يختم لي ولكم بخير. انتهى كلام شيخنا رَحِمَهُ اللهُ.

وبالمناسبة يسرني أن أذكر بأنّ للشيخ أحمد رَحِمَهُ اللهُ بعض المؤلفات التي قد طبع بعضها وبعضها لم يطبع، فمن المطبوعات: (المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال).

وهناك سفرٌ صغير طبع وردّ فيه الشيخ أحمد على من رأى عدم طبع هذا الكتاب والذي سمّاه فضيلته بـ (ردّ الجواب على من طلب منّي عدم طبع الكتاب)، ومن الكتب التي طبعت حول هذا الموضوع: (الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول). وللشيخ رَحِمَهُ اللهُ كتبٌ أخرى مطبوعة أمثال الجزء الأول من (تأسيس الأحكام على ما صحّ عن خير الأنام بشرح أحاديث عمدة الأحكام) وستعاد طباعة هذا الجزء مرةً أخرى مع الجزء الثاني والثالث بحول الله وقوته وبقيّة أجزائه الأخرى لم يكتمل شرحها بعد.

ومن الكتب المطبوعة لفضيلته: كتابه (أوضح الإشارة في الرد على من أباح الممنوع من الزيارة)، و(تنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة)، و(رسالة الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد)، و(فتح الرب الودود في الفتاوى والرسائل والردود) وهناك

=

المركوبات لا بما أنعم الله به علينا به في هذا الزمن من الطائرات ونحوها وإلا لم يسمّ ذلك سفرًا لكون المسافة الطويلة تقطع في وقتٍ وجيز، ولو كانت مسافة السفر تقدر بوسائل النقل الحديثة لضاعت كثيرًا من السنن الواردة في السفر، ولكنّ الحق في اتباع النصوص الشرعية لا بما تمليه علينا عقولنا القاصرة.

فتاوى غيرها ستطبع قريباً - إن شاء الله -.

وللشيخ أحمد رَحِمَهُ اللهُ خلاصات نافعة على بعض الكتب وشروحاتها، أملاها علينا فضيلته منذ زمنٍ بل على تلامذته من قبلي فبعضها قد اكتمل شرحه، كشرح السنة للإمام أحمد، وشرح السنة للإمام البربهاري والذي تمَّ بحمد الله تحقيقه وتخريجه بأبهي حلة وأحسن صورة والله الحمد على ذلك، والذي قد أسماه شيخنا بـ: (إرشاد الساري إلى توضيح شرح السنة للإمام البربهاري).

وبعض الكتب لم يتم إكمال شرحها بعد كإملاءاته على فتح الباري بشرح أحاديث صحيح البخاري، وعلى صحيح الإمام مسلم للنووي - رحمهما الله -، ونيل الأوطار بشرح متقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، وعلى عون المعبود بشرح أحاديث سنن أبي داود، وتحفة الأحوذى بشرح أحاديث جامع الترمذي، والروضة الندية شرح الدرر البهية، وعلى سبل السلام بشرح أحاديث بلوغ المرام.

وأغلب هذه الكتب التي سبرناها لك أخي القارئ الكريم ما زالت تدرّس في مسجده وفي غيره من المساجد في المنطقة وكلها تحتاج من أهل الفضل والإحسان ومحبي العلم والإيمان إلى عناية ومتابعة ومساعدة، لإحيائها ونشرها بين الناس، فلن تخرج إلى حيّز الوجود حتّى يهيئ الله لها من يقوم بطبعها وتحقيقها وإخراجها بثوبٍ جديد.

فجزئ الله خيرًا من أراد أن يتسبب في نشر هذا العلم إلى ذويه ومبتغيه، وجزئ الله شيخنا الفاضل خيرًا على ما قدّمه وما يقدمه لطلبة العلم من العلم الجم الغزير الطيب النافع المبارك، فقد قضى فضيلته جميع أوقاته ما بين كاتبٍ، وناشر ومعلّم ومفسر، ومرشدٍ ومبصّر إلى جانب جلوسه للفتوى، واستقباله للناس دون ضجرٍ ولا مللٍ مبتغيًا بذلك وجه الله الكريم.

أطال الله في عمر شيخنا وجميع شيوخ أهل السنة في كل قطرٍ ومصرٍ والسائرين على منهاج النبوة والتابعين لآثار السلف في جميع أبواب العلم والعمل، زاده الله تقىً وعلمًا ونفع بعلمه أبناء المسلمين وهدانا الله وإيَّاه وسائر المسلمين لكل ما يحبه الله

ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة؛ إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.
وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

كتبها

حسن بن محمد بن منصور دغريري

أما الآن فإلى نص كتاب شرح السنة للإمام البرهاري، وما أملاه علينا الشيخ رحمه الله
من تعليقات نافعة ومفيدة؛ فجزاه الله عنا خير الجزاء.

قال المصنف -علينا وعليه رحمة الله تعالى- في بداية كتابه هذا: (الحمد لله الذي
هَدَانَا للإِسْلَام، وَمَنْ عَلَيْنَا بِهِ، وَأَخْرَجَنَا فِي خَيْرِ أُمَّةٍ، فَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِمَا يُحِبُّ وَيَرْضَى،
وَالْحِفْظَ مِمَّا يَكْرَهُ وَيَسْخَطُ).



اعْلَمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَلَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِالْآخَرِ،
فَمِنَ السُّنَّةِ لُزُومُ الْجَمَاعَةِ، فَمَنْ رَغِبَ غَيْرَ الْجَمَاعَةِ وَفَارَقَهَا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ
مِنْ عُنُقِهِ، وَكَانَ ضَالًّا مُضِلًّا [١].

[١] إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ السُّنَّةُ، وَالسُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ كَيْفَ ذَلِكَ؟

يعني أَنَّ الْإِسْلَامَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ السُّنَّةُ، فَمَنْ اسْتَقَامَ عَلَى السُّنَّةِ وَأَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ
الْإِسْلَامَ، وَمَنْ اعْوَجَّ عَنْهَا وَمَالَ يَمَنَةً أَوْ يَسَرَةً فَإِنَّهُ قَدْ أَخْلَى بِالْإِسْلَامِ الْحَقِيقِيِّ بِانْحِرَافِهِ ذَلِكَ.
لَكِنْ ااعْلَمْ أَنَّ الْمِيلَ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ:

١- ميل كُلِّي يَكْفُرُ صَاحِبَهُ، وَيَحْكُمُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْكُلِّيَّةِ.

٢- ميل جُزْئِي لَا يَكْفُرُ صَاحِبَهُ، وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهِ بِالْإِرْتِدَادِ، وَالْخُرُوجِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّهُ

قَدْ انْتَقَصَ مِنْ إِسْلَامِهِ بِقَدَرِ مِيلِهِ ذَلِكَ قَلَّ ذَلِكَ الْمِيلُ أَوْ كَثُرَ، مَا هُوَ الدَّلِيلُ عَلَى مَا قُلْنَا؟

الدَّلِيلُ: حَدِيثُ الْاِفْتِرَاقِ وَهُوَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ

فِرْقَةً، وَافْتَرَقَتِ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَاسْتَفْتَرَقَتِ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ

وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً» قَالُوا: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ -أَيُّ مِنْ هِيَ تِلْكَ

الْوَاحِدَةُ وَمَنْ هُمْ أَهْلُهَا الَّذِينَ يَنْجُونَ مِنَ النَّارِ؟-

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هُمْ الَّذِينَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١).

(١) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ بَابَ شَرْحِ السُّنَّةِ، وَقَالَ عَنْهُ الْأَلْبَانِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ،

وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ فِي كِتَابِ مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ بَابَ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فِي كِتَابِ السَّيْرِ بَابَ فِي افْتِرَاقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَكُلُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ مَرْوُوعَةٌ عَنْ

الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ.

وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ ابْنُ مَاجَهَ فِي سُنَنِهِ فِي كِتَابِ الْفِتَنِ بَابَ افْتِرَاقِ الْأُمَمِ، وَذَكَرَ الْأَلْبَانِيُّ بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ

صَحِيحٌ. انْظُرْ صَحِيحُ ابْنِ مَاجَهَ.

وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ كَذَلِكَ فِي مُسْنَدِهِ فِي كِتَابِ مُسْنَدِ الْمَكْتَرِينَ عَنِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ أَنَسِ بْنِ

مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكُلُّ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ وَرَدَتْ فِيهَا بِلَفْظِ (الْجَمَاعَةُ)، أَمَّا الرِّوَايَاتُ الَّتِي وَرَدَتْ بِلَفْظِ: (مَا أَنَا

ثم اعلّموا أنّ الوعيد بالنّار على سائر الفرق ليس معنى ذلك أنّهم كلّهم مخلصون في النّار، ولكن من خالف عمّا جاء به الرسول ﷺ وعمّا كان عليه هو وأصحابه فإنّما أن يكون خلافه موجبٌ للردة والخروج من الإسلام، فهذا يكون مخلصاً في النّار، ومن كانت مخالفته جزئية وكان باقياً على الإسلام، فهو متوعد بالنّار، ويرجو ما يرجوه الموحّدون من الخروج من النّار؛ لما ثبت في أحاديث الشّفاة أنّ الله ﷻ يخرج من النّار من مات على التوحيد، وكان معه من الإيمان ولو كان شيئاً قليلاً^(١).

لكن ما الزمن الذي سيقاه هذا الشخص في النّار؟

الله ﷻ أعلم به، وإذا كان قد ورد أنّ الذين يدخلون الجنّة يؤخّر بعضهم عن بعض بمقدار أربعين خريفاً^(٢)، وبمقدار خمسمائة عام^(٣)، فهؤلاء الذين ينجون من النّار، ويجوزون

عليه وأصحابي) فقد وردت عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في المستدرک على الصحيح للإمام الحاكم رحمته الله في كتاب العلم رقم الحديث ٨١٢٧ ج ١/٢١٨ طبعة دار الكتب العلمية طبعة ١٤١١، وأخرجه كذلك الإمام الترمذي رحمته الله في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله.

(١) لمزيد من الاطلاع على شيء من تلك الأحاديث التي ورد فيها إخراج الله للموحدين من النار برحمته تعالى أولاً ثم بشفاة الشافعين فليرجع إلى ما جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ فانظر صحيح البخاري كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية.

وتأمل كذلك ما أورده الترمذي رحمته الله في كتاب صفة جهنم باب ما جاء أنّ للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه باب زيادة الإيمان، وابن ماجه في المقدمة باب في الإيمان، وفي مسند الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين بترقيم إحياء التراث ١١٤٨٨ و١٢٣٦١ و١٢٤٨٦ و١٣٥١٦.

(٢) الحديث أورده الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه في أول كتاب الزهد والرقائق وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم ٦٥٤٢.

(٣) كما ورد ذلك في سنن الإمام ابن ماجه في كتاب الزهد باب في منزلة الفقراء من حديث أبي سعيد

الصراط، فما ظنك بعد هذا بمن يدخل النار.

لهذا فمن كان يرجو النجاة لنفسه ويرغب أن يكون ناجياً مع الناجين وداخلاً إلى الجنة مع الداخلين الذين يقال لهم ادخلوا الجنة بسلام آمنين، من كان يريد ذلك فعليه بعقيدة أهل السنة والجماعة، ليأخذ بها عقيدةً ونهجاً، فلا يميل عنها يمنةً ولا يسرةً.

وهذا معنى قول المؤلف: (الإسلام هو السنة والسنة هي الإسلام).

وقد عرفنا من خلال ما مضى أن الإسلام الحقيقي هو السنة، وأن السنة هي الإسلام الحقيقي، وأنه لا يقوم أحدهما إلا بالآخر.

ثم قال: (فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب غير الجماعة) والمعنى رغب عن الجماعة إلى غيرها (وفارقها فقد خلع ربة الإسلام من عنقه وكان ضالاً مضلاً).

ما الذي يدل عليه قوله: (فمن السنة لزوم الجماعة)؟

يشير المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بهذا إلى أن من اعتقد الخروج على ولاة الأمر، والمقصود بالجماعة هي جماعة المسلمين الذين يكونون تحت ولاية واحدة؛ فإنه إذا رأى جواز الخروج على ولاة الأمر المسلمين فإنه يعتبر قد فارق السنة، وفارق الجماعة، وخلع ربة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً.

وما هي الربة؟

الربة: هي حبلٌ تجعل فيه حبالٌ فرعية في كل حبل فلكة يربط بها الغنم مع بعض.

الخديري رَحِمَهُ اللهُ عن رسول الله ﷺ: «إن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار خمسمائة سنة».

وأورد مثله الإمام أحمد في مسند المكثرين برقم ٢٧٧٩ و٧٨٨٦ و١٠٢٧٦ و١٠٣٥٢ بترقيم إحياء التراث «يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار خمسمائة سنة».

وأورد مثله الإمام أحمد في مسند المكثرين برقم ٢٧٧٩ و٧٨٨٦ و١٠٢٧٦ و١٠٣٥٢ بترقيم إحياء التراث.

إذن فعقيدة الإسلام ووَحْدَةُ الأُمة هي بمنزلة الرِّبقة للمسلمين، فمن خلعها؛ أي: خلع الرِّبقة من عنقه خلع الطاعة، ومن خلع الطاعة فارق الجماعة، وكان ضالًّا مضلًّا. فعليك يا عبد الله أن تفهم أن الخروج من الطاعة عن ولاية الأمير المسلم الذي قد أجمع المسلمون على بيعته ودانوا له إِمَّا بالبيعة الاختيارية، أو بما شَهَرَ عليهم من السيف حتى خضعوا له جميعًا؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يحرم الخروج عليه، وتحرم منازعته. ما الأدلة على ذلك؟

الأدلة على ذلك متوافرة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ، ومن إجماع علماء المسلمين على ذلك:

فمن الكتاب: قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩].

فلَمَّا قرن أولي الأمر وأوجب طاعتهم مع طاعته وطاعة رسوله فيما لم يكن معصية، دَلَّ ذلك على وجوب الطاعة لهم وعدم جواز الخروج عليهم، وعدم جواز المنازعة لهم أو الإثارة عليهم، فهذه الآية صريحة.

وهناك آيات تدخل فيها هذه العقيدة ضِمْنًا كقول الله ﷻ: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وكفوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

ففي هاتين الآيتين أمر الله ﷻ بالاعتصام بحبله واتباع سبيله ونهى عن التفرق؛ فقال في الآية الأولى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقال في الآية الثانية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾؛ فدَلَّ ذلك على عدم جواز التفرق وعلى حرمة، وأنه شيء لا يجوز. أمَّا الأدلة من السنة: فهي كثيرة جدًا:

من ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ،

فإنه من خرج من الجماعة شبراً فمات إلّا مات ميتةً جاهلية»^(١).
وفي رواية: «فقد خلع ربة الإسلام من عنقه»^(٢).

وكذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وألّا ننزع الأمر أهله إلّا أن تروا كفراً بواحاً معكم من الله فيه برهان»^(٣).

وفي صحيح مسلم من حديث عرفة الكلابي: «من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق كلمتكم؛ فاضربوا عنقه كائناً من كان»^(٤). ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بمعناه.

وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه الذي رواه الإمام أحمد في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهنّ وأن يأمر بني إسرائيل أن

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» واللفظ الوارد في الشرح له، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الأمثال باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة، وهو الباب الثالث من أبواب هذا الكتاب، وقد صحح حديثه الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي.

وأخرجه الإمام أحمد في كتاب مسند الشاميين برقم ١٦٧١٨ و ١٧٣٤٤، وكذلك أخرجه أحمد في باقي مسند الأنصار برقم ٢١٨٣٥ عن الصحابي الجليل أبي مالك الحارث الأشعري رضي الله عنه، وكذلك أخرجه في مسند الأنصار برقم ٢١٠٥٠ و ٢١٠٥١ بترقيم العالمية عن الصحابي الجليل أبي ذر رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه في الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع بلفظ: «إنه ستكون هنأت وهنأت فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميعاً فاضربوه بالسيف كائناً من كان».

يعملوا بهنَّ...»^(١) وذكر الحديث وفي آخره قال رسول الله ﷺ: «وأنا أمركم بخمسٍ الله أمرني بهنَّ: أمركم بالجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج

من الجماعة قيد شبرٍ فقد خلع ربة الإسلام من عنقه إلا أن يراجع...»^(٢). وأخرج أحمد في المسند عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الجماعة شبرًا خلع ربة الإسلام من عنقه».

وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية». وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي في الصحيحين قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال: «نعم».

قال: وهل بعد ذلك الشر من خير؟

قال: «نعم، وفيه دخن».

قلت: وما دخنه؟

قال: «أقوامٌ يستنئون بغير سننِّي ويهتدون بغير هُدْيي تعرف منهم وتنكر».

قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: «نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها».

(١) الحديثان قد سبق تخريجهما.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال: «تلتزم جماعة المسلمين وإمامهم».

قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال: «فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت

على ذلك»^(١).

قال الحافظ ابن حجر في الفتح^(٢): وزاد في رواية الأسود: «تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»^(٣) قال: وكذا في رواية خالد بن سبيع عند الطبراني: «فإن رأيت الله خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك، وإن لم يكن لله خليفة فالهرب»^(٤).

إلى غير ذلك من الأدلة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور إذا كانوا مسلمين، وأنه لا يجوز الخروج على إمام يقيم الصلاة، ولا يجوز الخروج إلا على من وجد عنده كفر بواح مع الخارج فيه من الله برهان. وأيضا أنه لا ينبغي الخروج إلا إذا كان للمسلمين قوة يستطيعون بها مناوأة الحاكم هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

وقد أجمع أهل العلم من أهل السنة والجماعة ومتبعي الأثر على أنه لا يجوز

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) انظر شرح حديث حذيفة رضي الله عنه في فتح الباري لابن حجر رحمه الله في كتاب الفتن باب كيف إذا لم تكن جماعة.

(٣) هذه الرواية أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها، وكذلك أخرجه الإمام أحمد في كتاب باقي مسند الأنصار بلفظ: «فالزمه وإن نهك جسمك، وأخذ مالك» برقم ٢٢٩١٦ وبرقم ٢٢٩١٧ بترقيم إحياء التراث.

الخروج على ولاية الأمر المسلمين سواء كانوا أهل عدلٍ أو جورٍ، وقد حكى بعض العلماء إجماع أهل السنة على ذلك.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (ج ١٣ ص ٣٧) في شرح حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه طبعة محب الدين الخطيب: وقال ابن بطال: فيه حجة - أي في حديث حذيفة حجة - لجماعة

الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم ولم يقل فيهم تعرف منهم وتنكر كما قال للأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة، قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة. فقال قوم: هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم.

قلت: ومن قال خلاف ذلك فإنه قد أخذ بقول المبتدعة؛ لأنه لم يقل بالخروج على أهل الجور إلا الخوارج والمعتزلة، أمّا أهل السنة والجماعة فكلهم يأخذون بهذه الأدلة وكلهم يرون تحريم الخروج سواء كان بالفعل أو الكلمة، لأن الكلمة تسبب الخروج الفعلي. وقال في شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي الدمشقي على العقيدة الطحاوية: ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله وَعَلَىٰ طَاعَتِهِ فريضة ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة.

هذا قول صاحب الطحاوية وأورد الشارح الأدلة على ذلك، وقال: وأمّا لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلائنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم بل في الصبر على جورهم تكفير للسيئات، ومضاعفة للأجور؛ فإن الله وَعَلَىٰ طَاعَتِهِ ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا، والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد والاستغفار والتوبة وإصلاح العمل.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

وقال في كتاب الحجة في بيان المحجة للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الملقب قوام السنّة المتوفى سنة ٥٣٥ هـ: فصل في بيان منع الخروج على أولي الأمر.

ثم أورد في هذا الفصل أحاديث تدل على منع الخروج منها: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «سيليكم بعدي ولالة فيليكم البرُّ ببره، ويليكم الفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كلِّ ما وافق الحق، وصلُّوا وراءهم، فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعليهم»^(١). وهذا الحديث ضَعَّفَ المحقق سنده، ونقل تضعيفه عن محقق الكنز. قلت: لكن معنى المتن صحيحٌ ومعروف من أحاديث أخرى صحيحة، أعني أنَّ الأحاديث المشار إليها تدل على صحة معنى المتن ولفظه قد صحَّ في أئمة الصلاة بلفظ: «يصلون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطئوا فلكم وعليهم»^(٢). عزاه في تخريج الجامع الصغير إلى البخاري^(٣).

قال المحقق محمد محمود أبو رحيم في تعليقه على الترجمة السابقة الذكر والتي عنوانها بفصل لبيان منع الخروج على أولي الأمر ج ٢ / ٣٩١ قال: وهذا هو مذهب أهل الحديث، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة والخوارج والزيدية. انتهى. قلت: الزيدية هم يأخذون بأقوال المعتزلة في العقائد.

وفي كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة في باب ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم

(١) الحديث أخرجه الدارقطني في سننه في كتاب العيدين باب التشديد في ترك الصلاة وكفر من تركها، النهي عن قتل فاعلها.

(٢) طبعة المكتب الإسلامي ج ٢ ص ١٣٤٦ برقم ٨٠٩٩.

(٣) انظر كتاب الأذان باب إذا لم يتمَّ الإمام وأتمَّ من خلفه.

الجماعة والتحذير من الفرقة بعد أن ذكر الأحاديث الواردة في الأمر بلزوم الجماعة واذم الفرقة.

فروى بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إنَّها ستكون أمورٌ مشتهات، فعليكم بالتؤدة، فإنَّك إن تكن تابعاً في الخير خيراً من أن تكون رأساً في الشر»^(١).
وعن عمرو بن مرة قال: قال عبد الله... الحديث، وفي آخره: «ثم إياكم وتصرف الأخلاق،

(١) انظر الإبانة الكبرى لابن بطّة ج ١ / ٣٢٨ رقم الأثر ١٧٦ تحقيق رضا نعيان - طبعة دار الراية.

اجعلوا الوجه وجهًا واحدًا، والدعوة دعوةً واحدة، فإنه بلغنا أنه من كان ذا وجهين وذا لسانين كان له يوم القيامة لسانان من نار»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال له رجلٌ: أوصني. قال: «عليك بالاستقامة واتباع الأثر؛ وإيّاك والتبدع»^(٢).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الاقتصاد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة»^(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كلُّ بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة»^(٤).

(١) هذا الحديث أخرجه الدارمي في سننه في كتاب الرقاق باب ما قيل في ذي الوجهين عن عمار بن ياسر بلفظ: «من كان ذا وجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار» وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب ما جاء في ذي الوجهين، والحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم الحديث ٨٩٢ ج ٢/ ٥٥٤ طبعة دار المعارف، وذكر رحمته الله بأنه أخرجه غير واحدٍ من أهل العلم، فمن شاء الاستزادة فليرجع إليها.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الدارمي في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع بلفظ: عن عثمان ابن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس فقلت: أوصني. فقال: نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة اتبع ولا تبدع.

وكذلك رواه الهروي في ذم الكلام (ق ٤٢/ ٢) وابن وضاح في البدع والنهي عنها من طريق سفيان عن زمعة به ص ٢٥ بواسطة كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة بتحقيق رضا بن نعيان معطي الكتاب الأول الإيمان ج ١/ ٣١٨.

(٣) هذا الحديث رواه الحاكم بسندٍ آخر عن الأعمش وقال صحيحٌ على شرطهما ووافقه الذهبي. المستدرک (١/ ١٠٣)، والمروزي في السنة (٢٥)، ورواه الدارمي في السنن (ح ٢٢٣)، ورواه الطبراني في الكبير قال الهيثمي وفيه محمد بن بشير الكندي، قال يحيى: ليس بثقة. مجمع الزوائد (١/ ١٧٣) وهذا طريقٌ غير طريق المؤلف هنا.

وأما في المطالب العالية فقد عزاه إلى مسدد مرفوعاً (ح ٢٩٦٣) نقلاً من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي الحسن بن منصور الطبري اللالكائي بتحقيق الدكتور أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ج ١ الجزء الثاني ص ٦٢ طبعة دار طيبة.

(٤) رواه المروزي في السنة ص ٢٤، وابن بطة في الإبانة الكبرى ج ١/ ٣٣٩، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج ١/ ١٠٤.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «إياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة»^(١).
وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»^(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحه الجنة فليلزم الجماعة، من سرتة حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن»^(٣).

(١) رواه الحاكم عن معاذ بن جبل من طريق الزهري حدثنا شعيب به ولفظه أتم وصححه ووافقه الذهبي ج ٤/ ٤٦٠ نقلاً من كتاب الإبانة الكبرى للإمام أبو عبد الله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي في الكتاب الأول ج ١/ ٣٣٩ برقم الحديث ٢٠٤.

(٢) الحديث رواه أحمد عن منصور بن أبي مزاحم به ٤/ ٢٧٨، وابن أبي عاصم في السنة من طريق يونس ابن محمد رقم ٩٣، ورواه البزار والطبراني من حديث النعمان بن بشير ورجالهم ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٥/ ٢١٧، وعزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى القاضي ١/ ٤٠٣، وحسنه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم رقم ٩٣، وفي صحيح الجامع الصغير ٢/ ٨٤، وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٦٧٧ نقلاً من كتاب الإبانة الكبرى عن شريعة الفرقة الناجية الكتاب الأول الإيمان ج ١/ ٢٨٧.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب في لزوم الجماعة، وقال عنه الترمذي رحمته الله حديث حسن صحيح غريب، وأخرجه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة حديث رقم ١٧٣ بلفظ: «أحسنوا إلى أصحابي»، وابن ماجه في كتاب الأحكام باب كراهة الشهادة لمن لم يستشهد بلفظ: «احفظوني في أصحابي».

وقد صحح حديث الترمذي الإمام الألباني رحمته الله في صحيح الجامع ج ١/ ٤٩٨ برقم الحديث ٢٥٤٦، وقال: انظر الصحيحة برقم ١١١٦، والسنة برقم ٨٧ و٨٨، وانظر إلى تصحيحه أيضاً للفظه: =

وفي كتاب شعار أصحاب الحديث للإمام أبي أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق المعروف بأبي أحمد الحاكم في عقيدة أصحاب الحديث المأخوذة عن أبي رجاء قتيبة بن سعيد (ص ٣١) حيث قال رَحِمَهُ اللهُ: والجهاد مع كلِّ خليفة جهاد للكفار لك جهاده وعليه شرُّه، والجماعة مع كلِّ برٍّ وفاجر -يعني صلاة الجمعة والجماعة، والعيدين-... إلى أن قال: ولا نكفر أحداً بذنبٍ إلَّا ترك الصلاة وإن عمل بالكبائر، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ونبرأ من كلِّ من يرى السيف على المسلمين كائناً من كان. انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ.

وهنا يجب أن نقف وقفةً، وهو أن جماعة الإخوان من أصولهم التربية على الخروج، فإذا تهيأت الثمرة وأصبحوا مستعدين للخروج خرجوا إذن فهل يجوز لنا أن نتولَّى هذه الجماعة أو نكون معهم؟
الجواب: لا، ولهم كتابٌ أعدّه واحدٌ منهم في طريقتهم وسماه الطريق إلى جماعة المسلمين، انظروا في (ص ٣٩٢ و ٣٩٣) ترون أن ما قرَّروه من الخروج قد تفوَّهوا به وكتبوه على هذه الصفحات.

وفي كتاب أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ رواية عبدوس بن مالك العطار قال في (ص ٦٤): والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البرِّ والفاجر، ومن وليَّ الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومنَ عَلَيْهِمُ بالسيف حتى صار خليفةً، وسمِّي أمير المؤمنين.

والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة البرِّ والفاجر لا يترك وقسمة الفيء، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا أن ينازعهم ودفع الصدقات إليهم

«احفظوني في أصحابي ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفسو الكذب حتى يشهد الرجل وما يستشهد ويحلف وما يستحلف» في صحيح الجامع برقم ٢٠٦ في ج ١/ ١٠١.

جائزة نافذة، ومن دفعها إليهم أجزأت عنه برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولّاه الله جائزة، باقية، تامة، ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برّهم وفاجرهم، فالسنة بأن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة لا يكن في صدرك من ذلك شك.

ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقرّوا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة فقد شقّ هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ؛ فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية.

ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق. انتهى كلامه رحمه الله.

وقد تبين بالأدلة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ، ومن إجماع الأمة الذي حكاه كثير من العلماء أن الخروج على ولاة الأمر لا يجوز إذا كانوا مسلمين يقيمون الصلاة، سواء كانوا أبرارًا أم فجارًا.

وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة لم يخالف في ذلك إلا المعتزلة، ومن تبعهم في هذا الاعتقاد، والمعتزلة والخوارج هم الذين يرون الخروج على ولاة الأمر ويبيحون إنكار المنكر بالسيف، وبالله التوفيق.



والأساس الذي تُبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ، ورحمهم الله أجمعين، وهم أهل السنة والجماعة، فمن لم يأخذ عنهم فقد ضلّ وابتدع، وكلُّ بدعة ضلالة، والضلالة وأهلها في النار، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبها ضلالة، فقد بينت الأمور، وثبتت الحجة، وانقطع العذر، وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس، فعلى الناس الاتباع»^(١) [١].

[١] قلت: أصحاب محمد ﷺ هم أساس النهج السلفي الذي يسير عليه أهل السنة والجماعة.

ومن هم أصحاب محمد ﷺ؟

والجواب: أصحاب محمد ﷺ كل من صحبه ولو ساعة أو لقيه ولو مرة، هذا تعريف الصحابة.

وقد قال أهل المصطلح: الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على ذلك، وإن تخللت ردة في الأصح، وهذا التعريف يشمل من عقل النبي ﷺ ورآه في حال تمييزه. إذن فلا بد أن يكون الصحابي الذي يقال له صحابي أن يكون عند لقائه للنبي ﷺ مؤمناً بأنه رسول الله، فيخرج بهذا القيد الذين أتى بهم إلى النبي ﷺ فحنكهم وهم صغار بعد الولادة كابن أبي طلحة، ومحمد بن أبي بكر وأمثالهم، فإنهم لا يعدون صحابة. وأما القول بأنه لو تخللت ردة فإنها لا تخرجه عن كونه صحابياً كالأشعث بن قيس، وطلحة الأسدي، وعمرو بن معديكرب، وعيينة بن حصن وأمثالهم؛ فإن هؤلاء قد كانت

(١) الأثر أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى برقم ١٦٢ وإسناده منقطع، وأخرجه المروزي في السنة برقم ٩٥ عن عمر بن عبد العزيز قال: لا عذر لأحد بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب أنها هدى. نقلاً عن محقق شرح السنة للإمام البرهاري الشيخ أبي ياسر بن خالد بن قاسم الراداي - وفقه الله - ص ٦٨ طبعة مكتبة الغرباء الأثرية.

لهم جفلة بعد موت النبي ﷺ ثم عادوا إلى الإسلام بعد ذلك، ونفع الله بهم في الفتوح، وعلى هذا فلم يزل عن أحد منهم اسم الصحابي وإنما يزول عمن ارتد ومات على الردة كالرجال بن عنقوة الحنفي الذي شهد لمسيلمة بأنه نبي.

أما فضل الصحابة: ففيه آيات وأحاديث:

فمن الآيات: قول الله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وكقوله ﷺ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وكقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَىٰ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَىٰ لَهُمْ سِيقَتْهُمْ إِلَى اللَّهِ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١١٩ وَالسَّيْفُوتِ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٩٩-١٠٠].

وقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وقد أمر النبي ﷺ بإكرام أصحابه واتباع آثارهم وسنتهم؛ فقال في حديث الافتراق

وصف الفرقة الناجية: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(١).

وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٢).

وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى من عدة طرق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خطب في الجابية فقال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كمقامي فيكم فقال: «أحسنوا إلى أصحابي» وفي رواية: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»^(٣). الحديث.

وفي قصة بني جذيمة عندما أمر خالد بن الوليد باستمرار القتل فيهم، وهم يقولون: صبأنا يعنون أسلمنا، فنهاء عبد الرحمن بن عوف وحصلت بينهما مقالة، فقال خالد بن الوليد لعبد الرحمن بن عوف: ما تفخرون علينا إلا بأيام سبقتمونا بها، فشكا عبد الرحمن خالد بن الوليد إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»^(٤).

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ٢٥.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وأبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأحمد في مسند الشاميين برقم الحديث ١٦٦٩٢، والدارمي في المقدمة باب اتباع السنة، والحديث قد صححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج ١ / ٤٩٩ برقم ٢٥٤٩، وأحال إلى الإرواء برقم ٢٤٥٥، وشرح الطحاوية ٥٠١ و ٧١٥، والسنة ٣١ و ٥٤، وقال محقق الإبانة الكبرى الشيخ رضا بن نعيان معطي الكتاب الأول الإيمان ج ١ / ٣٠٥: الحديث صحيح صححه كما تبين جماعة من أكابر المحدثين، وحسنه بعضهم، ولم يطعن فيه طاعن، وإن حصل ذلك في بعض طرقه.

(٣) هذا الحديث سبق تخريجه في ص ٣٥.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المناقب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لو كنت متخذاً خليلاً...» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما.

وفي رواية: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وإذا كان هذا قد قاله النبي ﷺ لأصحابي متأخر في حق أصحابي متقدم، فما بالك بغيرهم؟!

وقد تبين من هذا العرض: أن الصحابة -رضوان الله عليهم- هم أساس أهل السنة والجماعة؛ فمن لم يأخذ عنهم فإنه يعتبر قد ضلّ، ويستدل على ذلك بالخوارج الذين كفروهم ولم يأخذوا السنة عنهم، فمن أجل ذلك ضلّوا.

وأخبر النبي ﷺ أن فرقة الخوارج يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وأنهم شرُّ الخلق والخليقة، وأنهم كلاب النار، وما ذلك إلا لأنهم تركوا السنة التي حملها أصحاب رسول الله ﷺ؛ فلم تنفعهم قراءتهم للقرآن ولا كثرة صلاتهم وعبادتهم بل كانوا كلاب النار.

وقال عنهم النبي ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»^(١).

(١) الأحاديث التي ذكرت في وصف الخوارج كثيرة، وقد قام بتخريجها أخونا الشيخ أحمد بن عبد الله الحكمي -حفظه الله- منها ما أورده الإمام البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَلِإِن عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ برقم الحديث (٣٣٤٤).

وما أورده في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع برقم الحديث (٤٣٥١)، وفي كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةُ فُلُوقُهُمْ﴾ برقم الحديث (٤٦٦٧)، وفي كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ برقم الحديث (٧٤٣٢) بترقيم فتح الباري.

وما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم الحديث (١٠٦٤) بترقيم عبد الباقي.

لفظة: «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه» أخرجه الإمام أبو داود في كتاب السنة باب في قتال الخوارج برقم الحديث ٤٧٦٥ من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما، وقد أورده الألباني رحمته الله في صحيح أبي داود.

وأخرجها الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم

وفي رواية: «قتل ثمود...» الحديث.

ما هو السبب الذي جعل الخوارج يضلُّون؟

السبب الذي جعلهم يضلُّون: أنَّهم تركوا المصدر الثاني من مصادر الشريعة وكفَّروا حملته، وأنكروا فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وحكَّموا عليهم بالرَّدة والخلود في النَّار، ورأوا الخروج على الولاة، فخرجوا على علي بن أبي طالب ﷺ؛ فقاتلهم حتى قتل فيهم مقتلة عظيمة.

وعلى هذا؛ فمن ابتغى الهدى من غير مصادره أضلَّه الله، ومصادر الشريعة: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لا يغني أحدهما عن الآخر؛ فالقرآن لا يعرف معناه ومقاصده إلاَّ بالسنة وبعمل الصحابة -رضوان الله عليهم-.

وقد أنكر عمران بن حصين ﷺ على من قال له: لا تتحدثوا إلاَّ بما في القرآن، فقال له عمران بن حصين: إنَّك لأحمق، أوجدت في القرآن صلاة الظهر أربع ركعات والعصر أربعاً لا تجهر في شيءٍ منها، والمغرب ثلاثاً تجهر بالقراءة في ركعتين ولا تجهر في ركعة، والعشاء أربع ركعات تجهر بالقراءة في ركعتين ولا تجهر بالقراءة في ركعتين، والفجر ركعتين تجهر فيهما بالقراءة؟! (١).

=

الحديث ١٣٠٥، وفي مسند المكثرين من حديث أبي سعيد الخدري برقم ١٢٩٢٥، وفي مسند الكوفيين برقم ١٨٦٦٨ و ١٨٩٢٢ من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ.

ولفظه: «كلاب النار» أخرجها ابن ماجه في سننه في المقدمة برقم ١٧٣، وقال عنها الألباني حديثها حسنٌ صحيح في صحيح سنن ابن ماجه ص ٧٦ طبعة مكتبة المعارف، وأحال إلى المشكاة برقم (٣٥٥٤) والروض النضير (٢٠٨/١) عن أبي أمامة ﷺ.

وأخرجها الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران برقم الحديث برقم ٣٠٠٠ بترقيم أحمد شاكر، وأخرجه أحمد في مسند المكثرين برقم ١٨٦٥١ و ١٨٩٢٣ وفي باقي مسند الأنصار برقم ٢١٦٧٩ و ٢١٧٠٥ و ٢١٨١١ بترقيم إحياء التراث.

(١) هذا الأثر أخرجه الإمام ابن بطة العكبري رَحِمَهُ اللهُ في الإبانة الكبرى في الكتاب الأول الإيمان =

يعني: أن السنة مبينة للقرآن، والذين بلغوا السنة هم أصحاب رسول الله ﷺ؛ فعليهم مدار السنة وبهم الاقتداء وفيهم القدوة، وعلينا الاتباع لطريقتهم ونهجهم وما كانوا عليه، ومن لم يفعل ذلك فقد ضلّ وابتدع.

قال الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللهُ: (وكلُّ بدعة ضلالة).

أي: كل ما ابتدع في الدين فهو ضلالة، لأن المبتدع يلزمه بابتداعه أمران:

- ١- إمّا أن يقول: إن الإسلام قد كمل، وليس بحاجة إلى زيادة ولا إلى تكميل؛ وحينئذٍ يعتبر قد شهد على نفسه بالضلالة؛ لأنه أدخل في الدين ما ليس منه.
- ٢- وإمّا أن يقول: إن الدين ليس بكامل، وهذا يلزم كل مبتدع، فكأنه يقول بلسان حاله: إن الدين ناقص، فهو يحتاج إلى إكمال، وهذا فيه استدراك على القرآن، واتهام لمبلّغ الشريعة - صلوات الله وسلامه عليه - بأنه قد انتقص من الشرع، أو جهل شيئاً منه، وهذا المبتدع يدّعي أنه علم ما لم يعلمه رسول الله ﷺ.

ولهذا قال مالك رَحِمَهُ اللهُ: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة؛ فقد زعم أن محمداً خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً»^(١).

ومن هنا يتبين أن كل بدعة في الإسلام فهي تسمى ضلالة؛ لاستلزامها هذه الأمور. وقد جاء في حديث العرباض بن سارية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٢).

ج ١/ ٢٣٢، وأشار المحقق إلى أنه أثرٌ سنده ضعيف لأن فيه علي بن زيد بن جدعان، قال البخاري وأبو حاتم: لا يحتج به.

(١) أورده الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي في كتابه الاعتصام بتحقيق سليم بن عيد الهلالي ج ١/ ٦٤ طبعة ابن عفان.

(٢) سبق تخريجه في ص ٤٠.

وفي بعض الروايات: «وكلَّ ضلالةً في النار»؛ ولهذا جاء هنا: والضلال وأهله في النار. قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا عذر لأحدٍ في ضلالة ركبها حسبها هدى، ولا في هدى تركه حسبه ضلالة، فقد بُينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر)^(١).

هذا كلامٌ عظيم خرج من رجلٍ عظيم، ذلكم الرجل هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذا يستلزم أن من ركب ضلالة حسبها هدى أو ترك هدى حسبه ضلالة، فإنه لا عذر له عند الله، لأنه لا يفعل ذلك إلا من قصر في البحث عن الحق في الكتاب والسنة، فلذلك لا عذر له.

ولهذا قال: (فقد بينت الأمور) أي: وضحت من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ومن عمل الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وثبتت الحجة على الناس؛ لقوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ» [النساء: ١٦٥] فانقطع العذر، فلا عذر لمن ابتدع في الدين أو ضلَّ وجهل أحكاماً بعد أن بينها الله وأوضحها على لسان رسوله ﷺ بما أوحاه إليه من كتاب وسنة. قوله رَحِمَهُ اللهُ: (وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتبين للناس فعلى الناس الاتباع).

أقول: عقيدة أهل السنة والجماعة بينة في مصادرها ومرتبطة بالسنة وأهلها؛ فمن يرد الله به خيراً يوفقه لتلك المصادر، ويسر له صحبة حملة هذه العقيدة، وأقصد به حملة مذهب أهل السنة والجماعة.

ومن أراد الله به شراً فإنه سييسر لما خلق له؛ فمن نشأ على أيدي أهل الصوفية والتصوف حسب أن ذلك هو الهدى فضل وأضل.

ومن نشأ على أيدي أصحاب العقيدة الجهمية وعاش عليها وصحب أهلها حسب أن تلك هي السنة فضل وأضل.

(١) سبق تخريجه في ص ٣٨.

ومن نشأ على أيدي أصحاب الفكر الاعتزالي حسب أن ذلك هو السنة فضل وأضل.
 ومن نشأ على أيدي أصحاب العقيدة الأشعرية حسب أن تلك هي السنة فضل وأضل.
 ومن نشأ على أيدي أهل الرفض والتشيع الشتامين لأصحاب النبي ﷺ والمنتقصين
 لهم حسب أن هذا هو الحق فضل وأضل.

ومن نشأ على أيدي الخوارج التكفيريين حسب أن ذلك هو الحق فضل وأضل.
 لكن أهل هذه الأهواء لابد أن يجدوا ثغرات في عقيدتهم تُبين لهم خلل المنهج
 الذي هم عليه في الاعتقاد، وهكذا أصحاب الإرجاء، وهكذا أصحاب الدعوات المعاصرة
 التي تعتني بالفضائل وتستهيئ بالعقائد حتى يحسب الناس أنهم على حق لما يرون من
 التمسك الظاهر عليهم، وهم مع ذلك قد زهدوا في أصل العقيدة، وزهدوا فيه وهو التوحيد
 توحيد الألوهية، واستهانوا بما يقدر فيه وينقصه.

والمهم أن من يريد النجاة؛ فعليه بكتاب الله، ثم بكتب السنة المعروفة وهي: صحيح
 البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربع، ومسند الإمام أحمد، وما يتبع ذلك من كتب
 الحديث، وما يجمع آثار السلف كمصنف ابن أبي شيبة، ومصنف عبد الرزاق، ومصنف
 سعيد بن منصور.

وكتب العقائد كتوحيد ابن خزيمة، والرد على الجهمية للإمام أحمد، وكتاب السنة
 لعبد الله بن أحمد، والرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي، وشرح أصول اعتقاد أهل
 السنة للالكائي، وكتاب الإبانة الكبرى لابن بطة، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن
 القيم، ومحمد بن عبد الوهاب، وغير ذلك من الكتب هذه هي الكتب التي تبين الحق.
 وإياك أن تنزلق مع الحزبيين، فتأخذ كتبهم وتسلك طريقهم الضيق، وتمشي على
 نهجهم المعوج.

احذر يا أخي المسلم أن تأخذ كتب هؤلاء؛ فإنَّ حقها مخلوطٌ بالباطل، وستتَّها
 مشوبةٌ بالبدعة، فإذا أردت المشرب الصافي الذي لا كدر فيه؛ فعليك بكتاب الله، وبكتب

السنة وبكتب الآثار، واسلك طريقة أهل الأثر الذين يأخذون العلم بالسند عن أصحاب رسول الله ﷺ عن نبيهم -صلوات الله وسلامه عليه-، وما قالوه فإنه لا يخالف الحق الذي هم عليه.

ومن هنا تعلم أن قول المؤلف: (وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله وتبين الحق للناس، فعلى الناس الاتباع وترك الابتداع) أنه كلام في محله. ويلزمك أيضًا ترك كتب أهل البدع إن أردت النجاة لنفسك، وفقني الله وإياك إلى الأخذ بالحق ونبد كل باطل، وبالله التوفيق.



وَأَعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ -: أَنَّ الدِّينَ إِنَّمَا جَاءَ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لَمْ يُوَضَّعْ عَلَى عُقُولِ الرِّجَالِ وَآرَائِهِمْ، وَعِلْمُهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ، فَلَا تَتَّبِعْ شَيْئًا بِهَوَاكَ، فَتَمْرُقَ مِنَ الدِّينِ فَتَخْرُجَ مِنَ الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ لَكَ، فَقَدْ بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَأُمَّتِهِ السُّنَّةَ وَأَوْضَحَهَا لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ الْجَمَاعَةُ، وَهُمْ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ، وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ: الْحَقُّ وَأَهْلُهُ، فَمَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَقَدْ كَفَرَ [١].

[١] تتردد مثل هذه العبارة في كلام المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، ومثل هذا يحمل على واحدٍ

من ثلاثة أمور:

- ١- إمَّا أَنْ يَحْمَلَ عَلَى أَنَّهُ يَرِيدُ مِنْ جَحْدِ شَيْئًا مِنْ عَقَائِدِ الدِّينِ الْأَسَاسِيَّةِ؛ فَقَدْ كَفَرَ.
 - ٢- وَإِمَّا أَنْ يَرِيدَ بَأَنَّ عَمَلَهُ رُبَّمَا أَدَّى إِلَى الْكُفْرِ.
 - ٣- وَإِمَّا أَنْ يَرِيدَ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، أَيْ: كُفْرُ النِّعْمَةِ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ خَالَفَ شَيْئًا مِمَّا عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَكْفُرُ كُفْرًا يَخْرُجُ مِنَ الْإِسْلَامِ؛ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.
- فَقَدْ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَمَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي آخِرِ عَمْرِهِ: «لَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ إِلَّا هَذِهِ الصَّلَاةَ، وَهَذِهِ الصَّلَاةُ قَدْ ضَيَعَتْ»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: «أَلَيْسَ ضَيَعْتُمْ مَا ضَيَعْتُمْ فِيهَا» يَعْنِي: أَخْرَجْتُمُوهَا عَنْ أَوْقَاتِهَا، وَلَمْ يَكْفُرْهُمْ، وَلَمْ يَحْمَلَ قَوْلُهُ هَذَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ عَلَى كُفْرٍ مِنْ كَانُوا فِي زَمَنِهِ.

إِذَنْ فَقَوْلُهُ: (مَنْ خَالَفَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ؛ فَقَدْ كَفَرَ) يَحْمَلُ عَلَى الْمَحَامِلِ الَّتِي سَبَقَ أَنْ قُلْنَا هَا؛ لِأَنَّ مِنْ عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذَنْبٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَرَكًا أَكْبَرَ، أَوْ يَجْحَدَ حَكَمًا مَجْمَعًا عَلَيْهِ، أَوْ يَسْتَهْزِئَ بِالْدِّينِ وَأَهْلِهِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مَذْكُورٌ فِي نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَكْفُرُونَ أَحَدًا

(١) هَذَا الْأَثَرُ أوردته الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِجَمِيعِ رِوَايَتِهِ فِي كِتَابِ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ بَابِ تَضْيِيعِ الصَّلَاةِ عَنْ وَقْتِهَا.

وإن كان من الكبائر وإن أصرَّ عليه ومات عليه، لأن نصوص الكتاب والسنة تدل على هذه العقيدة.

أمَّا قوله: (اعلم - رحمك الله - أن الدين إنما جاء من قبل الله - تبارك وتعالى - لم يوضع على عقول الرجال وآرائهم) فهذا بين واضح.

والله ﷻ يقول: ﴿يَبْنِيْٓءَادَمَ اِمًا يَّاتِيْنٰكُمْ رُّسُلٌ مِّنْكُمْ يَقْضُوْنَ عَلَيْكُمْ ءَايٰتِيْ فَمَنْ اَتَقٰى وَاصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُوْنَ﴾ [الأعراف: ٣٥].

ويقول - تبارك وتعالى -: ﴿اَتَّبِعُوْا مَا اُنْزِلَ اِلَيْكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوْا مِنْ دُوْنِهٖ ءَاوِلِيَّاءَ قَلِيْلًا مَّا تَذَكَّرُوْنَ﴾ [الأعراف: ٣].

والله ﷻ يقول: ﴿يٰٓاَيُّهَا الَّذِيْنَ ءَامَنُوْا اتَّقُوا اللّٰهَ حَقَّ تُقَاتِهٖ وَلَا تَمُوْنُوْا اِلَّا وَاَنْتُمْ مُّسْلِمُوْنَ ﴿١٢٦﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيْعًا وَلَا تَفَرَّقُوْا وَاذْكُرُوْا اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْكُمْ اِذْ كُنْتُمْ اَعْدَآءًا فَالَفَ بَيْنَ قُلُوْبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهٖٓ اِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلٰى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَاَنْقَذَكُمْ مِّنْهَا كَذٰلِكَ يُبَيِّنُ اللّٰهُ لَكُمْ ءَايٰتِهٖٓ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُوْنَ ﴿١٢٧﴾ وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ اُمَّةٌ يَّدْعُوْنَ اِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُوْنَ بِالْعُرُوْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ؕ اُوْلٰٓئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُوْنَ ﴿١٢٨﴾ وَلَا تَكُوْنُوْا كَالَّذِيْنَ تَفَرَّقُوْا وَاخْتَلَفُوْا مِنْۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنٰتُ ؕ وَاُوْلٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

إذن ما هو حبل الله، وما هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه؟
إنه ما جاء عن الله مبلّغاً من رسول الله ﷺ من الكتاب والسنة.

ولنعلم أن الله ﷻ لم يجعل الحق على عقول الرجال ولا على أهواء الناس؛ لأن عقول الرجال مختلفة، وأهواءهم متضادة ومتباينة؛ فلو كان الحق على أهواء الناس لكان مختلفاً كاختلاف ألوانهم ووجوههم وطبائعهم، ولكن الحق هو ما جاء من الله على لسان رسوله ﷺ.

والله ﷻ يقول: ﴿وَلَوْ اَتَّبَعَ الْحَقُّ اَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْاَرْضُ وَمَنْ فِيْهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١].

إذا عقلت ذلك أيها الطالب فعليك أن تبحث عن الحق في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ، لا في زبالة الأذهان، ولا في حثالات العقول، فالحق غير ذلك كله، والله ﷻ يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

فيا من يريد الإنصاف، ويا من يريد السلامة لنفسه عليك بما جاء من الله، فقد ضمن الله حفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

فحفظ الله القرآن من إفك المنجمين والعرفان والكهنة، ومنع الشياطين من استراق السمع حين إنزاله، لئلا تختطف شيئاً منه فتلقيه على السنة بعض الكهّان، فيأتي بعضهم بشيء منه فيلبس الحق مع الباطل، ولكن الله صفاه من ذلك حين إنزاله، وحفظه فيما بعد من زيغ الزائغين وكيد الكائدين وإفك المؤتفكين حتى وصل إلينا حقاً واضحاً سليماً من الدخائل.

وحفظ الله السنة برجال هياهم الله لحفظها فميزوها من كل دخيل، وصانوها من كل ما أدخله الزائغون فيها، حتى أصبحت واضحة كوضوح الشمس بينة كفلق الفجر، وهكذا هياهم الله علماء الحديث في كل زمن ليميزوه من كل ضعيف، ومن كل موضوع ومكذوب.

وبهذا تعلم أن الحجة قد قامت، وما عليك إلا أن تتبع الحق وتبحث عنه في مصادره لتعلمه وتعمل به، وتدل عليه من استرشدك.

ثم اعلم أن الحق ما جاء من عند الله ومن عند رسوله ﷺ من كتاب وسنة وإن قل أهلُه ومعتنقوه.

فما جاء من الشرع فهو الحق المأمور باتباعه وإن خالفه أكثر الناس وقل متبعوه؛ فالله ﷻ يقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البجائية: ١٨].

فاحرص يا عبد الله على اتباع الحق، وسلوك الصراط المستقيم، والافتداء بالسلف الأول أصحاب رسول الله ﷺ، ولا تستوحش من قلة السالكين وكثرة المخالفين؛ فقد كان

إبراهيم عليه السلام أمةً وحده، وبالله التوفيق.

وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يَبْتَدِعُوا بِدْعَةً قَطُّ حَتَّى تَرَكَوا مِنَ السُّنَّةِ مِثْلَهَا، فَاحْذَرِ
الْمُحَرَّمَاتِ مِنَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٍ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَالضَّلَالَةُ وَأَهْلُهَا فِي
النَّارِ [١].

[١] أقول: قصد المؤلف أنَّ من ترك السُّنَّةَ وابتدع البدعة، فإنَّه قد أتى بأمرين
مُحذَورين: أحدهما: ترك السُّنَّةِ، والآخر: ابتداع البدعة؛ فإحداث البدع ملازمٌ لترك السنن؛
فما ابتدع عبْدٌ بدعةً إلَّا وقد ترك سنةً.

فإيَّاكَ أن تدخل في هذا المحذور الذي خالفت به المأمور، وإنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لا يثيب إلَّا
على اتباع سنة رسولهِ ﷺ، ومن ترك شيئاً من السنن فقد ترك شيئاً من القرآن، لأنَّ الله قد أمر
في كتابه باتباع رسولهِ ﷺ في آياتٍ كثيرة.

منها: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٥].

فأخبر أن ترك الاستجابة له ﷺ ولرسوله ﷺ موجبٌ للفتنة التي لا تصيب الظالم
خاصةً، بل أنها تعمُّ.

وقال في آية ٣١ من آل عمران: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

فالوعيد على من ترك السنن وأحدث البدع وعيدٌ عظيمٌ قد رصدته آياتٌ من القرآن
كما في آيات الأنفال التي سبق ذكرها.

وكما في آيات سورة النور: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٨-٥٠].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ أَلْهَدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ
الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَتُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وكما في قول النبي ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني؛ فقد أبى»^(١).

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، وأحمد في مسند باقي المكثرين من الصحابة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. والأحاديث في اتباع سنة النبي ﷺ كثيرة، وإليك بعضها زادك الله حرصاً لاتباع سنة رسولنا محمد ﷺ. فمن الأدلة التي حثَّ فيها المصطفى ﷺ على وجوب متابعتة في العبادة، وتقديم طاعته ﷺ على طاعة كل أحد: ما جاء في صحيح الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ من حديث جابر بن عبد الله الطويل، والذي بين فيه صفة حجة النبي ﷺ قد ذكر فيه قوله ﷺ: «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت، وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد».

وعند أصحاب السنن بسند صحيح من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله، إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، من يعيش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ».

وأخرج الترمذي، وابن ماجه، والدارمي بسند حسن حديث المقدم بن معديكرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإنّ ما حرم رسول الله كما حرم الله».

وفي الحديث المتفق عليه عند البخاري ومسلم من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوماً، فقال: يا قوم إنّي رأيت الجيش بعيني، وإنّي أنا النذير العريان فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا -يعني: ساروا في آخر الليل- فانطلقوا على مهلهم فنجوا».

وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم فصبّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم -أي استأصلهم بالقتل=

وإنَّ المبتدع عاصي الله ولرسوله، متَّبِعٌ لهواه، معظَّمٌ لنفسه، مدَّعٍ بلسان حاله أنَّ رأيه وهواه خيرٌ ممَّا جاء به الرسول ﷺ؛ فاحذر أن تكون من أولئك، فتكون متوعدًا بالنَّار والعياذ بالله، وبالله التوفيق.



والأسر-؛ فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق». وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بسند حسن قال: خطَّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطاً ثمَّ قال: «هذا سبيل الله»، ثمَّ خطَّ خطوطاً عن يمينه وشماله ثمَّ قال: «هذه سبيل على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثمَّ تلا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

واحذر صِغَارَ الْمُحَدَّثَاتِ مِنَ الْأُمُورِ، فَإِنَّ صِغَارَ الْبِدْعِ تَعُودُ حَتَّى تَصِيرَ كِبَارًا، وَكَذَلِكَ كُلُّ بَدْعَةٍ أُحْدِثَتْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ كَانَ أَوَّلُهَا صَغِيرًا يُشَبِّهُ الْحَقَّ، فَاعْتَرَّ بِذَلِكَ مَنْ دَخَلَ فِيهَا، ثُمَّ لَمْ يَسْتَطِعْ الْخُرُوجَ مِنْهَا، فَعَظُمَتْ وَصَارَتْ دِينًا يُدَانُ بِهَا فَخَالَفَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ فَخَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَانْظُرْ -رَحِمَكَ اللَّهُ- كُلَّ مَنْ سَمِعْتَ كَلَامَهُ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ خَاصَّةً فَلَا تَعْجَلَنَّ، وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي شَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى تَسْأَلَ وَتَنْظُرَ: هَلْ تَكَلَّمَ فِيهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، أَوْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ؟ فَإِنْ أَصَبْتَ فِيهِ أَثَرًا عَنْهُمْ فَتَمَسَّكَ بِهِ، وَلَا تُجَاوِزْهُ لِشَيْءٍ، وَلَا تَخْتَرْ عَلَيْهِ شَيْئًا فَتَسْقُطَ فِي النَّارِ [١].

[١] وأقول: إِنَّ المؤلف قال هنا قَوْلَ مجرَّب في هذا في كون صغار المحدثات تنقلب كبارًا، وقد يغتر بها الإنسان لأن فيها شبهًا من الحق.

فمثلاً عقيدة الخوارج ما هو أولها؟ أولها أنه في موقعة النهروان كاد أصحاب علي أن يتغلبوا على أهل الشام أصحاب معاوية، وذلك بعدما قتل عمَّار بن ياسر رضي الله عنه.

وقد روى كثير من الصحابة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ»^(١).

فرأى أصحاب معاوية أن يرفعوا المصاحف على الرِّمَاح ويقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فعند ذلك توقف أصحاب علي، وقالوا: لا نقاتل قومًا يدعوننا إلى كتاب الله. فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل، استمرُّوا في القتال، فأبوا وعند ذلك سعى السَّاعُونَ وذهبوا وجاءوا بين علي ومعاوية.

واتفق رأي الصحابيِّين الجليلين رضي الله عنهم على أن يحكِّمًا بينهما حكمين، وخرجت فئة من أصحاب علي وقالوا: لا حكم إلا لله، فناظرهم علي بن أبي طالب، وقال لهم: إن الله قد أمر بالحكمين فيما بين امرأة وزوجها، وأمر بالحكمين في شيء من الصيد، فأبوا أن

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشرط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

يقبلوا، فلمَّا رجعوا خرجوا إلى موضعٍ يقال له حروراء، فكان مبدأ نحلة الخوارج قولهم: لا حكم إلا لله.

وهذا كلامٌ ظهر منه لأول مرة أنه حق، ولكنهم بعد ذلك قالوا: إنَّ عليًّا حَكَمَ الرجال في دين الله، وبنوا على ذلك أنه قد كفر، ثمَّ كفَّروا سائر الصحابة ما عدا أبي بكرٍ وعمر^(١). فهذا مثال لما ذكره المؤلف أنَّ البدعة تظهر صغيرة، وتكون في أول أمرها شبيهةً بالحقِّ ثمَّ لا يزال الشيطان بصاحب البدعة يرغبه فيها حتَّى تكبر، ولهذا قال: (ثمَّ لم يستطع المخرج منها وعظمت، وصارت ديناً يدان به مخالفاً للصراط المستقيم) أي: تركه يستحسن هذه البدعة.

أمَّا قوله: (فخرج من الإسلام) فهذا أيضاً مثل ما سبق في قوله: (فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيء من أمر الدين فقد كفر) فهذا لا نوافقه عليه، ولا يوافقه عليه أهل السنة والجماعة إلاَّ أن يكون ذلك لتأويل، ولو قال: فخرج من الإيمان إلى الإسلام؛ لكان أفضل.

وهو رَحِمَهُ اللهُ يبالغ في كثيرٍ من الأحيان بمثل هذه المبالغة التي تستلزم إكفار المسلم ببدعةٍ قد لا تُخرج من الإسلام لأول مرة، فالبدع منها مكفرة ومفسقة، وإطلاق الكلام بالكفر في كل بدعة خطأ يجب أن يحذر طالب العلم منه.

قوله: (فانظر رحمك الله كلَّ من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصَّةً؛ فلا تعجلن ولا تدخلن في شيء منه حتَّى تسأل وتنظر: هل تكلم فيه أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ أو أحدٌ من العلماء...) إلى آخر ما قال في هذا المقطع.

(١) لمزيدٍ من الاستقصاء حول هذا المثال الذي ذكره شيخنا النجمي حول نشأة نحلة الخوارج راجع أخي طالب العلم والهدى حوادث سنة ٣٧ في تاريخ الطبري ١٠٩/٣ - ١٢٥ (طبعة دار الباز)، والبداية والنهاية لابن كثير في نفس السنة ٢٥٨/٧ - ٢٩٤، أفاد بذلك أخونا السلفي أحمد بن عبد الله الحكمي - جزاه الله خيراً -.

وأقول: رحم الله المؤلف، فقد دلَّ على الخير بهذا الكلام، وأمر بالتأني في دخول شيء من الأمور المستجدة، فإن سمعت أحدًا يدعو إلى منهج الإخوان المسلمين، فلا تتعجل بالموافقة ولا تأخذ بشئائه على هذا المنهج.

وإذا سمعت أحدًا يدعو إلى السروية أو القطبية أو إلى جماعة التبليغ؛ فلا تتعجل بالموافقة ولا تلقي بنفسك في هذا الميدان قبل أن تسأل وتنظر وتبحث، وتفكر تبحث مع من يعرفون هذا المنهج ممن لم يدخلوا فيه، أو مع من دخلوا فيه وتركوه، أو مع من قرءوا عنه حتى تتبين لك الحقيقة.

فإنك بالتعجل تقع في ورطة وفي شبكة الحزبية التي تريد أن تستولي عليك وتريد أن تضمك إلى صفوفها، فتكون مبتدعًا ومدافعًا عن المبتدعين، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. فكم من ضحايا لهذه المناهج وبالتعجل إليها! كم من ضحايا وقعوا في فخاخها قبل أن يتعرفوا على عيوبها! ولهذا وقعوا فيها.

ولذلك فإنني أحذرك كما حذرك صاحب هذا المتن -أي صاحب كتاب شرح السنة- أحذرك من التعجل إلى هذه الحزبيات، وأدعوك إلى التأني والبحث، فخذ من الكتب المؤلفة في نقد هذه الحزبيات خذ منها أي من هذه الكتب، واقرأ عن هذه الحزبيات قبل أن تدخل فيها، فإذا وجدت الحق فلا تختر عليه شيئاً فإنك لا تسأل إذا وضعت في قبرك إلا عن رسول الله ﷺ الذي لا تصح ولا يصح أذانك، وقبل ذلك لا يصح إسلامك إلا بالشهادة له بالرسالة مضافة إلى الشهادة لله بالوحدانية.

ولست مسئولاً عن فلان ولا فلان فاتق الله في نفسك واحذر من الوقوع في مغبة الحزبيات فإنك ستندم إن وقعت فيها إمّا عاجلاً، وإمّا أجلاً وليس لنفسك عوض تعترض عنها إن هلكت وخسرت لا والله، والله تعالى يقول: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، وبالله التوفيق.



وَأَعْلَمَ أَنَّ الْخُرُوجَ عَنِ الطَّرِيقِ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَمَّا أَحَدُهُمَا: فَرَجُلٌ قَدْ زَلَّ عَنِ الطَّرِيقِ، وَهُوَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الْخَيْرَ، فَلَا يُقْتَدَى بِزَلَلِهِ فَإِنَّهُ هَالِكٌ، وَرَجُلٌ عَانَدَ الْحَقِّ وَخَالَفَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ؛ فَهُوَ ضَالٌّ مُضِلٌّ، شَيْطَانٌ مَرِيدٌ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، حَقِيقٌ عَلَى مَنْ عَرَفَهُ أَنْ يُحَذِّرَ النَّاسَ مِنْهُ، وَيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ قِصَّتَهُ، لِئَلَّا يَقَعَ فِي بَدْعَتِهِ أَحَدٌ فَيَهْلِكَ [١].

[١] أقول: لو قيد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الهلكة والحكم بها، فقال: فَإِنَّهُ هَالِكٌ إِنْ مَاتَ وَلَمْ يَتَبَّ، وَأَقُولُ أَيْضًا: إِنْ إِرَادَةَ الْخَيْرِ لَا تَنْفَعُ الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ يَرِيدُ الْخَيْرَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْتَزِمَ بِالطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي جَاءَ عَنْ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ ﷺ.

فمثال ذلك: ما أخبر به عمرو بن يحيى قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا، فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد أنفًا أمرًا أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيرًا.

قال: فما هو؟

فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقتاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصي فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة؛ فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم؟

قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك وانتظار أمرك.

قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم؟

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلقة فوقف عليهم، فقال: ما هذا

الذي أراكم تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصي نعد به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ ألا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم! هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدي من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير!

قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه! إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قومًا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وإيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنوننا يوم النهر وان مع الخوارج^(١). رواه الدارمي رحمه الله. فدل هذا على أنه لا يكفي إرادة الخير؛ لأن كل عمل لابد أن يشترط له شرطان: الشرط الأول: أن يكون خالصًا لله.

الشرط الثاني: أن يكون صوابًا على ما شرع رسول الله ﷺ.

أصحاب البدع دائماً هم يقصدون التقرب إلى الله، ولكنهم لم يعرفوا الطريق التي يتقربون بها إلى الله، وليس عندهم من العلم ما يمنعهم من الدخول في البدع؛ فإن كان هذا الذي يريد الخير يسر الله له من يدعوه ويبيّن له، وصرف عنه شر أصحاب البدع الذين يحذرونه من طاعة الناصحين، فإنه إن تاب تاب الله عليه، وإن بقي على بدعته حتى يلقي الله بها كان ذلك نقصاً في إسلامه، وأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذبه.

ثم قال رحمه الله: (ورجلٌ عاند الحق، وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضالٌّ مضل شيطان مريد في هذه الأمة، حقيقٌ على من عرفه أن يحذر الناس منه، ويبين لهم قصته؛ لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك).

وأقول: إن الواجب على كل من عرف الحق أن ينصره، ومن عرف الحق من المبتدعة ويبت له تلك البدعة لكنه أبى أن يتركها، وتمسك بها ودافع عنها؛ فهو ضالٌّ مضل شيطان مريد كما قال المؤلف -رحمه الله تعالى-.

(١) رواه الإمام الدارمي في المقدمة باب كراهة أخذ الرأي برقم الحديث ٢٠٦.

وينبغي بيان حاله لمن يجهله وأن يحذر منه؛ لأنه سيغر أقوامًا من طلاب العلم فيدعوهم إلى بدعته ويغريهم بها ويضلهم، ولا عذر لمن عرف حاله أن يبينه للناس حتى تبرأ ذمته، وأن يحذر منه حتى يجتنبه الآخرون الذين لم يعلموا بدعته. ومن زعم أن الإنكار على أصحاب البدع تفريقٌ للأمة وتشتيتٌ لها؛ فهو ضالٌّ أيضًا؛ لأنه يريد اجتماع الأمة على باطل، وهذا أمرٌ لا يقره الإسلام؛ فالإسلام لا يقر مثل هذا الأمر. فإن ترك البيان إبطالٌ للجهد الذي أمر الله به سبحانه في قوله -جل وعلا-: ﴿يَتَأْتِيَهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكَفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمُ جَهَنَّمُ وَنِيسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]. وفي الحديث: «لا يمتنع أحدكم هيبة الناس أن يقول بحق إن رآه أو شهد»^(١)

(١) ورواه أيضًا الإمام الترمذي في سننه رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الفتن باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، ورواه ابن ماجه في سننه رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أشار الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ إِلَى صحة إسناده في السلسلة الصحيحة بلفظ: «لا يمتنع رجلًا هيبة الناس أن يقول بحق إذا علمه [أو شهد أو سمعه]» انظر ج ١ / القسم الأول ص ٣٢٢ برقم الحديث ١٦٨، وانظر إلى الروض النضير برقم ١٠٠١.

ومن لازم البيان والتوضيح لما في هذا الحديث الشريف عن النبي ﷺ أن نقول: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي على كل مسلم ومسلمة، ولكن ذلك يقيد بضوابط شرعية منها:

١- أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مخلصًا فيه الله تعالى لا يقصد من وراء ذلك مدحًا من الناس ولا شيئًا من أمور الدنيا الزائل.

٢- أن يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عالمًا بما يأمر به وما ينهى عنه بدليل واضح من الكتاب والسنة؛ فلا يأمر بشيء وينهى عن آخر من عند نفسه وهواه أو بشيء مخالف لما جاء ذكره في النصوص الشرعية.

٣- ألا يترتب على الإنكار باليد أو اللسان على شخص ما أو جماعة من الناس جلب ضررٍ أعظم أو مفسدةٌ كبرى؛ فالشرعية دعت إلى جلب المصالح وتكثيرها، وإلى درء المفاسد وتقليلها.

فمثلًا ما يقوم به بعض الجهلة بأصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من التشهير الواضح لبعض ولاة أمور المسلمين في بلد ما بذكر الخطأ الذي وقع فيه أمام الناس وفي مجامعهم بأن

سنده

صحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه، ومسنند أحمد (ج ٣ / ٤٧، ٥٠، ٥٣، ٨٤)، وبالله التوفيق.
ومن ناحية أخرى: فإنَّ هذا الصنيع يشجع أهل البدع ويجعلهم يسرحون ويمرحون
ويفعلون ما يشاءون من الضلال، ويدعون إليه الشباب، ويغرون به طلاب العلم؛
فيستفحل أمرهم، ويصعب علاجهم بسبب التقصير في الواجب وعدم الإنكار عليهم
والتحذير منهم.

فكأنَّ من يقول هذا القول يقصد تشجيع المبتدعين ونصرهم، ومن فعل ذلك فقد
شجّع البدعة وأعان على ترك السنّة، وسعى في وأد الحق وإبطاله، فكان بذلك مستحقاً

=

الوالي الفلاني صنع كذا أو قال كذا من المنكرات، فهذا خلاف هدي السلف -رحمهم الله تعالى-
في النصيحة لولاة الأمور؛ مما يسبب إثارة النفوس الضعيفة للوقوف والخروج على هذا الوالي؛
فتحصل من وراء ذلك المفاسد التي كان المسلمون في غنى عنها.
وإنَّ المتتبع للنصوص النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام- ليرى فيها بوضوح أنَّ الشريعة
المحمدية قيدت النصيحة المذكورة في حديث: «لا يمتنع أحدكم هيبة الناس أن يقول بحق إن رآه أو
شاهده» بأن تكون النصيحة لولاة الأمر على سبيل السرية والكتمان، وعلى ذلك يحمل معنى هذا الحديث.
دلَّ على ما قلته ما جاء في الحديث: أنَّ رسول قال: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبد له
علانية، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدب الذي عليه له» رواه أحمد.
ولما جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون
أنِّي لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول
من فتحه، ولا أقول لأحد يكون علي أميراً إنه خير الناس بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى
بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أفتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع
إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر؟ فيقول: بلى؛ قد
كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية» والله أعلم بالحق والصواب.

لغضب الله ﷻ ؛ لأنه آوى المحدثين، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «لعن الله من آوى محدثاً»^(١).

فيجب عدم السماع لمن يقول مثل هذا القول، بل ويجب إسكاته لأنه أعان على فُشو المنكر، وعلى انتشار البدع، ووأد السنن، وخالف أمر الله ﷻ لعباده المؤمنين حين أمرهم أن يأمرُوا بالمعروف، وينهوا عن المنكر وأن يجاهدوا في الله حق جهاده، وما أكثر هؤلاء في مجتمعنا، وإنَّا لله وإنا إليه راجعون، وبالله التوفيق.



(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله بلفظ: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار» وفي لفظ له: «لعن الله من غير منار الأرض» أي: حدودها.

وَأَعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ -: أَنَّهُ لَا يَتِمُّ إِسْلَامُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ مُتَّبِعًا مُصَدِّقًا مُسْلِمًا، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ قَدْ بَقِيَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الْإِسْلَامِ لَمْ يَكْفِنَاهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ كَذَّبَهُمْ، وَكَفَى بِهَذَا فُرْقَةً وَطَعَنًا عَلَيْهِمْ، فَهُوَ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ، مُحَدِّثٌ فِي الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ مِنْهُ ^(١) [١].

وَأَعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ -: أَنَّهُ لَيْسَ فِي السُّنَّةِ قِيَاسٌ، وَلَا تُضْرَبُ لَهَا الْأَمْثَالُ، وَلَا تُتَّبَعُ فِيهَا الْأَهْوَاءُ، بَلْ هُوَ التَّصَدِيقُ بِأَثَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِلا كَيْفٍ وَلَا شَرْحٍ، وَلَا يُقَالُ: لِمَ؟ وَلَا كَيْفَ؟ فَالْكَلَامُ وَالْخُصُومَةُ وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ مُحَدَّثٌ، يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَإِنْ أَصَابَ صَاحِبُهُ الْحَقَّ وَالسُّنَّةَ ^(٢) [٢].

[١] وأقول: إنَّ من لوازم الإيمان أن يعتقد المسلم: أنَّ الدين كامل لم يبق فيه نقص؛ فإن اعتقد فيه نقصاً فقد كَذَّبَ الله في خبره حيث يقول -جلَّ وعلا-: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فمن اعتقد فيه النقص فقد كَذَّبَ الله في الإخبار بكماله، وادَّعى خلاف ما دلت عليه هذه الآية، وهذا لا شكَّ أنَّه ضلال وطقنٌ في الرسالة، وتكذيبٌ لخبر الله ﷻ، وإحداثٌ في الإسلام؛ فليحذر المسلم من الوقوع في هذه الطائفة، وبالله التوفيق.

(١) إنَّ ما قاله المؤلف هنا من أنَّ من زعم أنَّه قد بقي شيءٌ من أمر الإسلام لم يكفينا أصحاب رسول الله ﷺ فقد كَذَّبَهُمْ وكفى بهذا فُرْقَةً، وطعنًا عليهم.. إلخ، فيه بيان أنَّ الصحابة -رضوان الله عليهم- هم الوساطة بيننا وبين نقل وحي الله ﷻ إلينا من خلال ما جاء في كتاب الله، وسنة نبينا محمد ﷺ؛ فالطعن فيهم وتنقصهم طعنٌ فيما جاءوا به من هذه الشريعة الغراء -على صاحبها أفضل الصلاة والسلام-. وإنَّ هذه لفريئةٌ عظيمةٌ تسبب الفرقة والتحزب بين المسلمين، وقد ذمَّ الله من فعل ذلك في كتابه بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. فليحذر كلَّ الحذر من التكلم بسوء في أحدٍ من صحابة رسول الله ﷺ مع علمنا بأنَّهم ليسوا بمعصومين من الخطأ والمعصية، ولكن حسبنا أن نقول أنَّ الله زكاهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وكفى بذلك شرفاً وفخراً.

(٢) أي ما جاء به الإمام البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا المتن.

[٢] أقول: إنَّ هذا الكلام ينطبق على السنن الواردة في العقائد، أمَّا غير العقائد

من

الأحكام الفرعية، فهذه قد حصل فيها الاختلاف، وبنيت عليها الأقيسة، وهذا مدوَّن في كتب الفقه وأصول الفقه، ولكنَّ المراد بهذا الكلام ما ورد في العقائد من آيات الصفات وأحاديثها الصحيحة، فهذه يجب الأخذ بها، وإمرارها كما جاءت، مع اعتقاد معناها الذي تقتضيه في اللغة العربية ولا يقال: لم كان كذا وكذا؟ وكيف كان كذا وكذا؟

وقد أنكر الإمام مالكٌ رَحِمَهُ اللهُ عَلَى من قال: رأيت قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ كيف استوى؟

فأطرق الإمام مالكٌ وعلته الرَّحُضَاءُ -أي: العرق- ثمَّ رفع رأسه، فقال: الإستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأنت رجل سوء أخرجوه، فأمر به فأخرج^(١).

إنَّ الكلام في الأصول والعقائد، والجدال فيها محدثٌ لم يأتِ إلَّا من أصحاب البدع، أمَّا أصحاب النبي ﷺ والتابعين وأتباعهم، بل وأهل السنَّة والجماعة جميعًا، فإنَّه لم يأتِ منهم جدالٌ في العقيدة، وإنَّما جاء الجدال من حين نبتت فرق الضلال كالجهمية والمعتزلة وغيرهم من فرق الضلال الذين استعملوا الكلام، وأخذوا بمقدمات المنطق، وتركوا الآثار.

(١) قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبد الغني المقدسي في كتابه البديع الاقتصاد في الاعتقاد ص ٨٦: أمَّا قول مالك فثابتٌ عنه أخرج البيهقي في الأسماء والصفات ص ٥١٦ من طريقين، وذكره الحافظ في الفتح ٤٠٦/١٣ -٤٠٧- وحكم بأن إسناده جيد، ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ٦٤٤ ج ٢/٣٩٨، وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف ضمن الرسائل المنيرية ١/١١١، وأبو نعيم في الحلية ٦/٣٢٥، والدارمي في الرد على الجهمية ص ٢٧، والذهبي في العلو ص ١٠٣، وقال: وهذا ثابتٌ عن مالك. اهـ

فكان عاقبة بعضهم أنه يندم عند موته، وقد مات بعضهم وعلى صدره صحيح البخاري^(١)؛ ذلك لأن مقدمات المنطق وإلزامات الكلام لا ينشأ عنها إلا شك - والعياذ بالله -،

(١) وهو لو ذكر اسم الغزالي لكان أفضل رَحِمَهُ اللهُ، وكذلك ندم في تعلم علم الكلام والخوض فيه، وترك تدبر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، والعمل بما فيهما من الآيات والحكمة.

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي في كتابه الذي صنّفه في أقسام اللذات:

نهاية إقدام العقول عقّال	وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جُسمنا	وحاصل دنيانا أذى وبّال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا	سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة	فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبالٍ قد علت شرفاتها	رجالٌ فزالوا والجبال جبال

ثم يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الآيات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ثم قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.

وكذلك قال أبو المعالي الجويني رَحِمَهُ اللهُ: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخلت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وهأنا أموت على عقيدة أُمّي أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور. انتهى من شرح العقيدة الطحاوية للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي رَحِمَهُ اللهُ ص ٢٤٣ وما بعدها بتحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرنؤوط.

وإن شئت فارجع أخي القارئ الكريم إلى كتاب درء تعارض العقل والنقل ١/ ١٥٩-١٦٢، والفتاوى ٧١/ ٤، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٨٢/ ٢، وتلبس إبليس ص ٩٠، وصون المنطق ص ١٨٣، وفتح الباري ١٣/ ٣٥٠.

كما أشير إلى ذلك في مقدمة كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ بتحقيق الشيخ سليمان بن عبد الله أبا الخيل والشيخ خالد بن علي المشيقح -

فاسأل الله ربك أن يجنبك طريق هؤلاء، وأن يجعلك من أصحاب الأثر المتبعين لما جاء عن الله ورسوله من دون التواء ولا إحداء، وبالله التوفيق.

وَأَعْلَمَ - رَحِمَكَ اللَّهُ -: أَنَّ الْكَلَامَ فِي الرَّبِّ تَعَالَى مُحَدَّثٌ، وَهُوَ بَدْعٌ وَضَلَالَةٌ، وَلَا يُتَكَلَّمُ فِي الرَّبِّ إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ ﷻ فِي الْقُرْآنِ، وَمَا بَيَّنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ، فَهُوَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - وَاحِدٌ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿الشورى: ١١﴾. رَبُّنَا أَوَّلُ بِلَا مَتَى، وَآخِرُ بِلَا مُنْتَهَى، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعِلْمُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، وَلَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ، وَلَا يَقُولُ فِي صِفَاتِ الرَّبِّ تَعَالَى: كَيْفَ؟ وَلِمَ؟ إِلَّا شَاكٌ فِي اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَالْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ وَتَنْزِيلُهُ وَنُورُهُ، وَلَيْسَ مَخْلُوقًا، لِأَنَّ الْقُرْآنَ مِنَ اللَّهِ، وَمَا كَانَ مِنَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، وَهَكَذَا قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَمِنْ قَبْلِهِمَا مِنَ الْفُقَهَاءِ وَمَنْ بَعْدَهُمَا وَالْمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ [١].

[١] أقول: إنَّ العقول عاجزة أن تصف الربَّ - جَلَّ وعلا - أو تتصوَّره أو تعرف كنهه وذاته، وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّه لا يجوز أن نخوض في هذا الباب، ولا أن نتكلَّم فيه إلَّا بما أذن لنا فيه، وهو ما جاءت به الرسل، لأنَّ الكلام في ذات الله بالظنون والأقيسة والآراء كله ضلال وهلكة.

ولا ينجو في هذا الباب إلَّا من أخذ بما جاءت به الرسل، وما جاء به رسولنا الكريم خاتم الرسل، وأعلامهم عند الله منزلة، وأعظمهم عنده جاهًا، وأكرمهم عليه ﷺ الذي أمره الله بالبلاغ في قوله: ﴿يَتَأْتِيَهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

فقد بلغ الرسول ﷺ القرآن الذي أنزله الله عليه مهيمناً على سائر الكتب، وبلغ السنة التي أوتيها كما جاء في الحديث: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»^(١) رواه أحمد وغيره.

فإذا وصفنا الربَّ تعالى بما وصف به نفسه لم يكن في ذلك تشبيهٌ له بخلقه، بل أنَّ ما ورد له من الصفات واجبُ الإيمان بها، وحمل تلك الصفات والأسماء على ما له من الكمال المطلق، وإن اتفقت مع صفات المخلوقين في الأسماء.

فإذا وصفنا الله بأنَّ له وجهًا فمعنى ذلك أنَّ له وجهًا لا يشبه الوجوه، وكذلك سائر الصفات؛ فنحن نحكم بهذه الآية: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] على سائر صفاته تعالى، فنثبت له ما أثبت لنفسه على الوجه اللائق بجلاله ﷻ.

فنثبت أنَّه الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء، كما قال ﷻ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وكما قال النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»^(٢). رواه مسلم وغيره.

وهو مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وعلمه بكل مكان، ولا يخلو من علمه مكان، مطلعٌ على عبادته ومسيطرٌ عليهم بقدرته وهيمته وعلمه وإطلاعه، يتصرف فيهم بما يشاء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ومشيتته هي النافذة فيهم، يخلق العبد إذا شاء، ومتى شاء،

(١) رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسند الشاميين برقم ١٦٥٤٦ من حديث المقدم بن معديكرب الكندي، وأشار إليه الإمام الألباني رحمه الله في كتاب الحديث حجة ص ٦، وفي صفة الصلاة ص ١٨٦، والإيمان ص ٣٧، وتحذير الساجد ص ٨٢، والمشكاة برقم ١٦٣، وقال: ورواه أبو داود في الأظعمة وفي السنة بسند صحيح، وقال: رواه الترمذي في العلم، وقال عنه الترمذي من طريق أخرى عن المقدم، وقال الترمذي: حديث حسن، وأشار إليه الألباني رحمه الله أيضًا في كتاب حديث الأحاد ص ٣٢.

(٢) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، في باب ما يكون عند النوم وأخذ المضجع.

ليس للعبد دخلٌ في خلق نفسه، ويمرضه إذا شاء، ويصحه إذا شاء، ويغنيه إذا شاء، ويفقره إذا شاء، ويميته إذا أراد.

فالعبد خاضعٌ لعظمة ربه ولقدرته عليه ولاطلاعهِ عليه وحكمه فيه وله بما له من القدرة الكاملة والمشيتة النافذة وَجَلَّ.

فنحن إذا اعتقدنا هذه العقيدة، وأثبتنا لله هذه الصفات؛ فقد خرجنا من عقيدة الجهمية

والمعتزلة الذين يعطلون صفات الله وَجَلَّ، وخرجنا من عقيدة أصحاب وحدة الوجود وأصحاب الحلول الذين يقولون: إنَّ الله متحدٌ بخلقه حالٌ فيهم -لعنة الله على من اعتقد ذلك-، وخرجنا من عقيدة المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً-.
أيُّها الأخ الكريم، والطالب اللبيب الذي يريد الحق، ويبحث عنه من مصادره عليك بتقوى الله وَجَلَّ، وعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم، وفقني الله وإياك للصواب، وجنِّبي وإياك موجبات الشك والارتياب.

قوله: (ولا يقول في صفات الرب تعالى لم؟ إلا شك في الله -تبارك وتعالى-).
أقول: إنَّ صفات الرب وَجَلَّ يجري عليها حكم ذاته، فإذا اعتقدنا أنَّ له ذاتاً لا تشبه الذوات؛ فإنه يجب أن نعتقد أنَّ له صفاتٍ لا تشبه الصفات، فمن قال في صفات الرب تعالى أنَّها تشبه صفات المخلوقين فإنه ضالٌّ يجب أن يعلم، ويوجه، وينصح، فإن أباي فينبغي أن يهجر.
ولا شك أنَّ كلام المبتدعة ربما انطلى على من لا يعلم، فإذا قالوا: أننا لو أثبتنا لله عينين مثلاً فقد شبَّهناه بخلقه، وإذا أثبتنا له يدين فقد شبَّهناه بخلقه، ربما ينخدع بهذا بعض الناس، فإذا بُيِّن له ولم يرجع عن قوله ويثبت لله ما أثبتته لنفسه؛ فهو مخطئٌ جاهلٌ ومعاندٌ ضالٌّ.
والذي ينبغي أن نتصوره في صفات الله وَجَلَّ أنَّ له صفاتٍ تليق بجلاله وَجَلَّ فهي وإن اتفقت مع صفات المخلوقين في الأسماء، فإنَّها تختلف عنها في الحقائق، وبذلك نميِّز بين صفة الخالق والمخلوق، وإذا كانت المخلوقات تتفاضل صفاتها ويعترف جميع الناس بالفرق بين صفة مخلوق ومخلوق، ففي صفة الخالق من باب أولى.

فمثلاً لو قلت لواحدٍ ممن يعطّلون صفات الله وَعَجَلًا بدعوى أن إثباتها تشبيهه، لو قلت لأحدٍ منهم: إنَّ عينك عين كلبٍ، ورجلك رجل قردٍ، ووجهك وجه خنزير، فإنَّه سيغضب عليك وربّما أنَّه قاتلك؛ لأنَّك شبّهته بأوضاع المخلوقات.

إذن فلنفكر ما هو موجب غضبه؟ إنَّ موجب غضبه أنَّه يرى أن للإنسان امتيازاً على هذه الأشياء، أي على هذه المخلوقات، فإذا اعترف بالفرق بين صفاته وصفات الكلاب والقرود والخنزير، أفلا يكون الفرق بين صفة الخالق والمخلوق أعظم؟!

نقول: بلى؛ فالفرق بين صفة الخالق والمخلوق متفاوتة، وليس هناك نسبة بين صفة الخالق والمخلوق، وفي هذا إلزامٌ لهم؛ أي: إلزامٌ للقائلين بلزوم الشبّه بين صفة الخالق والمخلوق إذا أُثبتت باتفاق الاسم فيها، وبهذا يتبيّن أن الفرق بين صفة الخالق والمخلوق فرقٌ عظيم لا نسبة فيه أبداً.

فيجب علينا أن نحكم بهذه الآية على صفات الرّب وَعَجَلًا، هذا من الناحية العقلية. ومن الناحية الشرعية أيضاً نفرّق بما فرّق الله وَعَجَلًا في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وإذا أردنا أن نعلم الفرق البعيد بين صفة الخالق والمخلوق، وأن اتحادها في الاسم لا يلزم منه المشابهة فمثلاً: الله -جلّ وعلا- أثبت لنفسه اسم الحي، وأثبت للمخلوق اسم الحي.

فقال -جلّ من قائل-: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقال: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩].

فهل يلزم من إثبات اسم الحي لله وَعَجَلًا وللمخلوق اتحاد الحياتين أو تشابههما؟

الجواب: لا يلزم من ذلك اتحاد الحياتين ولا تشابههما؛ فحياة الله وَعَجَلًا قديمةٌ بلا ابتداء، وباقيةٌ بلا انتهاء، والله تعالى غنيٌّ عن غيره، لا تقوم حياته بمؤثّرٍ فيها، أمّا المخلوق فحياته وجدت بعد أن لم تكن.

فمثلاً: نحن هذه المجموعة هل كان أحدٌ منّا معروف قبل مائة سنة؟

الجواب: لا، ثم بعد أن نموت جميعاً هل يبقى لأحد جسمٌ على الدنيا؟
 الجواب: لا، كلُّ منّا سيفنى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿الرحمن: ٢٦-٢٧﴾.

ثم أن حياتنا مفتقرة إلى محيٍ؛ أي: إلى مؤثرٍ فيها وموجدٍ لها وهو الله ﷻ، أما الله ﷻ فحياته لا تستلزم مؤثراً فيها وغناه كذلك، ومن هذا نعلم الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق، والإنسان في حياته مفتقرٌ إلى الله في إيجاده وفي حفظ وجوده.

فالله ﷻ خلق المخلوقات متنوعةً، والعوالم الثلاثة التي هي الجن والإنس والملائكة، وهي أيضاً؛ متنوعة فالملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينامون خلقهم الله على ذلك، فإذا أراد الله ﷻ فناء الدنيا إذا نفخ في الصور مات الملائكة جميعاً.
 والمهم أننا بالتأمل نعرف ذلك، والله هو المتصرف في هذا الكون، ومن هنا نعلم أننا إذا أثبتنا لله اسم الحي وصفة الحياة، فإنه لا يلزم من ذلك مشابهة حياة المخلوق الذي وجد بعد أن لم يكن، وسيفنى ثم يحييه الله خلقاً جديداً، وهو في زمن حياته لا يحيا إلا على الطعام والشراب والنوم.
 وقوله رَحِمَهُ اللهُ: (والقرآن كلام الله، وتنزيله، ونوره، وليس مخلوقاً؛ لأنَّ القرآن من الله، وما كان من الله ليس بمخلوق).

أي: أن القرآن كلام الله، وكلام الله صفةٌ من صفاته، وصفاته تعالى ليست بمخلوقة؛ فمن زعم أن القرآن مخلوق فقد كفر، هكذا قرر السلف -رحمهم الله تعالى-.
 الدليل على ذلك: قول الله ﷻ: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].
 وقوله ﷻ: ﴿تِلْكَ أَلْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وقوله: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].
 فالكلام صفةٌ من صفات الله ﷻ، وقد قرر السلف أن الكلام صفة من صفات الله قديم النوع، حادث الآحاد.

ما معنى قديم النوع؟

يعني: أن صفة الكلام صفة لله قديمةً بقدَمِهِ، ويتكلم متى شاء، وبما شاء من الأوامر التي يرسل الله ﷻ بها ملائكته من إحداث ما يريد: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة

حق، والنار حق؛ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»^(١). أخرجاه.

والشاهد منه قوله ﷻ في عيسى: «وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه»، والله ﷻ يقول: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. إذن في هذه الآيات إثبات الكلام لله ﷻ، وأنه قديم النوع حادث الآحاد، ويحدثه الله عند الحاجة إليه.

قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْيِيماً﴾ [الفرقان: ٣٣]. وبهذا نعلم خطأ من يقول أن الله خلق الكلام في الشجرة التي كلم الله موسى منها، فزعمهم هذا زعمٌ باطل، والذي يدمغهم أن يقال هل يصح أن تقول الشجرة لموسى: إني أنا ربك؟

فتبين من هذا أن الكلام صفة لله ﷻ مع العلم أن من لا يستطيع على الكلام، ولا يستطيع على التصرف لا يصلح أن يكون إلهاً، فالإله الحق هو الذي يتكلم، ويرزق، ويهدي

(١) رواه الإمام البخاري رحمته الله في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَعْلَمُوا فِي دِينِكُمْ﴾ الآية. ورواه الإمام مسلم رحمته الله في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

ويُضِلُّ، ويعزُّ، ويذلُّ، ويغني، ويفقر، ويُصِحُّ ويمرض، ويحيي، ويميت ومن لا يكون قادرًا على هذه الأمور فإنه لا يصلح أن يكون إلهًا؛ فمن زعم أن كلام الله مخلوق كالمعتزلة، والزيدية أو بتأويل كالأشعرية، فإنَّ زعمه هذا باطلٌ.

وأما حادثُ الأحاد: فلأنَّ الله ﷻ يحدث أحاده متى شاء.

والأحاد: هو الكلام في الأمور التي يريدُها الله، ويأمر بها ملائكته من إحياء، وإماتةٍ وصحةٍ، وسقمٍ، وعزٍّ، وذللٍّ، وغنىٍّ، وفقرٍ، وإكرامٍ وإهانةٍ إلى غير ذلك... وهذا لا يخفى، وبالله التوفيق.

وَالْإِيمَانُ بِالرُّؤْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَرَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِأَعْيُنِ رُءُوسِهِمْ وَهُوَ يُحَاسِبُهُمْ بِمَا
حَاجِبٍ وَلَا تَرْجُمَانٍ [١].

[١] تنقسم الرؤية إلى قسمين عامة وخاصة:

فالرؤية العامة في عرصات القيامة حينما يحاسب الله العبد يوقفه بين يديه ويحاسبه
على أعماله، ويُبَكِّتُهُ بما كان يعتقد إن كان كافراً أو منافقاً.

وقد جاء في الحديث من حديث أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا
يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟» قالوا: لا.
قال: «هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟» قالوا: لا. قال: «فوالذي
نفسى بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما». قال: فيلقى العبد
فيقول: أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل والإبل وأدرك ترأس
وتربع؟^(١) فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك
كما نسيتني. ثم يلقي الثاني فيقول: أي فل ألم أكرمك، وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل
والإبل، وأدرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا.
فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقي الثالث، فيقول له مثل ذلك يقول: يا رب آمنت
بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع؛ فيقول: ها هنا
إذن. قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد؛ علي فيختم
على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله؛ وذلك
ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه^(٢) رواه مسلم وغيره.

وقد جاء في الحديث أيضاً عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما

(١) قال شيخنا النجفي رحمته الله: (معنى فل) ترخيمٌ ونقلت الضمة في قول القائل يا فلان نقلت على
الحرف الذي بقي وهو وسط الكلمة وهذا قد جاء في الحديث هكذا معنى يا فل يا فلان. ترأس:

تصير رأساً. وتربع: تأخذ المربع وهو الربع من الغنيمة. اهـ

(٢) الحديث رواه مسلم رحمته الله في أول كتاب الزهد والرقائق.

منكم

من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة». زاد ابن حجر: قال الأعمش: وحدثني عمرو بن مرة عن خيثمة مثله وزاد فيه «ولو بكلمة طيبة»^(١). متفقٌ عليه واللفظ لمسلم.

فهذه أدلة على الرؤية العامة.

أما الرؤية الخاصة: فهي رؤية أهل الجنة في الجنة، وهي رؤية تنعم وتلذذ؛ قال الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

وفي حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر؛ فقال: «أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها -يعني: العصر والفجر-»، ثم قرأ جرير: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]^(٢) متفقٌ عليه.

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الطويل واللفظ لمسلم أيضاً قال: قلنا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانتا صحواً؟ قلنا: لا. قال: فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما»^(٣).

(١) الحديث رواه البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وفي باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، ورواه مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.

(٢) الحديث رواه مسلم واللفظ له في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، ورواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية. وأخرجه أيضاً الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.

فرؤية المؤمنين لربهم في الجنة رؤية نعيم إذا تجلّى لهم يذهلون عن كلّ ما هم فيه من النّعيم، ويرون أنّهم لم يؤثّروا شيئاً أفضل ممّا أوتوا، أي أفضل من الرؤية، وبالله التوفيق.
وَالْإِيمَانُ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يُوزَنُ فِيهِ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ، لَهُ كِفَتَانِ وَلَهُ لِسَانٌ [١].

[١] أقول: أمّا الكفتان: فكفّة للحسنات وكفّة للسيئات، وأمّا اللسان: فهي الشّوكة التي يعرف بها ميل الميزان إلى أيّ جهة كانت، والوزن حقّ توزن به أعمال العباد؛ قال تعالى: ﴿وَالْوِزَنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿ [الأعراف: ٨-٩].

لماذا قال في الشّخص موازين؟ لأنّ أعماله توزن، الصلاة توزن، هل أدت جميعاً أم لا أم كان فيها نقص؟ وهكذا الزكاة، والصوم، وسائر الأعمال.

قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الْقَارِعَةُ﴾ (١) مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا هِيَ ﴿١٠﴾ نَارُ حَامِيَةٍ ﴿ [القارعة: ١-١١].

وهل تكون الأعمال أجساماً فتوزن، أو أنّ الدواوين التي فيها كتابة الخير والشر هي التي توزن؟

وحديث البطاقة يدلّ على أنّ الدواوين هي التي توزن كما في حديث عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل مد البصر.

ثم يقول الله ﷻ: هل تنكر من هذا شيئاً؟

فيقول: لا يا رب.

فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟

فيقول: لا.

ثم يقول: ألك عذر ألك حسنة؟

فيهاب الرجل، فيقول: لا.

فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

قال: فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟!

فيقول: إنك لا تظلم؛ فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة».

قال محمد بن يحيى: البطاقة: الرقعة، وأهل مصر يقولون للرقعة: بطاقة^(١) رواه ابن ماجه. فهذا يدل على أن الدواوين هي التي توزن.

وقد اختلف أيضاً في وزن الأشخاص، هل يوزن الأشخاص أم لا؟ والصحيح: أنهم يوزنون.

والدليل على ذلك: ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ وأصحابه خرجوا يوماً إلى البادية، فارتقى عبد الله بن مسعود ﷺ يجتني الكباش، فجعلوا ينظرون إلى دقة ساقيه ويضحكون؛ فقال النبي ﷺ: «مِمَّ تضحكون؟» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه فقال: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»^(٢). رواه أحمد.

وجاء في الحديث أيضاً عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرءوا: ﴿فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، والحديث قد صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ٨٠٩٥ في ج ٢ / ١٣٤٥.

(٢) الحديث رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم ٣٩٨١ وفي مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم ٩٢٢ من حديث زر بن حبيش ﷺ، وكذا أخرجه الطيالسي برقم ٣٥٥ وابن سعد (٣/ ١٥٥) كما أشار إلى ذلك الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة ج ٦ / القسم الأول صفحة ٥٧٠ برقم الحديث ٢٧٥٠.

الْقِيَمَةِ وَزَنَّا ﴿ [الكهف: ١٠٥] ﴾^(١) متفقٌ عليه.

إذن فهذان النصان دليلان على أنَّ الأجسام توزن كما توزن الأعمال، وبالله التوفيق.

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَبُخِشَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُنْفَعُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنَّا﴾ [الكهف: ١٠٥] ورواه مسلم في أول كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

وَالْإِيمَانُ بِعَذَابِ الْقَبْرِ وَمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ [١].

[١] سؤال منكر ونكير قد ورد في عدة أحاديث منها: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأنَّ على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه، فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً.

ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر.

ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيء السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض.

قال: فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله ﻋَﻠَﻴْﻬِﻤُﻮﻟَﻮﻧَﺎ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت.

فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره.

قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عمالك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

قال: وإنَّ العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر.

ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض.

فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأفبح أسمائه التي كان يسمي بها في الدنيا حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له.

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفْنَحْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرْحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري.

فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه.

وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ، إِلَّا صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّ حَوْضَهُ ضَرْعُ نَاقَتِهِ [١].

ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك، هذا يومك الذي كنت توعده، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة^(١) رواه أحمد وغيره.

والأحاديث في عذاب القبر كثيرة وأهل السنة والجماعة يؤمنون بعذاب القبر وبسؤال منكر ونكير، أمّا المعتزلة فهم ينكرون عذاب القبر، والعياذ بالله. [١] وأقول: حوض النبي ﷺ حوض عظيم كما بين صنعاء وأيلة^(٢) أباريقه عدد النجوم ترد عليه أمتّه.

وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا». قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد».

فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟

فقال: «أرايت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

(١) رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسند الكوفيين برقم ١٨٠٦٣ واللفظ له، ورواه النسائي في كتاب الجنائز باب الوقوف للجنائز ورواه أبو داود في كتاب الجنائز باب الجلوس عند القبر وأيضاً أخرجه في كتاب السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، وأخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب ما جاء في الجنائز باب ما جاء في الجلوس في المقابر، والحديث صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ١٦٧٦ في ج ١/ ٣٤٦.

(٢) هذا الوصف الذي ذكره شيخنا أحمد لحوض النبي ﷺ ورد في صحيح الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرجه مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

قال: «فإنهم يأتون غرًّا محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليزادَنَّ رجال عن حوضي كما يذاذ البعير الضال أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقًا سحقًا»^(١) رواه الإمام مسلم، وغيره، واللفظ لمسلم.

وهل لكل نبيٍّ حوض؟

هذا محلُّ نظرٍ، ويحتاج إلى دليلٍ يثبتُه^(٢).

قوله: «إلا صالح فإنَّ حوضه ضرعُ ناقته» يقول المحقق^(٣): لم أجد دليلًا على هذه

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء، وأخرجه البخاري في كتاب المساقاة باب من رأى أنَّ صاحب الحوض والقرية أحقُّ بمائه.

(٢) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ فِي مجموعة فتاواه ورسائله في ج ٨ / ٥١٧ وعلى شرحه للعقيدة الواسطية عند قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (وفي عرصات يوم القيامة الحوض المورود لمحمد ﷺ ماؤه أشدُّ بياضًا من اللبن...) إلخ قال:

عاشراً: هل للأنبياء الآخرين أحواض؟ فالجواب: نعم؛ فإنه جاء في حديث رواه الترمذي وإن كان فيه مقال: «إنَّ لكل نبيٍّ حوضًا، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإنِّي أرجو أن أكون أكثرهم واردة» قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح.

ثم ذكر المحقق عمر بن محمود أبو عمر الذي حقق كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في ج ٢ / ٨٨٠ بأنَّ الحديث أخرجه الترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في صفة الحوض والبخاري في التاريخ الكبير (١ / ١ / ٤٤) وابن أبي عاصم في السنة (٢ / ٣٢٧ - ٣٢٨ ح / ٧٣٤) والطبراني في الكبير (٧ / ٢١٢ ح / ٦٨٨١) وفي مسند الشاميين (ح ٢٦٤٦) والحديث صحيح لشواهده، وقد صحح هذا الحديث الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السلسلة الصحيحة برقم ١٥٨٩.

ثم قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ بعد ذكره للحديث السابق: لكن هذا يؤيده المعنى، وهو أنَّ الله ﷻ بحكمته وعدله، كما جعل للنبي ﷺ حوضًا يردّه المؤمنون من أمته كذلك يجعل لكل نبيٍّ حوضًا

حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين، لكن الحوض الأعظم هو حوض النبي ﷺ. اهـ

(٣) المحقق هو الدكتور / محمد بن سعيد القحطاني في طبعة دار ابن القيم.

المسألة، فأرجو من أخي القارئ الكريم إن وجد شيئاً حول هذا أن يرشدني إليه؛ فالعلم رحمٌ بين أهله.

وأقول: لا أعرف في هذا شيئاً، أي بالنسبة أن حوض صالح ضرع ناقتة، والله تعالى أعلم^(١).

أمّا حوض رسول الله ﷺ فقد ثبت بالتواتر، وقد جاء في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ليردَّن علي الحوض رجال ممن صاحبنني حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلاقولنَّ أي رب أصحابي أصحابي، فليقالن لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»^(٢) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم.

وفي رواية: «فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا»^(٣) وبالله التوفيق.

(١) ذكر محقق هذا الكتاب المبارك الشيخ أبي ياسر خالد بن قاسم الراددي في طبعة مكتبة الغرباء الأثرية عند قول المؤلف رحمه الله: (إلا صالح رضي الله عنه) فإن حوضه ضرع ناقتة) بأن هذا جاء في حديث موضوع أخرجه العقيلي في الضعفاء (٣/ ٦٤-٦٥)، وعنه ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٤٤) من طريق عبد الكريم بن كيسان عن سويد بن عمير به مرفوعاً قال ابن الجوزي: حديث موضوع لا أصل له. قال العقيلي: عبد الكريم مجهول بالنقل وحديثه غير محفوظ. وقال الذهبي في ترجمة عبد الكريم هذا في الميزان (٢/ ٦٤٥): من المجاهيل وحديثه منكر، ثم أورد له الحديث المتقدم وقال عقبه: هو موضوع، والله أعلم.

وأخرجه حميد بن زنجويه وعنه ابن عساكر في تاريخه كما في الآلي المصنوعة (٢/ ٤٤٤ - ٤٤٥) من طريق آخر عن كثير بن مرة به مرسلاً بيد أنه لا يفرح بمثله فإسناده تالف مسلسل بالمجاهيل مع إرساله. اهـ

(٢) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض، والإمام مسلم في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٣) الحديث سبق تخريجه في ص ٧٧.

وَالْإِيمَانُ بِشَفَاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِلْمُذْنِبِينَ الْخَاطِئِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى الصِّرَاطِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنْ جَوْفِ جَهَنَّمَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَلَهُ شَفَاعَةٌ، وَكَذَلِكَ الصَّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ، وَلِلَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ تَفَضُّلٌ كَثِيرٌ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَالْخُرُوجُ مِنَ النَّارِ بَعْدَمَا اخْتَرَقُوا وَصَارُوا فَحَمًّا [١].

[١] وأقول: شفاعات رسول الله ﷺ كثيرة، فله شفاعات اختصَّ بها، وله شفاعات

يشارك فيها غيره.

فالتي اختصَّ بها ثلاثٌ:

- ١- وهي المقام المحمود، أي: الشفاعة في فصل القضاء.
- ٢- الشفاعة في استفتاح باب الجنة أو شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها.
- ٣- الشفاعة لأبي طالب، وإخراجه من غمرة النار إلى ضحضاحٍ منها.

وهناك شفاعاتٌ أخرى يشاركه فيها غيره:

- ١- وهي الشفاعة في قومٍ استحقوا دخول النار؛ فيشفع فيهم أن يعفوا من دخول النار.
- ٢- الشفاعة في أقوامٍ دخلوا النار وعذبوا فيها، فيشفع فيهم أن يخرجوا من النار فيخرجون منها.
- ٣- الشفاعة في أقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم؛ فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة، والشفاعة هذه عامة.

والشفاعات التي ذكرت وهي سبعٌ أو ثمان^(١)، فأما الثلاث الأولى فهو يختص بها باتفاق، والباقي يشترك فيها معه غيره من الملائكة، والمرسلين، والنبیین، وسائر المؤمنين. وحقيقة الشفاعة: هي إكرام الله للشافع، ورحمته بالمشفوع له، ثم هي لا تكون إلا للموحدين؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «لقد ظننت يا أبا هريرة ألا يسألني عن هذا الحديث أحد أول

(١) من الشفاعات العامة أيضًا: ٧- الشفاعة في قومٍ من أهل الجنة أن ترفع درجاتهم فيها.

وَالْإِيمَانُ بِالصِّرَاطِ عَلَى جَهَنَّمَ، يَأْخُذُ الصِّرَاطُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَجُوزُ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَيَسْقُطُ فِي جَهَنَّمَ مَنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلَهُمْ أَنْوَارٌ عَلَى قَدْرِ إِيمَانِهِمْ [١].

منك؛ لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»^(١) رواه البخاري. فنسأله ﷺ أن يشفع نبينا، وبالله التوفيق.

[١] أقول وبالله التوفيق: الصراط هو جسرٌ ممدود على متن النار، يمر عليه الموحّدون المسلمون الذين ماتوا على الإسلام، ولم يشركوا بالله شركاً أكبر يستوجب الخلود في النار. أمّا الكفار بجميع أنواعهم مشركون وثنيون وملحدون، وأهل الكتاب اليهود والنصارى وغيرهم من أنواع الكفار فهؤلاء يساقون إلى النار سوقاً، وتفتح لهم أبوابها السبعة، قال الله وَجَاءَ: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧١]. وقال في سورة الحجر: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]. فالذين كتبت عليهم الشقاوة الأبدية والخلود في النار -نستجير بالله من ذلك- هؤلاء يساقون إلى النار سوقاً، تسوقهم خزنة جهنم سوقاً، وتسوقهم الملائكة، ويدخلون فيها من أبوابها كلّ أهل ملّةٍ وعقيدة يدخلون في النار من بابٍ واحد. أمّا المسلمون فهؤلاء يضرب لهم الصراط على متن جهنم، فيمرّون عليه على قدر إيمانهم، وأوّل من يمر عليه رسول الله ﷺ، ثمّ يكون واقفاً عند الصراط يقول: «رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ»^(٢) رواه مسلم.

فيمر بعضهم كالمح البصر، وكالبرق الخاطف، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكسعي الرجال، ومنهم من يهرول، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف على بطنه، وعلى الصراط كالليب كشوك السعدان، وهو شجر له شوكة معقوفة يقال لها العقيفاء تضرب من أمرت

(١) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث وفي كتاب الرقاق باب في صفة الجنة والنار.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان وفي آخر حديث في باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها من حديث حذيفة رضي الله عنه.

وتلقه في جهنم، وقد ورد: «أنها تشبك بين الناصية والقدم»^(١).

قال تعالى: ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ سِيمَهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن: ٤١]، وهذا لا يكون إلا بكسر الظهر نسأل الله السلامة.

فالذين يمرون على الصراط ويسقطون منه هؤلاء يخرجون من النار بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين، ويطرحون على نهر الحياة أو نهر الحيا بعد أن صاروا حمماً، وتأخذ النار كل جسم الإنسان المصلي ما عدا مواضع السجود، فيأتي الشافعون فيعرفونهم بمواضع السجود منهم.

وحرام على النار أن تأكل مواضع السجود من المسلمين أصحاب الكبائر، فإذا طُرحوا على ذلك النهر نبتوا فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل؛ قال النبي ﷺ: «ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»^(٢) رواه البخاري.

وفي رواية لمسلم: «ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض»، فقالوا: يا رسول الله، كأنك كنت ترعى بالبادية.

قال: «فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه»^(٣).

(١) لم أجد حديثاً في هذا، وإنما ذكر أئمة التفسير وعلى رأسهم الإمام ابن كثير رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَنَّ معنى قول الله تعالى: ﴿يُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ أي يجمع الزبانية ناصية الكافر مع قدميه في سلسلة من وراء ظهره ثم يلقى في جهنم فيهي فيها سنين حتى يصل إلى قعرها.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلم أخرجه في كتاب الإيمان أيضاً من صحيحه باب معرفة طريق الرؤية والحديث عن الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رَحِمَهُمُ اللَّهُ.

(٣) ورد هذا في صحيح الإمام البخاري رَحِمَهُمُ اللَّهُ في كتاب الأذان، في باب فضل السجود، وفي كتاب

ثم يدخلون الجنة ويتبوءون منازلهم منها بعد أن طُهرُوا ونُقُوا من دنس الذنوب، ويكون لهم علامةٌ تبقى عليهم زمناً طويلاً فيعرفهم أهل الجنة، ويقولون: هؤلاء الجهنميون.

وقد ورد أنهم فيما بعد يسألون الله أن يزيل عنهم تلك العلامة؛ فتزول عنهم، وقبل أن يصلوا إلى الصراط يقتسمون النور؛ فمنهم من يكون له نور يسعى بين يديه كالجبل، ومنهم من يكون نوره كالنخلة بين يديه، ومنهم من يكون نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم من يكون نوره شمعة على ظفر إبهام رجله اليمنى تشع له مرةً فيتقدم وتنطفئ عليه مرةً فيقف^(١).

أما المنافقون النفاق الاعتقادي فهؤلاء يعطون نوراً مع المسلمين، ثم ينطفئ نورهم^(٢)، فيقولون للمسلمين: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾، وفي قراءة: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَائِكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ ويضرب بينهم: ﴿سُورِلَهُ بَابٌ بِأَطْنُفِهِ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]. وبهذا النور يمرُّون على الصراط، وهذا النور الذي يقتسمونه نورٌ حسي وهو بدلٌ عن النور المعنوي الذي استضاءوا به في الدنيا، والذي تشير له الآية في قول الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

فمن استضاء بنور الكتاب والسنة في الدنيا فاتبعه وعمل به؛ أعطاه الله عَجَلًا نوراً

=

الراقق، باب الصراط جسر جهنم، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ (٣٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿[القيامة: ٢٢-٢٣]، من حديث أبي هريرة ؓ.

(١) نقل ابن كثير ذلك عن ابن مسعود ؓ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]، وأشار إلى أن ذلك ورد عن ابن أبي حاتم وابن جرير -رحمهما الله-.

(٢) كما روى ذلك أبو القاسم الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِهِمْ سَتَرًا مِنْهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَأَمَّا عِنْدَ الصِّرَاطِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَعْطِي كُلَّ مُؤْمِنٍ نُورًا، وَكُلَّ مُنَافِقٍ نُورًا، فَإِذَا اسْتَوَوْا عَلَى الصِّرَاطِ سَلَبَ اللَّهُ نُورَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ، فَقَالُوا: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَنَا﴾ فلا يذكر عند ذلك أحدٌ أحداً» قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي حديثٌ صحيح.

حسباً يوم القيامة حتى يمر على الصراط ويدخل الجنة، وينبغي للمسلم أن يكون له حظ من نور الهداية الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ من كتاب وسنة، وبالله التوفيق.

وَالْإِيمَانُ بِالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ [١].

[١] هاتان الفقرتان وهو الإيمان بالأنبياء، وكذلك الإيمان بالملائكة هما ركنان من أركان الإيمان، فلا يقبل إيمان عبد حتى يؤمن برسل الله ﷻ، وبملائكته ﷻ.

فيجب علينا أن نؤمن بالرسول ورسالاتهم السابقة على سبيل الإجمال، ونؤمن برسالة نبينا محمد ﷺ على سبيل التفصيل من سمي منهم يجب أن نؤمن به باسمه وعينه، وهم خمسة وعشرون رسولاً، ومن لم يسم منهم فنحن نؤمن به على سبيل الإجمال، وقد ورد في عدد الأنبياء حديث عند الإمام أحمد أنهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، وأن الرسل ثلثمائة وبضعة عشر^(١).

والفرق بين النبي والرسول: هو أن النبي من أوحى إليه بشرع من قبله، والرسول من أوحى إليه بشرع مستقل؛ فالأنبياء يُعدّون مجددين لرسالات كانت قبلهم، والرسول يعدّون مؤسسين.

ونؤمن أن هؤلاء مرسلين من ربهم لهداية البشرية، فمنهم من قصّ الله علينا خبره ومنهم من لم يقصص علينا، وطوى أخبارهم في علم الغيب.

أما الملائكة: فهم عباد الله المكرمون يعبدون الله ﷻ، ولا يعصونه طرفة عين، ويطيعونه فيما أمر، ويفعلون ما يؤمرون، وأعدادهم لا يعلمها إلا الذي خلقهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

(١) أخرجه أحمد في مسند باقي الأنصار من حديث أبي ذر برقم ٢٠٥٧٢ وجاء بلفظ: قلت: فأبي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: أو نبي كان يا رسول الله؟ قال: «نبي مكلم» قلت: فكم المرسلون يا رسول الله؟ قال: «ثلثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا».

وجاء بلفظ آخر قال: قلت: يا رسول الله، كم وفي عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا» رقم الحديث ٢١٢٥٧.

وقد جاء في حديث المعراج الصحيح^(١) أَنَّ النبي ﷺ وجد البيت المعمور في

السماء

السابعة، وإذا هو يزوره كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثم لا يعودون إليه آخر ما عليهم. فإذا كانوا منذ خلق الله السموات السبع وخلق الليل والنهار كل يوم يزور البيت المعمور سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، فهذا يدل على كثرتهم بحيث لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم، فمن كان منهم مسمى كجبريل أمين الله على الوحي، وإسرافيل أمين الله على الصور، وميكائيل الموكل بالأرزاق والأمطار والنبات، وعزرائيل الموكل بقبض الأرواح، إلا أن تسميته بعزرائيل لم ترد في حديث صحيح، وحملة العرش وغيرهم من الملائكة، فمالك رئيس خزانة جهنم، ورضوان رئيس خزانة الجنة، كل هؤلاء مسمين، والذين لم يُسموا كالملائكة الموكلين بالأرحام، وملائكة البحار، وملائكة الجبال، وملائكة الرياح، والملائكة الذين وكلهم الله بالذكر إذا وجدوا قومًا يذكرون الله جلسوا إليهم... إلى غير ذلك.

وكلهم لا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينكحون، ولا يتناسلون، ولا يموتون إلا عند النفخ في الصور، والملائكة الكروبيون الذين هم حول العرش، وقد جاء في الحديث الصحيح: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمئة عام، يقول ذلك الملك: سبحانك حيث كنت»، وفي رواية: «ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمئة سنة»^(٢).

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء خلق الخلق في باب ذكر الملائكة، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلاة من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه أبو داود (٤٧٢٧)، والطبراني في الأوسط كما في المنتقى منه للذهبي (٢/٦)، وفي حديثه عن النسائي (٢/٣١٧)، وابن شاهين في الفوائد (٢/١١٣)، وأبو الشيخ في العظمة (٣/٩٤٨ - ٩٤٩)، والبيهقي في الأسماء (٣٩٨)، وابن عساكر في المجلس (١٣٩) من الأمالي (٥٠/ =

فنؤمن بهذا الخلق العظيم من الملائكة، وكلهم لهم أجنحة يطرون بها، ولا يعلم كيفية خلقهم إلا الله عَزَّوَجَلَّ؛ فعلينا أن نؤمن بمن عيَّن على التعيين، ومن لم يعيَّن نؤمن به في الجملة، وبالله التوفيق.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، وَأَنَّهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، الْجَنَّةُ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، وَسَقْفُهَا الْعَرْشُ، وَالنَّارُ تَحْتَ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ السُّفْلَى، وَهُمَا مَخْلُوقَتَانِ، قَدْ عَلِمَ اللَّهُ تَعَالَى عَدَدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، وَعَدَدَ أَهْلِ النَّارِ وَمَنْ يَدْخُلُهَا، لَا تَفْنِيَانِ أَبَدًا، بَقَاؤُهُمَا مَعَ بَقَاءِ اللَّهِ أَبَدَ الْأَبَدِينَ، وَدَهْرَ الدَّاهِرِينَ [١].

[١] وأقول: إنَّ الجنة والنار مخلوقة، وقد ثبت ذلك بنصوص كثيرة^(١) منها إخبار الله تعالى عن آدم أنه خلق في الجنة، والأصح أنها الجنة التي يدخلها المؤمنون. ومنها: أحاديث صحاح واردة في الصحيحين وغيرهما كقول النبي ﷺ في خطبة

=

(١)، وفي التاريخ (١٢/٢٣٢/١) عن إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً، انظر السلسلة الصحيحة للإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ ج ١ القسم الأول صفحة ٢٨٢ برقم الحديث ١٥١.

(١) كما في قول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]. وكذا ما جاء في قول الله سبحانه: ﴿وَيَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: ١٩]. وكما ورد في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَنْبِئُ آدَمَ لَا يَفْنِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧]. وكما جاء في قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَقُلْنَا يَتَادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي دلت بمنطوقها وبان لنا بمفهومها بأنَّ أبانا آدم وأُمَّنا حواء -عليهما السلام- كانا في الجنة منعمين، فأهبطا منها بسبب أكلهما للشجرة التي نهاهما الله عن أكلهما: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى ﴿١٦﴾ ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَغَابَ عَلَيْهِ وَهْدَى﴾ [طه: ١٢١-١٢٢]. فنعوذ بالله من إبليس وأعوانه الذين لا يألون جهداً في إغواء بني آدم ما دموا في زمن الحياة والعمل، ونسأله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنبنا وإياكم من نزغاته ووساوسه، وأن يغفر لنا سيئاتنا وسوء أعمالنا، وأن يتقبل منا صالح العمل، وبالله التوفيق.

صلاة الكسوف: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله؟».

قالوا: يا رسول الله، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك كعكعت.
قال ﷺ: «إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلت منه ما بقيت الدنيا، وأريت النار فلم أر منظراً كالיום قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء».
قالوا: بَمَ يا رسول الله؟

قال: «بكفرهن».

قيل: يكفرن بالله؟

قال: «يكفرن العشير ويكفرن الإحسان؛ لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»^(١) متفق عليه.
ومنها: ما رواه البخاري ومسلم -واللفظ للبخاري- من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا؟ قالوا: هذا لعمر فذكرت غيرتك، فوليت مدبراً» فبكى عمر وهو في المجلس ثم قال: أو عليك يا رسول الله أغار؟!^(٢).

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأذان باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة وأخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب صلاة الكسوف جماعة، وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب النكاح باب كفران العشير وهو الزوج وهو الخليط من المعاشرة فيه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الكسوف باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب النكاح باب من فضائل عمر رضي الله عنه، وفي كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي، وفي كتاب التعبير باب القصر في المنام من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه من حديث جابر بن عبد

إلى غير ذلك من الأحاديث التي تثبت أن الجنة والنار موجودتان الآن. أما كونهما لا يفنيان فهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن أراد أن يستزيد في هذا الموضوع، فليقرأ كتاب كشف الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للأمر الصنعاني بتحقيق الألباني رَحِمَهُ اللهُ^(١).

وقد علم الله أهل الجنة وعددهم وأسماءهم، وأهل النار وعددهم وأسماءهم، ومن يدخلون الجنة بعد عذاب في النار، ومن يدخلون الجنة قبله، وقد جاءت في ذلك أحاديث لا تطيل في ذكرها.

منها: الأحاديث التي وردت في مسح رب العزة ظهر آدم، واستخراج ذريته منه كالذر، وأن الله تَعَالَى قبض منهم، قبضة يمينه وقال: هذه لهذه ولا أبالي، أي: للنار وقبض قبضة أخرى بيده الأخرى - جل وعلا - فقال: هذه لهذه ولا أبالي،^(٢) أي للجنة.

ومنها: ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص قال: خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: «أتدرون ما هذان الكتابان؟» قلنا: لا يا رسول الله، إلا أن تخبرنا، فقال للذي

=

الله أيضًا.

(١) لمزيد من التوسع في موضوع الجنة والنار، وأنهما لا تفنيان أبدًا، والرد على من قال بفنائهما، فليرجع كذلك إلى كتاب توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين للعلامة مرعي الحنبلي رَحِمَهُ اللهُ، وكشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار للشيخ الدكتور علي بن علي جابر - حفظه الله - كما أشار إلى ذلك محقق هذا الكتاب الشيخ أبو ياسر خالد الراددي - حفظه الله - عندما علق على هذه المسألة في هذا الكتاب المبارك.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٧٠٨٨ ولمزيد من الاستدلال بشيء من الأحاديث حول هذه المسألة فليرجع في ذلك إلى تفسير ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ وذلك عند تفسيره للآية رقم ١٧٢ من سورة الأعراف، وهي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

في يده اليمنى: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً».

ثم قال للذي في شماله: «هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزداد فيهم ولا ينقص منهم أبداً».

فقال أصحابه: فقيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: «سدّدوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل».

وَأَدْمُ التَّائِبِينَ كَانَ فِي الْجَنَّةِ الْبَاقِيَةِ الْمَخْلُوقَةِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا بَعْدَمَا عَصَى اللَّهُ ﷻ [١].

ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما، ثم قال: «فرغ ربكم من العباد: فريق في الجنة وفريق في السعير»^(١) أخرجه أحمد والترمذي.

فهذا يدل على أن الله قد علم من يدخل الجنة ومن يدخل النار قبل خلق السموات والأرض، وبالله التوفيق.

[١] أقول: لحكمة أرادها الله ﷻ خلق آدم في الجنة وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ كَعِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَنْتَهِمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١١٩﴾ طه: ١١٦-١١٩].

وأباح له أشجار الجنة جميعاً، ونهاه عن شجرة واحدة، ليبين له ولذريته عداوة إبليس، وأن المعصية يترتب عليها حرمان الجنة والدخول في النار، والعياذ بالله.

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار، وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه برقم الحديث ٦٢٧٥ وقد صحح هذا الحديث الإمام الألباني رحمته الله في صحيح الجامع برقم ٨٨ في ج ١ / ٨٠ وأشار إلى تصحيحه أيضاً إلى السلسلة الصحيحة برقم الحديث ٨٤٨.

ومكث فيها زمناً لا يقرب تلك الشجرة، ولكنَّ عدُوَّه الذي طرد بسببه ما كان ليتركه فقد وسوس إليه أنَّ الله لم ينهك عن هذه الشجرة إلَّا من أجل أنَّ من أكلها يخلد فلا يموت، فانطلت عليه تلك الوسوسة، فأثرت في نفسه لحكمة أرادها الله ﷻ، فأكل من الشجرة، ولمَّا أكل منها بدت له سوءته ففرَّ في الجنَّة، وعلم أنَّه قد أساء وعصى، فناداه ربُّه وتاب عليه ثمَّ أهبطه من الجنَّة إلى الأرض ليلحق بذلك العدوُّ اللدود، ولتتم المعركة على ظهر هذه الأرض بين الحقِّ والباطل إلى يوم القيامة.

فرسل الله وأتباعهم يمثِّلون الحقَّ، ويدعون إليه، ويعملون به، وإبليس وأتباعه يمثِّلون الباطل ويعملون به ويدعون إليه، والمعصوم من عصمه، الله والمخدول من خذله الله وأضله. **وَالْإِيمَانُ بِالْمَسِيحِ الدَّجَالِ [١].**

اللهم اعصمنا من كيد الشيطان الرجيم وأصبغ قلوبنا بصبغة الإيمان، وأعدنا من مضلات الفتن إنَّك سميعٌ قريب.

وقد دارت المعركة فأرسل الله الرسل بعد إغواء إبليس وذريَّته لبني آدم، وحملهم على الشرك والكفر والمعاصي، وأرسل الله الرسل من أولَّهم نوح إلى آخرهم محمد ﷺ، وأنزل الكتب لهداية البشرية.

فهلُمُّوا يا عباد الله إلى النور الواضح، والحقِّ المبين، والشريعة الكاملة التي أنزلها الله على خاتم الرسل ممثَّلة في كتابه القرآن وسنة رسوله ﷺ الكفيلة ببيان الحق وتوضيح مجملات وعمومات القرآن، وعليكم بطريقة السلف، وهدى السلف فاتبعوهما إن أردتم النجاة.

وقد قال النبي ﷺ في الفرقة الناجية: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(١) وبالله التوفيق.

[١] قَوْلُهُ: (وَالْإِيمَانُ بِالْمَسِيحِ الدَّجَالِ) أي: الإيمان بخروجه، وقد ثبت خروجه في

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ٢٥.

أحاديثٌ صحيحة^(١).

وفي الاستعاذة من أربع التي هي بعد التشهد، والصلاة على النبي ﷺ، ومنها قوله ﷺ: «وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»^(٢).

والمسيح الدجال قد كان في عهد النبي ﷺ موجودًا في جزيرة من جزائر البحر، كما في حديث فاطمة بنت قيس أن تميمًا الداري رضي الله عنه قال: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلًا

من لحم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفثوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لا يدرون ما قبّله من دبره من كثرة الشعر.

فقالوا: ويلك ما أنت؟

فقالت: أنا الجساسة.

قالوا: وما الجساسة؟

قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدّير فإنه إلى خبركم بالأشواق.

قال: لما سمعت لنا رجلًا فرقنا منها أن تكون شيطانة.

قال: فانطلقنا سرعًا حتى دخلنا الدّير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقًا، وأشدّه

وثاقًا، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد.

قلنا: ويلك ما أنت؟

(١) قال المحقق الشيخ محمد سعيد القحطاني للاستزادة حول أحاديث المسيح الدجال وصفاته انظر

كتاب السنة لعبد الله بن أحمد ص ٤٤٣ و ٥٣٢ وأشراف الساعة ليوسف الوابل فإنه نفيس في بابه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام وأخرجه الإمام

مسلم أيضًا في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستفاد منه في الصلاة وفي كتاب الذكر

والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر الفتن وغيرها كل ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها.

قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟

قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقلنا: ويحك ما أنت؟ فقالت أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان.

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟

قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك ألا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية.

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل فيها ماء؟

قالوا: هي كثيرة الماء.

قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زغر.

قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟

قلنا له: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟

قالوا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب.

قال: أقاتله العرب؟

قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم؟

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.

قال لهم: قد كان ذلك؟

قلنا: نعم.

قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإنني مخبركم عني: إني أنا المسيح، وإنني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدًا منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتًا يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخبرته في المنبر: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة» يعني المدينة، «ألا هل كنت حدثكم ذلك؟» فقال الناس: نعم. «فإنه أعجبني حديث تميم، أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه»^(١) الحديث.

(١) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في قصة الجساسة.

والأحاديث في إنذار النبي ﷺ أصحابه المسيح الدجال كثيرة.
وقد قال النبي ﷺ: «ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب، إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، مكتوب بين عينيه كافر» رواه البخاري.
وفي رواية: «مكتوب بين عينيه: ك ف ر»^(١). أي كافر.
وقال النبي ﷺ: «إن الله ليس بأعور، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»^(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه، واللفظ للبخاري.
وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فوائح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعات يميناً وعات شمالاً، يا عباد الله فاثبتوا».

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَلُصِّنَ عَلَى عَيْنَيْهِ﴾ تغذى، وقوله جل ذكره: ﴿يَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ومسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة باب ذكر الدجال وصفته من حديث أنس رضي الله عنه وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾.
وقال أبو ميسرة الرحيم بلسان الحبشة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة باب ذكر الدجال وصفته من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ نبذناه ألقيناه اعتزلت ﴿شَرَقِيًّا﴾ مما يلي الشرق ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ أفعلت من جئت ويقال ألجأها اضطرها ﴿تُسْقَطُ﴾ تسقط ﴿قَصِيًّا﴾ قاصياً ﴿فَرِيًّا﴾ عظيماً قال ابن عباس ﴿نَسِيًّا﴾ لم أكن شيئاً، وقال غيره: النسى الحقيق، وقال أبو وائل: علمت مريم أن التقي ذو نهية حين قالت: ﴿إِنْ كُنْتُ نَفِيًّا﴾ قال وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء رضي الله عنه ﴿سَرِيًّا﴾ نهر صغير بالسريانية.
وفي كتاب المغازي باب حجة الوداع وفي كتاب اللباس باب الجعد وفي كتاب التعبير باب الرؤيا في الليل رواه سمرة وفي باب الطواف بالكعبة في المنام، وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَلُصِّنَ عَلَى عَيْنَيْهِ﴾ تغذى، وقوله جل ذكره: ﴿يَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال وفي باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم». قلنا: يا رسول الله، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «لا، اقدروا له قدره». قلنا: يا رسول الله، وما إسراعه في الأرض؟ قال: «كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبث؛ فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمدّه خواصر، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصيحون ممحليين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل.

ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك.

فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»^(١) الحديث.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه، إنه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتى يقول إنها الجنة هي النار، وإنني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»^(٢) إلى آخر ما ذكر من الأحاديث، وبالله التوفيق.

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.

(٢) قال المحقق القحطاني: كل هذا ثابت في الصحيح وقد تتبع الحافظ ابن كثير في تفسيره آية ١٥٩ من سورة النساء ومن أراد التوسع أيضاً فليراجع التصريح بما تواتر في نزول المسيح للكشميري، وأقول: وليرجع كذلك إلى كتاب أشراف الساعة ليوסף الوابل - حفظه الله -.

وَالْإِيمَانُ بِنُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، يَنْزِلُ فَيَقْتُلُ الدَّجَالَ، وَيَتَزَوَّجُ وَيُصَلِّي
خَلْفَ الْقَائِمِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عليه السلام وَيَمُوتُ وَيُدْفَنُهُ الْمُسْلِمُونَ ^(١) [١].

[١] الإيمان بنزول عيسى عليه السلام واجب، وكذلك الإيمان بأن عيسى عبد الله ورسوله،
وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه.

وأنه ينزل عند صلاة الفجر على المنارة الشرقية في مسجد دمشق بين مهرودتين،
ثوبين، واضعاً يديه على أجنحة ملكين، فينزل، ويجد الناس ينتظرون صلاة الفجر، فيريد
أن يقدمه إمامهم، فيأبى، ثم يصلي بهم إمامهم.

ويتبع المسيح الدجال، وفي يده حربة، فإذا رآه المسيح الدجال ساح كما يسبح
الملح في الماء، فيقتله، ثم يعود إلى المسلمين فيحدثهم بمنزلهم في الجنة، ويحكم
بشريعة محمد عليه السلام، ولا يقبل من أحد غير الإسلام ويأمر بكسر الصليب، وقتل الخنزير،
فيوجب الناس كلهم على الإسلام.

ثم يخرج يأجوج ومأجوج، فيوحى الله عز وجل إلى نبي الله عيسى عليه السلام أن رفع عبادي
إلى جبل الطور، فإنه سيخرج أمة لا يدان لأحد بقتالهم، فيخرج يأجوج ومأجوج، فيمرون
بالنهر فيشربونه حتى يأتي آخرهم، فيقول: لقد كان هاهنا ماء، فيقتلون كل من وجدوه، ثم
يرمي أحدهم من النشابة إلى السماء، فترجع مخضوبة بالدم فتنة لهم، فيقولون: قد قتلنا من
في الأرض، وسنقتل من في السماء.

فيدعو عليهم عيسى عليه السلام فيرسل الله عليهم دودة يقال لها النغف في رقابهم، فيموتون
كلهم في ليلة واحدة فيصبحون جميعاً موتى، وعيسى عليه السلام وأصحابه في جبل الطور حتى
إن أحدهم ليتمنى أن لو كان له رأس ثور بمائة دينار من الجوع؛ فيقولون: انظروا ما فعل هؤلاء.

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾، قال ابن
عباس: ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ ما ظهر لنا، ﴿أَقْلَعِي﴾ أمسكي، ﴿وَفَكَارَ التَّوْرَ﴾ نبع الماء، وقال عكرمة: وجه
الأرض، وقال مجاهد: الجودي: جبل بالجزيرة دأب مثل حال، وأخرجه مسلم في كتاب الفتن باب
ذكر الدجال وصفته وما معه.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، وَنِيَّةٌ^(١)، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، يَزِيدُ مَا شَاءَ اللَّهُ، وَيَنْقُصُ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ^(٢) [١].

فيقال: ومن يقدر على ذلك، فيتطوَّع رجلٌ مخاطرٌ بنفسه فينزل، فإذا هم قد ماتوا جميعاً، فيصيح مبشراً لهم.
ثمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يرسل المطر مطراً عظيماً، فتجرف جثثهم السيول وترميها في البحر، وتصبح الأرض كأنها مرآة، فيقال للأرض أعيدي بركتك، فحينئذٍ يأكل القوم من الرمانة، ويستظلون بقحفها، وبارك في الرسل؛ أي: في المواشي حتَّى أَنَّ اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من النَّاسِ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة، واللقحة من الغنم لتكفي العشيرة.
فيمكث النَّاسُ زمناً ليس بين اثنين عداوة، ثمَّ يرسل الله ريحاً باردة من اليمن فتقبض روح كلِّ مؤمن ويبقى شرار الخلق، فعليهم تقوم الساعة، وبالله التوفيق.
[١] قَوْلُهُ: (وَنُؤْمِنُ بِأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ...) إلخ؛ أي: قولٌ باللسان، وعملٌ بالجوارح، وتصديقٌ بالقلب.

هذه الفقرة فيها ردٌّ على المرجئة الذين يقولون: إِنَّ الْإِيمَانَ هو التصديق بالقلب فقط، وبعضهم يدخل في ذلك النطق بالشهادتين دون غيرهما، وبعضهم لا يدخله كله، وكلُّهم مخطئون فأخفَّ أهل الإرجاء الذين لا يُدخلون العمل في مسمَّى الإيمان، وهذا ما يسمَّى بإرجاء الفقهاء.

أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا بَدَّ أَنْ يَتَضَافَرَ الْقَلْبُ وَاللِّسَانُ وَالْأَعْمَالُ؛ فالقلب يعتقِدُ، واللسان ينطق، والجوارح تعمل، فإذا قال العبد: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، لا بدَّ أن يقولها معتقداً لمعناها أن الألوهية ينفرد بها مستحقُّها

(١) وفي نسخة الراددي: (ونِيَّةٌ وإصابة) والمقصود بالإصابة هنا هي المتابعة للنبي ﷺ في كل قول وعمل.

(٢) قال المحقق القحطاني: هذا ما أجمع عليه السلف الصالح، وانظر إن شئت السنة لعبد الله بن أحمد

وهو الله.

وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، فكلُّ مألوه في الأرض فإنه قد أُلِهَ بباطل وتُعبَّد له بغير حقٍّ، والعبودية لا تنبغي إلا لله الذي في السماء على العرش استوى استواءً يليق بجلاله، فهو بائنٌ من خلقه، ويعلم ما هم عاملون، ويعلم خطرات القلوب، ونظرات العيون، ولفظات الألسن، وحركات الجوارح ويسمع كلَّ شيءٍ، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير.

وإذا شهد أن محمداً رسول الله اعتقد ذلك بقلبه، ولفظه بلسانه، وعمله بجوارحه، فيعتقد أن محمداً مرسلٌ من عند الله مبلغٌ لرسالته.

أمّا إن قالها بدون اعتقاد فإنها لا تنفعه كقول المنافقين حين أتوا إليه ﷺ وقالوا: نشهد إنك لرسول الله؛ فأكذبهم الله بقوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

وقال في آية أخرى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]. وبهذا تعلم أن الإيمان لا يكون إيماناً حقاً حتّى يجتمع عليه القلب واللسان والجوارح؛ فإن لم تجتمع هذه الثلاثة فلا إيمان. ونقول كما قال السلف: الإيمان قولٌ وعملٌ ونيةٌ، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعاصي. والأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه من كتاب الله كثيرة، وقد عقد البخاري باباً لزيادة الإيمان ونقصانه، واستدل عليه بآياتٍ وأحاديث.

فمن الآيات: قول الله تعالى: ﴿وَزِدَادُ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١].

وفي قوله -جلّ وعلا-: ﴿لِيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

إلى غير ذلك من الآيات؛ فمن شاء فليراجع من كتاب الإيمان من صحيح البخاري. فمن قال: إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن إيمانه وإيمان جبريل واحد؛ فقد كذب وافترى، وعليه أن يتوب إلى الله ﷻ، وأن يقلع عن هذه المقالة، الطاعة تزيد الإيمان وتنمي، والمعصية تنقصه، وكلّما ازدادت المعاصي زاد الإيمان نقصاً، وكلّما ازدادت

الطاعات زاد الإيمان كمالاً، وبالله التوفيق.

وَأَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَالْأُمَمِ كُلِّهَا بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ -^(١):
أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، هَكَذَا رَوَى لَنَا عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: «كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ
ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِنَا: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَيَسْمَعُ
بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ فَلَا يُنْكِرُهُ»^(٢). ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: عَلِيٌّ، وَطَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ،
وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ
الْجَرَّاحِ، وَكُلُّهُمْ يَصْلُحُ لِلْخِلَافَةِ. ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ، الْقُرْنُ الْأَوَّلُ الَّذِي بُعِثَ فِيهِمُ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوَّلُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَهُمْ مَنْ صَلَّى
الْقِبْلَتَيْنِ. ثُمَّ أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ هَؤُلَاءِ: مَنْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمًا أَوْ شَهْرًا أَوْ سَنَةً،
أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ أَوْ أَكْثَرَ، نَتَرَحَّمُ عَلَيْهِمْ، وَنَذْكُرُ فَضْلَهُمْ، وَنَكْفُ عَنْ زَلْلِهِمْ، وَلَا نَذْكُرُ
أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا بِالْخَيْرِ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»^(٣). وَقَالَ سُفْيَانُ
ابْنُ عُيَيْنَةَ: «مَنْ نَطَقَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِكَلِمَةٍ فَهُوَ صَاحِبٌ هَوًى»^(٤).

(١) وفي نسخة الراددي: (وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها أبو بكر...) إلخ.

(٢) الحديث أخرجه نحوه البخاري بلفظ: كُنَّا نَخِيرُ بَيْنَ النَّاسِ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَنَخِيرُ أَبَا بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ بْنُ
الْخَطَّابِ، ثُمَّ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر كتاب المناقب باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ.

(٣) قال الراددي - حفظه الله -: حديث حسن أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٢٤٣-٢٤٤)، وأبو نعيم
في الحلية (١٠٨/٤) من حديث عبد الله بن مسعود وله شواهد عن عددٍ من الصحابة استوفى الشيخ
الألباني تخريجها في السلسلة الصحيحة (٣٤). قلت: وأخرجه أيضًا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ فِي صحيح
الجامع برقم ٥٤٥ في ج ١/١٥٥.

(٤) لم أجد تخريج هذا الأثر، وعلى فرض ضعف سنده إلى سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ، فَإِنَّ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ حَيْثُ دَلَّتِ
النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ عَلَى وَجُوبِ احْتِرَامِ الصَّحَابَةِ وَالْعَمَلِ بِسُنَّتِهِمْ إِنْ لَمْ
تُخَالِفِ الشَّرْعَ، وَإِنْ حَصَلَ مِنْ بَعْضِهِمْ خَطَأٌ فَخَطُؤُهُمْ مَغْمُورٌ فِي بَحَارِ حَسَنَاتِهِمْ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَأَرْضَاهُمْ -؛ وَحَقٌّ أَنْ يَكُونَ الْمُتَكَلِّمُ فِي الصَّحَابَةِ وَالطَّاعِنِ فِيهِمْ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ لِمَخَالَفَتِهِ كَلَامَ رَبِّنَا
وَصَحِيحِ سُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، وَسَيَأْتِي عَنْ شَيْخِنَا النُّجُمِيِّ مَزِيدُ بَحْثٍ عَنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ فِي ص ٩٨ =

[١] وأفضل هذه الأمة والأمم كلها بعد الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-:

أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان.
وقد ورد بذلك حديث عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم ^(١). رواه البخاري.
فمعتقد أهل السنة والجماعة: أنهم يرون أن أفضل الأمة بعد نبيها هؤلاء الثلاثة الخلفاء بعد رسول الله ﷺ، ثم رابعهم علي بن أبي طالب، ثم الستة الباقين من العشرة، ثم من هاجر الهجرتين، ثم أصحاب بيعة العقبة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم من هاجر قبل الفتح وقاتل، ثم من صحب النبي ﷺ ثم أهل قرنه، ثم الذين يلونهم.
فهؤلاء الذين أمر الله ﻋَﻠَﻴْﻬِﻢُ ورسوله ﷺ بمعرفة ما لهم من الفضل والفضيلة والسابقة إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار.

فمن تكلم في الصحابة فإنه قد قدح في الدين الذي حملة الصحابة -رضوان الله عليهم-؛ لأن الدين جاء من طريقهم، ولهذا فإن الذين كفروهم لا حظ لهم في الدين سواء كانوا خوارج أو روافض، فالخوارج لا يستثنون من الصحابة إلا أبا بكر وعمر، والروافض لا يستثنون من الصحابة إلا علي بن أبي طالب وأهل بيته، وعدد قليل لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة، وكل هؤلاء الخوارج والروافض قد ضلوا عن الطريق وابتعدوا عن الحق، وقدحوا فيمن أثنى الله عليهم، ونوّه بفضلهم وجهادهم كما في سورة التوبة، وسورة الفتح، وسورة الحشر.

فالآيات التي في هذه السور تخص من صحب رسول الله ﷺ، وتنوّه بفضلهم وسابقتهم وجهادهم.

=

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِلْأُئِمَّةِ فِيمَا يُحِبُّ اللَّهُ وَيَرْضَى، وَمَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ بِإِجْمَاعِ النَّاسِ عَلَيْهِ وَرِضَاهُمْ بِهِ فَهُوَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَبِيتَ لَيْلَةً وَلَا يَرَى أَنْ لَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامٌ، بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا، وَالْحُجُّ وَالغَزْوُ مَعَ الْإِمَامِ مَاضٍ، وَصَلَاةُ الْجُمُعَةِ خَلْفَهُمْ جَائِزَةٌ، وَيُصَلِّي بَعْدَهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ [١].

وقوله ﷺ: ﴿تُحَمَّدُ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعَاتٍ سَجْدًا﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ [الحشر: ٨]، والآيتين بعدها.

فهذه الآيات تنوّه بفضل الصحابة، وتبين ما لهم من السابقة والجهاد مع رسول الله ﷺ، ومن قال خلاف ذلك؛ فهو مبتدع ضال، وبالله التوفيق.

[١] (والسمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى) هذه الفقرة قد تقدّم الاستدلال عليها في الفقرة الأولى بما يغني عن إعادته هنا.

ولكن بقي أن نذكر بأن هذا أمر واجب على كل مسلم، ولا يجوز لأحد أن يقول ليس لفلان عليه بيعة، ولا يجوز له أن يبيع لشخص مجهول كما يفعله بعض المتحرّيين، إذ يعطي البيعة لمجهول لا يُعرف، ويقول إنه ليس للإمام المعروف عند الناس ليس له في عنقه بيعة وإنما بيعته لذلك المجهول.

وقد كتبت في هذه المسألة فتوى^(١) إجابةً على سؤال هل تجوز الإمارة في

(١) وإليك أخي القارئ الكريم نصّ السؤال والإجابة عليه من ضمن أسئلة عرضت على فضيلة شيخنا النجمي رحمه الله فأجاب عليها، وقد جمعت في كتاب سمي بالفتاوى الجليلة عن أسئلة المناهج الدعوية:

س ٥٠: فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي - حفظكم الله لخدمة السنة وأهلها-، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: يا شيخ إني أحبك في الله، ونريد منك -جزاك الله خيراً-؛ توضيح هذه الشبهة التي يدلي بها بعض متبعي الجماعات، وهي ادعاء جواز الإمارة في الحضر بحيث إنهم قالوا: أمر الرسول ﷺ أن يوضع أمير في السفر، والسفر رحلة قصيرة، فلماذا لا نضع لنا أميراً في هذه الدنيا، وهي رحلة طويلة؛ بحثنا فيها على الخير، وينظم صفنا؛ وهم يستدلون بذلك على جواز البيعة لغير الحاكم؛ فلذلك نرجو توضيح هذه المسألة مع الاستدلال على ما تقولون رعاكم الله ببعض النصوص الشرعية؟ -وجزاكم الله خيراً-.

الجواب: الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

وبعد:

حديث التأمير في السفر أخرجه أبو داود بلفظ: «إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمروا أحدهم». من طريق محمد بن عجلان، عن نافع، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً؛ رقم (٢٥٩١)، ورواه بهذا السند، وجعل صحابيه أبو هريرة مرفوعاً، ولفظه: «إذا كان ثلاثة في سفر؛ فليؤمروا أحدهم». رقم (٢٥٩٢)، كلاهما في باب القوم يسافرون يؤمرون أحدهم رقم الباب (٨٧) من كتاب الجهاد في سنن أبي داود.

وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٢٢)، وقال: أخرجه أبو عوانة في صحيحه (ج ٨ / ١٨) قال: وله شاهد من حديث ابن لهيعة: حدثنا عبد الله بن هبيرة، عن أبي سالم الجيشاني عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أُمروا عليهم أحدهم». وقد أخرجه الإمام أحمد (ج ٢ ص ١٧٦-١٧٧).

قال الألباني: قلت: ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنه سيئ الحفظ. انتهى من الصحيحة (ج ٣ ص ٣١٤).

قال في: «عون المعبود شرح سنن أبي داود» على حديثي أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

قال الخطابي: «إنما أمروا بذلك؛ ليكون أمرهم جميعاً، ولا يفرق بهم الرأي، ولا يقع بينهم اختلاف والحديث سكت عنه الترمذي». اهـ.

قوله: إذا كان ثلاثة، والمعنى: أنه إذا كانوا جمعاً، وأقلها ثلاثة؛ فليؤمروا أحدهم، فليجعلوا أحدهم أميراً.

أما ما زعموه، أو ما زعمه بعض متبعي المناهج الحزبية؛ تبريراً لتصرفاتهم الخاطئة، من اتخاذهم الأمراء في الحضر؛ غير الأمير العام، وإعطائهم البيعة لأُميرهم المجهول؛ حيث زعم هؤلاء، أو بعضهم، أن شرعية الإمارة في السفر؛ دليل على جوازها في الحضر؛ جعله من باب (قياس الأولوية) بمعنى: أنه إذا استحب ذلك في السفر القصير الذي يكون أياً ما ثم ينقطع، فإنه من باب أولى يجوز في السفر الطويل؛ الذي هو سفر الدنيا.

وأقول: إن هذا زعمٌ باطل، وفهمٌ خاطئٌ لأمر:

الأول: أن الله ﷻ هو المشرع ورسوله ﷺ هو المبلغ لشرعه، فلا يجوز لأحد أن يشرع؛ غير ما شرعه الله ورسوله، ولا أن يشرع ما لم يأذن به الله ورسوله.

الثاني: الفرق بين السفر والحضر؛ فرق واضح؛ يعرفه كلُّ أحد، فالذين يكونون في دار المقامة؛ أي: في الحضر مرتبطون بالأمير العام، فلا يجوز لهم أن يتخذوا أميراً غيره، وإلا لسادت الفوضى وتحكمت السفهاء، واختلط الحابل بالنابل، وأن شرع الله ليتنزه؛ أن يقرَّ مثل هذه المهازل، فضلاً عن أن يشرعها، ويأمر بها.

وإن شرع الله ليحرِّم الخروج على السلطان، وإن كان فاسقاً جائراً، وقد جاءت بذلك أحاديث كثيرة، ففي صحيح مسلم عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون، وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع. قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا، ما صلوا».

وفي الرواية الأخرى: «فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم». وباقي الحديث مثل الأول. ومعنى الحديث: أن بعض الأمراء سيعملون أعمالاً تعرفونها بأنها حق، وأعمالاً تنكرونها بأنها باطل، فمن أنكرها بقلبه، وعرف بطلانها فكرها برئ ومن أنكر بلسانه، فقد سلم. ولكن من شرط الإنكار على الإمام؛ أن يكون بطريقة سرية؛ ليكون أجدي للقبول، وأسلم للمجتمع، حتى لا تنتشر الفوضى فيه، ولكن من رضي وتابع؛ يعني هو الآثم. ولما قال الصحابة: «أفلا نقاتلهم؟» قال: لا، ما صلوا». وفي ذلك تحريم الخروج على الإمام؛ ما دام يقيم الصلاة.

وفي حديث مسلم من حديث عرفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم، ويفرق جماعتكم فقاتلوه».

وفي صحيح مسلم، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خبائه، ومنا من يتفضل، ومنا من هو جشده؛ إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ. فقال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه؛ إن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة، فيرقق بعضها بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف، وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحب أن يرحل عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع فإن جاء أحدٌ ينازعه فاضربوا عنقه الآخر».

وفي صحيح مسلم أيضًا من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا؛ أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا، وألا ننازع الأمر أهله؛ إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان».

قلت: فأئني منازعة أعظم من أن تبائع أميراً آخر غير الأمير العام، وكيف يكون موقفك إذا ورد عليك أمر الأمير الأول يأمر بك بشيء، وورد عليك أمر الأمير الآخر ينهاك عن ذلك الشيء، فمن تطيع منهما، هل تطيع الأول، وتركت طاعة الثاني، أو تطيع الثاني، وتركت طاعة الأول.

فإن أطعت الأول، وتركت طاعة الثاني فقد رشدت؛ إلا أنه يجب أن تعلم؛ أنك بطاعتك للأول، وترك الثاني قد اعترفت؛ أن بيعه الثاني باطلة لا أساس لها من الصحة، وأن فعلها ضربٌ من العبث، وإن أطعت الثاني، وتركت الأول الذي قد بايعته أولاً، وأعطيته صفقة يدك، وثمرة فؤادك فإنك حينئذ قد أغضبت ربك، وتسببت في إيقاع الفتنة في مجتمعك، فإن سُفكت الدماء فأنت المتسبب فيها، وعليك منها أوزارٌ لا يعلمها إلا الله.

فانظر لنفسك، وتب إلى الله ما دامت التوبة مواتية، فإن قلت: أنا ليس في عنقي بيعه. قلنا: إن بيعه عريفك، وشيخ قبيلتك بيعه عنك، وعن جميع القبيلة، فأنت في عنقك بيعه شئت أم أبيت، وقد قال النبي ﷺ: «ليرفع إليَّ عرفائكم».

وجعل بيعه النقباء بيعه عمّن تحت أيديهم.

وإن قلت: إن بيعه الأول باطلة.

قلنا: ما هو السبب الذي أبطلها؟

فإن قلت: أبطلها إقرارهم للبنوك الربوية.

قلنا لك: وله تعتقد أن فعل الربا موجب لكفر فاعله؟

فإن قلت: نعم.

قلنا لك: هذا مذهب الخوارج، الذين يكفرون المسلمين بالكبائر، ويعتقدون تخليدهم في النار؛ لذلك فهم لا يحكمون بالإسلام إلا لمن هو على مذهبهم، وعقيدتهم.

أما أهل السنة والجماعة؛ فإنهم لا يكفرون أحداً بذنب، وإن كان كبيراً، وإن تكرر منه هذا الذنب عدة مرات.

فإن قلت: ما هو الدليل على ذلك؟

قلنا لك: ما جاء في الحديث الصحيح: أن رجلاً كان كثيراً ما يؤتى به في الخمر فأُتي به مرة. فقال: رجلٌ لعنه الله؛ ما أكثر ما يؤتى به في الخمر. فقال النبي ﷺ: «لا تكونوا عوناً للشيطان على أختكم».

فسمّا أخاً في الإسلام مع أنه يكثر من شرب الخمر؛ التي هي أمُّ الخبائث، ولم يخرجها تكرر الشرب من الإسلام؛ بل أنكر النبي ﷺ على من لعنه، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَلْفُتَنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَقْتُلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَتَنِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

فقد أثبت الله ﷻ للمقتولين مطلق الإيمان مع أن النبي ﷺ يقول: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».

مع أنه ﷺ يقول: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». والمراد بالكفر هنا؛ كفر النعمة؛ أي: أنه كفر بنعمة الأخوة الإسلامية، فهو من الكفر الأصغر، وقد تبين من هذا، أن فاعل الكبيرة لا يكفر بفعلها، ولو تكرر حتى يستحلها، فإن استحلها كفر ولو لم يفعلها.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (ج ١ ص ٦٦ طبعة رئاسة البحوث): (وقد قام الإجماع على أن قليل الخمر، وكثيره حرام، وثبت قوله ﷺ: «كل مسكر حرام». ومن استحل ما هو حرامٌ فالإجماع كفر). انتهى.

لكن ما هو الاستحلال الذي يعتبر به العبد مستحلٌ لذلك الحرام؟
والجواب: الاستحلال هو من فعل القلب، وهو أن يعتقد العبد بقلبه حلَّ المحرم المجمع عليه، ولو لم ينطق بذلك، فمن اعتقد حل الزنا كفر، ولو لم يفعله ومن فعله، وهو يعتقد أنه حرام، فهو مسلم فاسق، ومن اعتقد حل الربا كفر ولو لم يفعله، ومن فعله وهو يعتقد أنه حرام فهو مسلم فاسق، ومن اعتقد حل الخمر كفر، ولو لم يشربه، ومن شربه وهو يعتقد أنه حرام فهو مسلم فاسق.
وعلى هذا فبأي شيء نعرف الاستحلال؟

الجواب: نعرفه بالنطق؛ بأن يقول مثلاً بأن الخمر حلال، أو الربا حلال، أو الزنا حلال، أو أن يكتب ذلك في كتاب نقطع بصحة نسبته إليه، أما بدون ذلك، فلا لأن الاستحلال من عمل القلوب، والقلوب لا يطلع على ما فيها إلا الله وحده، وقد بطلت بهذا التحقيق حجة من يكفر بفعل الكبيرة،

ولو تكرر، ويبطل به بعية الإمام؛ مع أن إذن النبي ﷺ في الخروج على الأئمة، وجواز قتالهم كان معلقاً بالكفر البواح، الذي معنا من الله فيه برهان.

وقد قيد الطاعة بإقامة الصلاة: «أطيعوهم ما أقاموا فيكم الصلاة». والطاعة مقيدة بالمعروف لقوله: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

وشرط فيها آخر، وهو فيما نستطيع للحديث: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، فلقننا فيما استطعت. فقلنا لله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا» فما هو المبرر لاتخاذ أمير في الحضر غير أمير العامة، ومبايعة وال آخر مخفي غير الوالي المعروف الظاهر للناس؟! لا شيء غير الهوى عند أصحاب المناهج الحديثة الذين اتخذوا منهجاً غير المنهج النبوي، فعوقبوا بإعراضهم عن سنة المصطفى ﷺ، أي: عوقبوا بتقليب القلوب، واستحسان الباطل، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

فإن قلت: لم نبايع على إمامة وإنما بايعنا على العمل للإسلام، وهي الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله؛ قلنا: العمل للإسلام قد أوجبه الله عليك؛ بما أخذه عليك من عهد في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [١٥٩] إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠].

ثم أنت إن فعلت الدعوة إلى الله فعلتها امتثالاً لأمر الله ﷻ وأمر نبيه ﷺ كنت مخلصاً مثاباً، وإن فعلتها امتثالاً لأمر من بايعته فإنني أخاف عليك في هذه الحالة أن تكون مرآئياً تقصد إرضاء من بايعته، فلا يكون لك أجر وستندم حين لا ينفع الندم.

الثالث: إن الأمر من الشارع الحكيم ﷺ بالتأخير خاص بالسفر، ومقصود عليه، ومحصور فيه يدل على ذلك قوله ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر؛ فليؤمروا أحدهم». فقوله: «إذا خرج». إذا شرطية غير جازمة، وخرج فعل الشرط، وفعل فليؤمروا جواب الشرط وجزائه؛ والتقيد بثلاثة متمم لفعل الشرط إذ هو فاعله؛ يعني: إن الثلاثة فأكثر أمروا أن يؤمروا عليهم واحداً إذا كانوا في سفر، أما إذا كانوا في حضر فلا.

وقال في حديث ابن عمر رضيه الله عنه: «لا يحل لثلاثة يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم». أخرجه أحمد (ج ٢/ ١٧٦-١٧٧) قال الألباني في الصحيحة (ج ٣ ص ٣١٤). قلت: ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنه سيئ الحفظ.

قلت: لكن يعتضد بما قبله ومن هذا يتبين أن الإذن من الشارع ﷺ في الإمارة الخاصة، خاص بالسفر دون غيره، ومن زعم أن الإذن بالإمارة الخاصة في السفر دالٌّ على جواز فعلها في الحضر فهو جاهل لا يعرف من شرع الله شيئاً، ومن حقه أن يستر نفسه، وألا يظهر جهله لغيره، وبالله

فإن قال هذا الشخص: أنا لم أبايع أحداً.
 قيل له: إن بيعة عريفك بيعة لك؛ لأن النبي ﷺ قال: «ليرفع إليَّ عرفائكم»^(١).
 قوله: (ومن وليَّ الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين، لا يحلُّ
 لأحد أن يبيت ليلةً، ولا يرى أن ليس عليه إمام برّاً كان أو فاجرًا).
 تقدم الكلام على هذا والاستدلال عليه.

ومن ذلك: حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم
 القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٢).
 ولقوله ﷺ: «السمع والطاعة حقٌّ ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع
 ولا طاعة»^(٣).

إذن فالسمع والطاعة واجبة للسلطان سواء كان برّاً أو فاجرًا، يعني: ولو كانت عنده
 معاصي فإنه لا يجوز الخروج عليه؛ لقول النبي ﷺ: «إلا أن تروا كفرًا بواحاً معكم من الله
 فيه برهان»^(٤).

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الوكالة برقم ٢٣٠٨، وفي كتاب العتق برقم ٢٥٤٠،
 وفي كتاب الهبة برقم ٢٦٠٨ وفي كتاب فرض الخمس برقم ٣١٣٢، وفي كتاب المغازي برقم
 ٤٣١٩ بترقيم الفتح عن مروان والمسور بن مخرمة رضي الله عنهما.
 العرفاء: جمع عريف، وهو شيخ القبيلة المسئول المباشر عنهم، وشيخ الشمل أعلى منه (شيخنا
 أحمد النجمي).

(٢) سبق تخريجه في ص ٢٩.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب السمع والطاعة للإمام، وفي كتاب الأحكام
 باب السمع والطاعة للإمام ما لم يأمر بمعصية، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة
 جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة
 من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) سبق تخريجه في ص ٢٩.

وفي الحديث الآخر: «ألا من وليّ عليه وإلّ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله ليكره ما يأتي، ولا ينزعنّ يداً من طاعة»^(١).

وقوله: (والحجّ والغزو مع الإمام ماضٍ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة).
يعني أنّه يجب أن يقتدى بالإمام في الحجّ، والغزو، فيحجّ تحت إمارته ويغزو معه، ويصليّ وراءه الجمعة، ولا يجوز له أن يمتنع من الصلاة بعده؛ أي: وراءه، بل يجب عليه المتابعة لهم، والسمع والطاعة لهم، والافتداء بهم في الجمعة والعيدين.
وقوله: (ويصليّ بعدها ستّ ركعات يفصل بين كلّ ركعتين. هكذا قال أحمد بن حنبل).

قلت:

الصلاة بعد الجمعة ثبت بها النصّ أنّه إن صليّ في المسجد صليّ أربعاً، وإن صليّ في البيت صليّ ركعتين، والست رواية عن الإمام أحمد، وقال بها من الصحابة علي بن أبي طالب، وأبوموسى رضي الله عنه، ومن التابعين عطاء، ومجاهد، وحמיד بن عبد الرحمن، وقال بها الثوري، والأول أثبت^(٢) دليلاً، وبالله التوفيق.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(٢) دل على سنية ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة ركعتين في بيته. رواه الجماعة.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان مصلياً بعد الجمعة فليصل أربعاً» رواه مسلم وأبوداود، والترمذي.

قال الشيخ سيد سابق في ج ١/ ٢٣٥ من كتابه فقه السنة: قال ابن القيم: وكان ﷺ إذا صليّ الجمعة دخل منزله فصلّي ركعتين، وأمر من صلاها أن يصلي بعدها ركعتين، وقال شيخنا ابن تيمية: إن صليّ في المسجد صليّ أربعاً، وإن صليّ في بيته صليّ ركعتين. اهـ

وَالْخِلَافَةُ فِي قُرَيْشٍ إِلَى أَنْ يَنْزِلَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
وَمَنْ خَرَجَ عَلَى إِمَامٍ مِنْ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَهُوَ خَارِجِيٌّ، قَدْ شَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ،
وَخَالَفَ الْأَثَارَ، وَمِثَّتْهُ مِثَّةٌ جَاهِلِيَّةٌ [١].

[١] والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، قد ورد بهذا حديث عند أحمد: «والخلافة في قريش»^(١).

ولكن هذا يحمل على ما إذا كانت الخلافة باختيار، أمّا إذا كان هناك رجلٌ قاتل الناس بمن معه واستولى عليهم، وخضع الناس له بعد أن تغلب عليهم، فإنّه تجب طاعته سواء كان قرشيّاً أو غير قرشي، وسواء كان برّاً أو فاجرًا. وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة حيث يرون وجوب ذلك، وأنّه لا يجوز لأحد الخروج عليه بعد أن استتب له الأمر والأمن حتى ولو كان فاجرًا أو فاسقًا. والأدلة على ذلك قد تقدمت؛ ففي حديث أبي سعيد الخدري^(٢)، وحديث عرفة: «من أتاكم وأمركم جميعٌ يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه كائنًا من كان»^(٣)؛ فيجب اعتقاد هذا، والعمل به، وبالله التوفيق.



(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ في مسند الشاميين برقم ١٦٢٠١ عن عتبة بن عبد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة، والهجرة في المسلمين، والمهاجرين بعد» وهذا الحديث قد صححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيح الجامع برقم ٣٣٤٢ في ج ١ / ٦٣٠ وأشار رَحِمَهُ اللَّهُ بأنّه ورد أيضًا عند الإمام الطبراني في الكبير وقال: انظر الصحيحة رقم ١٨٥١: ابن أبي عاصم، ابن عساكر.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ وَإِنْ جَارَ، وَذَلِكَ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ: «اصْبِرْ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبِشِيًّا»^(١). وَقَوْلُهُ لِلْأَنْصَارِ: «اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ»^(٢)، وَلَيْسَ مِنَ السُّنَّةِ قِتَالُ السُّلْطَانِ، فَإِنَّ فِيهِ فَسَادَ الدُّنْيَا وَالْدِّينِ [١].

[١] أقول: عقيدة أهل السنة والجماعة أن قتال السلطان لا يحل، وكذلك الخروج عليه لا يجوز؛ لنهي النبي ﷺ وتحذيره من الخروج عليه، وتحريم المنازعة له كما في حديث عبادة بن الصامت: «وَأَلَّا نَنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ»^(٣)؛ فالمنازعة لولاة الأمر غير جائزة، وكذلك الإثارة عليهم وتحريض العامة على الخروج عليهم كل هذا لا يجوز، ومن ذلك: الإنكار عليهم على المنابر فهذا مما يوغر صدور الولاة، ويوقع الوحشة بين الولاة والعامة ويجعلهم في حالة لا يثق بعضهم ببعض.

وقد قال النبي ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم» قالوا: قلنا: يا رسول الله، أفلا نناذبهم عند ذلك؟ قال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا يَنْزَعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ»^(٤).

والأدلة موجودة على هذا الباب من العلم والكتب فيه كثيرة وكلام السلف فيه كثير، وبالله التوفيق

(١) الحديث أخرجه نحوه مسلم في (الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٨٣٧) وأحمد (٣/ ١٧١) وابن ماجه في (الجهاد باب طاعة الإمام ٢٨٦٢) نقلاً عن المحقق الشيخ أبو ياسر خالد الراددي.
(٢) الحديث أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» (٧/ ١١٧ مع الفتح) ومسلم في (الإمارة باب الصبر عند ظلم الولاة ١٨٤٥) وأحمد (٣/ ٥٧ - ١٧١) من حديث أسيد بن الحضير نقلاً عن المحقق الشيخ أبو ياسر خالد الراددي.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

وَيَحِلُّ قِتَالُ الْخَوَارِجِ إِذَا عَرَضُوا لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ، وَلَيْسَ لَهُ إِذَا فَارَقُوهُمْ أَنْ يَطْلُبَهُمْ، وَلَا يُجْهَزُ عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَلَا يَأْخُذُ فِيئِهِمْ، وَلَا يَقْتُلُ أَسِيرَهُمْ، وَلَا يَتَّبِعُ مُدْبِرَهُمْ [١].

[١] قوله: (ويحلُّ قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أموالهم وأنفسهم وأهليهم). فيه أحاديثٌ واردةٌ في هذا، وقد ألمحت إلى بعضها، وهو أن النبي ﷺ قال عن الخوارج: «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وفي رواية: «قتل ثمود». وقال أيضاً: «فمن أدركهم فليقتلهم؛ فإن في قتلهم أجراً عند الله تعالى». وقال: «هم شرُّ قتلى على وجه الأرض»^(١) إلى غير ذلك. ومن هم الخوارج؟ لا بد أن نعلم عقيدتهم.

فنقول: الخوارج هم قومٌ اعتقدوا كفر الصحابة، وكفروا سائر المسلمين بالكبائر، وحكموا عليهم بالخلود في النار، ولم يروا لسلطانٍ مسلمٍ عليهم بيعةٌ ولا طاعة، لأنهم لا يرون لأحد من المسلمين إسلاماً صحيحاً إلا إذا كان منهم، فلكونهم يكفرون السلطان؛ لذلك يبيحون الخروج عليه.

قوله: (وليس له إذا فارقه أن يطلبهم، ولا يجhez على جريحهم، ولا يأخذ فيئهم، ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم).

(١) تقدم تخريج الأحاديث الواردة عن الخوارج، وأما الآثار الواردة عن الخوارج فراجع تاريخ الطبري في حوادث سنة ٣٧ ج ٣/ ١٠٩ - ١٢٥ (طبعة دار الباز) والبداية والنهاية لابن كثير في نفس السنة ٧ / ٢٥٨ - ٢٩٤ وقد أورد ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ خلالها ما ورد عن الخوارج من أحاديث من ٢٧٥ - ٢٩٠ (طبعة دار الحديث) أفاد بهذا أخانا الشيخ أحمد بن عبد الله الحكيمي - حفظه الله - في كتاب شيخنا الجليل أحمد بن يحيى النجمي الفتاوى الجليلة عن المناهج الدعوية، وهو كتابٌ قيمٌ بين فيه شيخنا حال بعض الجماعات والأحزاب التي انتهجت منهج الخوارج في عقيدتها وفكرها، والله نسأل أن يعصمنا وإياكم من الوقوع في حبالها وأن يجنبنا وإياكم البدع ما ظهر منها وما بطن، وأن يحيينا وإياكم وسائر المسلمين على العمل بما في الكتاب والسنة غير مغيرين ولا مبدلين، وبالله التوفيق.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ [١].

أقول: هذا من المؤلف بناءً على عدم تكفيرهم، وهو مأثور عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام حيث قال: من الكفر فُرُؤا، وأمر يوم النهروان بأن ينادي مناديه: لا يُدْفَفُ على جريح، ولا يتبع مدبر، ولا يقتل أسير، ولا يؤخذ فيئهم، وأمر أن يُبلَّغَ قراياتهم، فيأتوا ويأخذوا ما عرفوه لهم من الأواني والمتاع.

أمَّا القول بكفرهم، فذلك قولٌ لبعض أهل العلم، لأنه يعتبر منهم ارتداداً وكفراً بناءً على قوله عليه السلام: «يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية» ولا شك أن القول الأول أسلم، وبالله التوفيق.

[١] (واعلم أنه لا طاعة لبشر في معصية الله عَزَّ وَجَلَّ).

الدليل على ذلك: قول النبي صلى الله عليه وآله: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»^(١). وقوله: «إنما الطاعة في المعروف»^(٢). وقوله صلى الله عليه وآله: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يأمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(٣) متفق عليه.

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم ٣٨٧٩ وفي مسند البصريين برقم ٢٠٢٣٠ وبرقم ٢٠١٣٣ عن الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه والحديث قد صححه الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٩ وفي المشكاة برقم ٣٦٩٦ انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته ج ٢ / ١٢٥٠ طبعة المكتب الإسلامي.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب سرية عبد الله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال إنها سرية الأنصار، وفي كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وفي كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير باب السمع والطاعة للإمام، وفي كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

فهذه الأدلة تدل على أن طاعة السلطان مقيدةٌ بقيدتين:

القيد الأول: أن تكون في المعروف؛ فلا طاعة في المعصية.

القيد الثاني: أن يكون فيما يستطيع العبد.

وقد كان النبي ﷺ يقول لمن بايعه: «فيما استطعت»^(١).

حتى إن امرأة من النساء المبايعات قالت: لله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا؛ وذلك

بعد أن بايعته على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، فقال لهن: «فيما استطعتن»^(٢)، وبالله التوفيق.



(١) كما في الحديث الذي ورد في صحيح مسلم رحمه الله في كتاب الإمارة باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعت» وفي رواية عند البخاري في كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس «فيما استطعتم».

(٢) الحديث في ذلك ورد في مواضع من كتب السنة فقد أخرجه الإمام النسائي في كتاب البيعة باب بيعة النساء عن الصحابية الجليلة أميمة بنت رقيقة رضي الله عنها وذكر أن الحديث صحيح كما أشار إلى ذلك في صحيح سنن النسائي ج ٣/ ١٢٧ وأشار إلى صحته أيضًا عند ابن ماجه برقم ٢٨٧٤، وأيضًا في كتاب الجهاد باب بيعة النساء، وأخرج الرواية الإمام الترمذي في كتاب السير باب ما جاء في بيعة النساء، وأخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار برقم ٢٦٤٦٦ و ٢٦٤٦٧ و ٢٦٤٦٨ و ٢٦٤٦٩ و ٢٦٥٢٢ بترقيم إحياء التراث، وأخرجه الإمام مالك في كتاب الجامع باب جاء في البيعة.

وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَلَا تَشْهَدُ لَهُ بِعَمَلٍ خَيْرٍ وَلَا شَرٍّ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا يُخْتَمُ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ، تَرْجُو لَهُ رَحْمَةَ اللَّهِ وَتَخَافُ عَلَيْهِ عَلَيْهِ ذُنُوبُهُ^(١)، وَمَا مِنْ ذَنْبٍ إِلَّا وَلِلْعَبْدِ مِنْهُ تَوْبَةٌ [١].

(١) وفي نسخة مكتبة الآثار التي حققها الشيخ الراددي: (وتخاف عليه ذنوبه، ولا تدري ما يسبق له عند الموت إلى الله من الندم وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام) يقصد بذلك -والله أعلم- ما يبشر الله به المؤمن بواسطة ملائكته عند الاحتضار من النعيم الأبدي في قبره، ويوم حشره، ونشر صحائف أعماله، وما يخوف به الكافر والمنافق كذلك من العذاب السرمدي كما قال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. وكما قال الله تعالى عن الكفار والمنافقين: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣]. وكما في حديث البراء بن عازب الطويل رضي الله عنه عند أحمد برقم ١٧٨٠٣ وكذا رواه غيره بسند صحيح قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتبهنا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس...» إلخ الحديث.

وكم من آية وحديث بين الله فيهما ﷺ على لسان رسوله ﷺ ما يلقاه كل عبد مسلم أو كافر من الجزاء الموافق لمقتضى الحكمة الإلهية؛ فليحذر كل مسلم ومسلمة من أن تكون العاقبة سيئة، وأن تكون خاتمة الأعمال قبيحة منكراً، فإن الأعمال بالخواتيم، وما أصدق ما قاله شيخ شيوخنا الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمته الله في ذلك حين قال:

والقبر روضةً من الجنان	أو حفرةً من حفر النيران
إن يك خيراً فالذي من بعده	أفضل عند ربنا لعبد
وإن يكن شراً فما بعد أشد	ويل لعبد عن سبيل الله صد

[١] أقول: قوله: (ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خير ولا شر).

هذه الفقرة كأن المؤلف يقصد بها الشهادة له بالجنة أو بالنار، أمّا أن تشهد له بأنه مسلم، مصل، وعابد، وموحد، فهذا لا مانع منه بحسب حاله في تلك الحالة الراهنة. وكذلك الشهادة عليه بأنه فاسق شرير زنديق أو ما أشبه ذلك ممّا يثبت عمله، فهذا أيضًا لا بأس به، أمّا أن تشهد له بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، فهذا هو الممنوع، والدليل على ذلك حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلاً هو أعجبهم إليّ؛ فقلت: يا رسول الله، ما لك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمناً؟ فقال: «أو مسلماً»، فسكت قليلاً، ثم غلبنني ما أعلم منه، فعدت لمقاتلي فقلت: ما لك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمناً؟ فقال: «أو مسلماً»، ثم غلبنني ما أعلم منه فعدت لمقاتلي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال: «يا سعد، إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله في النار»^(١).

وفي رواية حدثنا عمرو بن تغلب: أن رسول الله ﷺ أتني بمال أو سبي فقسمه، فأعطى رجلاً وترك رجلاً، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: «أما بعد، فوالله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل، والذي أدع أحب إليّ من الذي أعطي، ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع، وأكل أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من

(١) الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الإيمان باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله -جل ذكره-: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ وفي كتاب الزكاة باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُ النَّاسُ إِلَّا كَفَاً﴾ وكم الغنى وقول النبي ﷺ ولا يجد غنى يغنيه؛ لقول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿قَاتِلَ اللَّهُ يَوْمَ عَلِيٍّ﴾ وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان كذلك باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع.

الغنى والخير فيهم» عمرو بن تغلب، فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم^(١)
رواه البخاري.

المهم أن النبي ﷺ قد أثنى على قوم بإيمانهم.
ومن ذلك أيضًا حديث حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا
رسول الله، ابعث إلينا رجلاً أميناً، فقال: «لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حق أمين حق أمين»،
قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح^(٢) رواه البخاري ومسلم.
وفي رواية للبخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو
عبيدة بن الجراح»^(٣).

وقوله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه يحب الله ورسوله،
ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجوه، فقال: «أين
علي؟» ف قيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه،
فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا. فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم
إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من أن يكون
لك حمر النعم»^(٤) رواه البخاري ومسلم.

(١) هذه الرواية أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وأخرجه
البخاري في كتاب المناقب باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وفي كتاب المغازي باب قصة أهل
نجران.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب قصة أهل نجران وفي كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء في
إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير واللفظ له في باب ما قيل في لواء النبي ﷺ
وأخرجه في باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة وفي باب فضل من أسلم على يديه رجل،

قوله: (فإنَّك لا تدري بما يختم الله له عند الموت) هذا هو الدليل أنَّه يقصد الشهادة له بالجنة أو بالنار، فهذا أمرٌ لا يجوز.

وقد قال النبي ﷺ لأُم العلاء التي قالت عن عثمان بن مظعون: رحمة الله عليك أبا السائب شهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه؟» قالت: قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن؟ قال: «أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إنني لأرجو له الخير، وما أدري والله وأنا رسول الله ما يفعل بي». قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده^(١)، ولكن يجوز أن تقول عن المسلم: أرجو له رحمة الله، وأخاف عليه ذنوبه.

قوله: (وما من ذنبٍ إلَّا وللعبد منه توبة) التوبة مقبولة من كلِّ ذنب في الحكم الأخروي، وقد قال النبي ﷺ لعمر بن العاص ﷺ: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنَّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأنَّ الحج يهدم ما كان قبله»^(٢). وقوله للذي قتل تسعة وتسعين نفساً: «ومن يحول بينه وبين التوبة»^(٣). الحديث.

وفي كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﷺ وقال النبي ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال عمر: توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وفي كتاب المغازي باب غزوة خيبر. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير أيضاً باب غزوة ذي قرد وغيرها، وفي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المناقب باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة عن خارجة ابن زيد بن ثابت ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(٣) وهذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راحب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل؟ له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فأكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنَّ بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء.

فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء نائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاموه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة» قال قتادة: فقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدرة.

وَالرَّجْمُ حَقٌّ، وَالْمَسْحُ عَلَى الْخُفَيْنِ سُنَّةٌ، وَتَقْصِيرُ الصَّلَاةِ فِي السَّفَرِ سُنَّةٌ، وَالصَّوْمُ فِي السَّفَرِ: مَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ، وَلَا بَأْسَ بِالصَّلَاةِ فِي السَّرَاوِيلِ [١].

والأحاديث في هذا الباب واضحة، والخلاف إنما هو فيمن سبَّ الرسول ﷺ أو القرآن هل تقبل له توبة في الدنيا أو يحكم عليه بالقتل، ولو أعلن التوبة كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ؟ وبالله التوفيق.

[١] في هذا المقطع عدة جمل:

الجملة الأولى: قوله: (والرجم حق) رجم الزانين المحصنين حق فرضه الله ﷻ ونزلت في ذلك آية: ﴿الشَّيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنِيَا فَاَرْجُمُوهُمَا أَلْبَتَّةَ نَكَالًا مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(١)، ثُمَّ إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَسَخَتْ تِلَاوَةً، وَبَقِيَتْ حَكْمًا.

وقد رجم النبي ﷺ ماعزاً^(٢)، وامرأة صاحب العسيف^(٣)، والجهنية^(٤)، ورجم يهوديين

(١) الحديث الذي ورد فيه هذه الآية المنسوخة ورد في سنن ابن ماجه في كتاب الحدود باب الرجم من حديث ابن عباس وورد كذلك في موطأ الإمام مالك رَحِمَهُمُ اللَّهُ في كتاب الحدود باب ما جاء في الرجم وفي مسند الإمام أحمد رَحِمَهُمُ اللَّهُ في مسند الأنصار برقم الحديث ٢٠٢٦ و٢٠٦١٣، وفي سنن الدارمي في كتاب الحدود باب في حد المحصنين بالزنا من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأشار إلى صحة الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُمُ اللَّهُ في الإرواء ج ٨ / ٤ برقم الحديث ٢٣٣٨ وقال: (صحيح انظر البخاري ومسلم ... إلخ؛ فالبخاري رَحِمَهُمُ اللَّهُ أوردته في كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا ومسلم رَحِمَهُمُ اللَّهُ أوردته في كتاب الحدود أيضًا باب رجم الثيب في الزنى من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا).

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب الأحكام باب من حكم في المسجد حتى إذا أتى على حد أمر أن يخرج من المسجد فيقام وقال عمر أخرجه من المسجد ويذكر عن علي نحوه وفي كتاب الحدود باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت ومسلم أخرجه في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الشروط باب الشروط التي لا تحل في الحدود، وفي كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا، ومسلم في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا.

(١) أخرجه مسلمٌ في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنا.

زنيا^(١).

وتوفي النبي ﷺ وهذا الحكم باقٍ معمولٌ به، ورجم الخلفاء بعده، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب يوماً وقال: «لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: ما أجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة من فرائض الله، ألا وإن الرجم حق إذا أحسن الرجل وقامت البينة، أو كان حمل، أو اعتراف، وقد قرأتها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده»^(٢).

وعلى ذلك الإجماع المتصل بين أهل العلم على مشروعية الرجم للزاني المحصن والزانية المحصنة.

الجملة الثانية: قوله: (والمسح على الخفين سنة) المسح على الخفين من السنن^(٣). وقد أدخل المسح على الخفين في العقائد، لأن بعض المبتدعين أنكروه، وهم الخوارج والشيعة بحجة أنه لم يرد في القرآن، وهو ثابت عن النبي ﷺ من رواية جماعة من الصحابة، وصار إنكاره علماً على أهل البدع، وأهل السنة والجماعة يثبتونه لوجود الأدلة به. الجملة الثالثة: قوله: (تقصير الصلاة في السفر سنة) أي: القصر في الصلاة بأن تصوير الرباعية اثنتين.

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ وفي كتاب الحدود باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام، وأخرجه مسلم - رحمهما الله - في كتاب الحدود باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنا.

(٢) الحديث سبق تخريجه بغير هذا اللفظ وهذا اللفظ الوارد هنا هو في سنن ابن ماجه - رحمه الله تعالى عليه - في كتاب الحدود باب الرجم، وقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجه وأشار إلى تصحيحه في الإرواء برقم ٢٣٣٨.

(٣) قال النووي: أجمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر سواء كان لحاجة أو غيرها، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح وقد صرح جمع من الحفاظ بأن المسح متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة. انتهى من فقه السنة ج ١/ ٤٦ المسح على الخفين.

وهذا الحكم مجمع عليه، ومصرَّح به في القرآن في الآية التي في سورة النساء، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، وقد سأل عمر ابن الخطاب رسول الله ﷺ عن القصر إذ قد أذهب الله الخوف، فقال النبي ﷺ: «صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»^(١).

الجملة الرابعة: قَوْلُهُ: (والصوم في السفر من شاء صام، ومن شاء أفطر)^(٢). وأقول: في مذهب الجماهير من أهل السنة والجماعة: أن الفطر في السفر رخصة من الله، فمن شاء أخذ بهذه الرخصة، ومن شاء صام إذا وجد من نفسه القدرة على ذلك؛ لأن النبي ﷺ قد صام وبعض أصحابه في السفر وأفطر بعضهم، وإنما الخلاف في الأفضل من الصوم أو الفطر، ولا شك أن الفطر أفضل، والصوم جائز لمن قدر عليه، ويجب على المجاهدين الفطر قبل لقاء العدو ليكون أقوى لهم.

الجملة الخامسة: قوله: (ولا بأس بالصلاة في السراويل)^(٣). أقول: أما السراويل التي تجوز فيها الصلاة فهي السراويل التي تكون ساترة للعورة المرتخية (الواسعة) على الجسم بحيث يتمكن لابسها من أداء الصلاة على الوجه الأكمل. أما إذا كانت ضيقة مظهرة لحجم الإليتين؛ فإن الصلاة فيها تكون مكروهة وقد تبطل الصلاة إذا كان لا بأس بالسراويل لا يتمكن من أداء الأركان، كأن يكون لا يستطيع أن يجلس للتشهد وبين السجدين، وبالله التوفيق.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في أول كتاب صلاة المسافرين وقصرها.
(٢) دلَّ على هذه المسألة أحاديث كثيرة منها ما رواه الإمام أحمد وغيره عن أم هانئ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ (دخل عليها فدعا بشراب فشرب، ثم ناولها فشربت، فقالت: يا رسول الله، أما إني كنت صائمة، فقال رسول الله ﷺ: «الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام، وإن شاء أفطر».)
(٣) أشار الشيخ الراددي - حفظه الله - إلى مسألة جواز الصلاة في السراويل في كتاب المغني لابن قدامة (١/ ٥٨٢ - ٥٨٣).

وَالنَّفَاقُ: أَنْ يُظْهَرَ الْإِسْلَامَ بِاللِّسَانِ وَيُخْفِيَ الْكُفْرَ بِالضَّمِيرِ [١].
وَأَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ إِيْمَانٍ وَإِسْلَامٍ، وَأُمَّةٌ مُحَمَّدٌ ﷺ فِيهَا مُؤْمِنُونَ مُسْلِمُونَ فِي
أَحْكَامِهِمْ وَمَوَارِيثِهِمْ وَذَبَائِحِهِمْ وَالصَّلَاةِ عَلَيْهِمْ، وَلَا نَشْهَدُ لِأَحَدٍ بِحَقِيقَةِ الْإِيْمَانِ
حَتَّى يَأْتِيَ بِجَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنْ قَصَرَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ كَانَ نَاقِصَ الْإِيْمَانِ
حَتَّى يَتُوبَ، وَأَعْلَمَ أَنَّ إِيْمَانَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، تَامَ الْإِيْمَانِ أَوْ نَاقِصَ الْإِيْمَانِ، إِلَّا مَا أَظْهَرَ
لَكَ مِنْ تَضْيِيعِ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ [٢].

[١] النفاق: مشتق من النفق، وهو الجحر الذي يكون في الأرض، وإنما سمي بذلك لأن صاحبه قد أظهر خلاف ما يبطن، وهذا ما يسمي بالنفاق الاعتقادي.
أما النفاق العملي: فهو لا يخرج من الإسلام، بل يبقى صاحبه مسلماً وسمي نفاقاً عملياً؛ لأن صاحبه أظهر خلاف ما يبطن.

أما النفاق الاعتقادي: وهو نفاق المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ فهو أن يظهر الإسلام ويبطن الكفر، ويتحفظ ممّا يدل على إظهار عقيدته؛ لذلك فقد أخبر الله ﷻ بأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وبالله التوفيق.

[٢] أقول: قوله بأن الدنيا دار إيمان وإسلام؛ هذا فيه نظر، فليست الدنيا كلها دار إيمان وإسلام، ولكن دار الإيمان والإسلام هي الدار التي تكون السلطة فيها لأهل الإيمان والإسلام، بأن تظهر فيها الصلوات، ويحكم فيها الشرع الإسلامي، ولا يعلن فيها الكفر بالله والشرك به، فإن أعلن فيها الكفر والشرك فهي ليست دار إسلام حتى وإن كانت في الأصل وباعتبار ما كان دار إسلام كبلاد الأندلس التي تسمى الآن أسبانيا.

قوله: (وأمة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم وموارثهم وذبائحهم والصلاة عليهم...) إلخ.

هذا صحيح بأن من أظهر الإسلام بأن نطق بالشهادتين عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها، وأقام الصلاة، وأدى الزكاة، وصام رمضان؛ فهذا هو المسلم تجري عليه أحكام الإسلام، الأحكام التوارثية، وأحكام الذبائح، فيؤكل ذبحه، ويصلّى عليه إذا مات، لكن لا نشهد

وَالصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ سُنَّةٌ، وَالْمَرْجُومُ، وَالزَّانِي وَالزَّانِيَةُ، وَالَّذِي يَقْتُلُ نَفْسَهُ، وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، وَالسَّكَرَانُ وَغَيْرُهُمْ: الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ سُنَّةٌ، وَلَا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ حَتَّى يَرُدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، أَوْ يَرُدَّ شَيْئًا مِنْ آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللَّهِ، أَوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَإِذَا فَعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِذَا لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمُسْلِمٌ بِالْإِسْمِ لَا بِالْحَقِيقَةِ [١].

لأحد بحقيقة الإيمان حتى يأتي بشرائع الإسلام وأصوله وفروعه بقدر المستطاع. أما إن قصر في شيء من تلك الأحكام التي هي بمنزلة الأصول، وارتكب محرماً؛ فنحن في هذه الحالة نحكم له بالإسلام الناقص عن درجة الإيمان الكاملة، فلا ننفي عنه مطلق الإيمان، ولا نحكم له بكماله، ومتى ضيع شيئاً من شرائع الإسلام التي تقتضي الحدود أو التعزير أقمنا عليه ذلك بحسب ما تقتضيه الحالة، وبالله التوفيق.

[١] (والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة... إلخ) يعني حتى لو مات مصرّاً على الكبائر كالذي يموت بحدٍّ كالمرجوم، والزاني والزانية، والذي يقتل نفسه وغيره من أهل القبلة، وكذلك السكران، لأن هؤلاء وإن كانوا قد أتوا شيئاً من الكبائر فإنه يصلّي عليهم، ويدعى لهم.

والأفضل - فيما أرى وفيما يتضح - لي أن من يقتدى بهم يترك الصلاة على من يقتل نفسه، وعلى من قد مات في السكر حتى يكون في ذلك شيء من الزجر لغيره، ويصلّي عليه سائر الناس^(١).

(١) وقد كان النبي ﷺ يفعل مثل ذلك في أول الإسلام حيث كان يترك الصلاة على من مات وعليه دين لينزجر بذلك غيره من المسلمين وليحذروا من التساهل بالديون لأنَّ حقوق الناس مبنية على المشاحة والمخاصمة فلما وسع الله على النبي ﷺ وفتحت البلدان وانتشر الإسلام وكثرت الغنائم وزكى بيت مال المسلمين فكان بعد ذلك ﷺ يصلّي على من مات وعليه دين بل ويقضي ما عليه من الديون: ﴿فَمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ إِنَّ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَقْبَضَوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ دل على ما قلته حديث =

قول المؤلف - رحمه الله تعالى -: (ولا يخرج أحدٌ من أهل القبلة من الإسلام حتّى يردّ آية من كتاب الله أو يردّ شيئاً من آثار رسول الله ﷺ...) إلى آخر هذا المقطع.

=

أبي هريرة رضي الله عنه الوارد في الصحيحين: أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدّين فيسأل هل ترك لدينه من قضاء، فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه، وإلا قال صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قال أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاءه ومن ترك ما لا فهو لورثته.

وفي صحيح سنن أبي داود للالباني رحمه الله في ج ٢/ ٢٩٥ من حديث أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ لم يصل على ماعز بن مالك، ولم ينه عن الصلاة عليه».

وفي مسند أحمد وغيره من أصحاب السنن بسند صحيح عن أبي عمرة مولى زيد بن خالد الجهني أنه سمع زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه يحدث: أن رجلاً من المسلمين توفي بخير، وأنه ذكر لرسول الله ﷺ فقال: «صلوا على صاحبكم» قال: فتغيرت وجوه القوم لذلك، فلما رأى الذي بهم قال: «إن صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه» فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوي درهمين.

كل هذه الأحاديث وغيرها تبين أن على المسلم عليه أن يتقي الله في نفسه فيحذر مما حذر الله منه ورسوله ﷺ من وجوب الابتعاد عن الذنوب صغيرها وكبيرها؛ لأن الأعمال بالخواتيم نسأل أن يختتم لنا ولكل مسلم بخير.

وأن من الآثار السيئة على من مات على معصية ولم يتب منها أن أهل الفضل والصلاح ومن يقتدى بهم من الناس وعلى رأسهم ورثة الأنبياء وهم العلماء العاملين أن الأفضل ألا يصلوا على من كانت هذه حاله كما فعل النبي ﷺ في تلك الأحاديث السابقة وذلك ليحذر الناس من فعل المعاصي وخاصة المعاصي التي توجب الحدود.

أمّا إذا كانت هذه المعصية مكفرة كمن مات على الشرك أو مات على ترك الصلاة أو مات على غيرها من المعاصي التي تعتبر ناقضة للإسلام قولية كانت أو فعلية فإنه لا تجوز الصلاة عليه؛ لأن صلاة الجنابة عبادة لم تشرع إلا على من مات مسلماً سالماً من أي أمر يوجب الردة عن الإسلام قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا تُقَمِّعْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، والله أعلم.

وأقول: هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، أنهم لا يخرجون أحداً من أهل القبلة من الإسلام، أي: لا يحكمون بخروجه من الإسلام وارتداده عنه إلا إذا أتى بما يوجب ذلك مثل أن يرد آية من كتاب الله وَعَلَّاهُ؛ فيقول: أنا لا أؤمن بهذه الآية ولا أصدق بما فيها، أو يرد شيئاً من آثار الرسول ﷺ.

أما قوله: (أو يرد شيئاً من آثار رسول الله ﷺ) فهذا فيه تفصيل: فإن رد شيئاً من الأحاديث الصحيحة الظنية متأولاً فلا يحكم بكفره، ولكن يحكم بأنه قد أتى جرمًا عظيمًا ومنكرًا كبيرًا.

ويحكم بكفر من رد حديثًا متواترًا، أو رد حكمًا مجمعًا عليه معلومًا من الشرع بالضرورة كقطع يد السارق مثلاً، أو رجم الزاني المحصن، أو ما أشبه ذلك من الأحكام المجمع عليها.

وأما الدليل على أن النبي ﷺ لم يصل على من قتل نفسه: ففيما رواه الإمام مسلم وغيره من حديث جابر بن سمرة قال: أتى النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه ^(١). قال الشيخ أحمد شاكر رحمته الله: المشاقص جمع شقص، وهو نصل عريض أو طويل أو سهم فيه ذلك.

أما من صلى لغير الله أو ذبح لغير الله أو تطوف بالقبور ودعا أصحابها؛ فإنه إذا فعل شيئاً من ذلك يعتبر مشركاً شركاً أكبر، وقد خرج عن الإسلام بفعله هذا.

ومعنى قوله: (فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام) يعني: أن تحكم بردته.

قوله: (فإذا لم يفعل شيئاً من ذلك فهو مؤمن مسلم بالاسم لا بالحقيقة).

أقول: إن المسلم الذي لم يعمل شيئاً من موجبات الردة فهو مسلم حقيقة ناقص الإسلام والإيمان، ويقال: فاسق بفسقه مسلم بإسلامه.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمته الله في كتاب الجنائز باب ترك الصلاة على القاتل نفسه.

والمهم أن قول المؤلف: (مؤمنٌ مسلمٌ بالاسم لا بالحقيقة) يقصد بأنه غير كامل الإيمان والإسلام، لكن نفي الحقيقة يقع على نفي الماهية، فلا ينبغي أن يقال ذلك، بل يقال كما سبق أن بينا بأنه مسلمٌ ناقصٌ الإسلام أو فاسقٌ.

وهذه المسألة قد اختلف فيها في زمان السلف؛ فالجهمية ومن قال بقولهم والخوارج يخرجون المسلم من الإسلام بالكبيرة، ويحكمون بتخليده في النار.

والمعتزلة يقولون بأنه في منزلة بين منزلتين^(١)، ويحكمون بتخليده في النار.

والمرجئة يحكمون بأنه مؤمنٌ كامل الإيمان لأنهم يقولون لا يضُرُّ مع الإيمان ذنب. وأهل السنة والجماعة فيقولون بأنه مسلم ناقص الإيمان أو فاسقٌ ولا يخرجونه من الإسلام في الدنيا، ولا يقولون بتخليده في النار يوم القيامة، بل يقولون بأنه تحت المشيئة، فإن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة بدون عذاب، وإن شاء عذبه في النار بقدر جنايته، وبعد أن يطهره يخرج من النار، ويدخله الجنة.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وبالله التوفيق.



(١) أي لا مسلم ولا كافر فلا يثبت له مطلق الإسلام ولا ينفي عنه الكفر بالكلية نسأل الله العافية من هذا القول الخالي عن الحق والبرهان.

وَكُلُّ مَا سَمِعْتَ مِنَ الْآثَارِ شَيْئًا مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ عَقْلُكَ، نَحْوَ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «قُلُوبُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ﷻ»^(١). وَقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثَّلَاثِ الْأَخْرَمِ اللَّيْلِ»^(٢)، وَيَنْزِلُ يَوْمَ عَرَفَةَ^(٣)، وَيَنْزِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(٤)، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَا يَزَالُ يَطْرَحُ فِيهَا حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهَا قَدَمَهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-^(٥)، وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى للقلوب من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه بلفظ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلِّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبِ وَاحِدٍ يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مَصْرِفِ الْقُلُوبِ صَرْفَ قُلُوبِنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل وقال الله ﷻ: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ أي ما ينامون ﴿وَبِالْأَنفَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وفي كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ حق ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا كَلِمٌ﴾ باللعب، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل من حديث أبي هريرة بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

(٣) قال الشيخ الراددي: هذا الحديث أخرجه ابن منده في التوحيد (١/١٤٧) وأبو الفرج الثقفاني في الفوائد (١/١٩٢ ٢/٢٨) كما في السلسلة الضعيفة (٦٧٩) والبخاري في شرح السنة (١٥٩/٧) من طريق مرزوق مولى طلحة عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً.

وله طريق آخر من حديث جابر أيضاً وإسناده ضعيف كما في السلسلة الضعيفة (١٢٥/٢ - ١٢٦) بيد أنه صح موقوفاً أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٣٧) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (٧٦) والدارقطني في النزول (٩٥ - ٩٦) واللالكائي في شرح السنة (٧٦٨) عن أم سلمة موقوفاً عليها ومثله لا يقال من قبيل الرأي فله حكم الرفع. اهـ

(٤) ثم قال: ثبت في القرآن والسنة مجيء وإتيان الجبار -تبارك وتعالى- لفصل القضاء يوم القيامة، وأما النزول فقد وردت فيه بعض الآثار انظر الكلام عليها في الرد على الجهمية للدارمي (ص ٧٢ - ٧٥) وتفسير ابن كثير (٣/٣١٥ - ٣١٦). اهـ

(٥) الحديث في ذلك أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب: ﴿وَقَوْلُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: قال: قال النبي ﷺ: «تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَقَالَتِ النَّارُ أَوْثَرُ =

لِلْعَبْدِ: «إِنْ مَشَيْتَ إِلَيَّ هَزَوْتُ إِلَيْكَ»^(١)، وَقَوْلِهِ^(٢): «خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(٣)،
وَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ»^(٤).
وَأَشْبَاهَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالتَّصَدِيقِ وَالتَّفْوِيزِ وَالرِّضَا، وَلَا تُفَسِّرْ

=

بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله -تبارك وتعالى- للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشياء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها؛ فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله ﷻ من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقاً، والحديث أخرجه مسلم بألفاظ متعددة في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه، إذا ذكروني فإن ذكروني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكروني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم، وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) وفي نسخة الراددي في هذا الموضع قال البربهاري رحمه الله: وقوله: «إن الله -تبارك وتعالى- ينزل يوم عرفة» وأسقطت هذه الفقرة في نسخة القحطاني لأنها مكررة في المتن والأولى عدم حذفها، والله التوفيق.

(٣) وهذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب بدء السلام من حديث بلفظ: قال النبي ﷺ: «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله؛ فكل من دخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن» وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب النهي عن ضرب الوجه ولفظه في حديث ابن حاتم عن النبي ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته».

(٤) قال الشيخ القحطاني عند تخريجه لهذا الحديث: (انظر مسند أحمد ١/ ٢٨٥ و ٢٩٠ وابن أبي عاصم في السنة ١/ ١٨٨ وصححه الألباني وقال: هي رؤيا منامية كما يشعر به بعض ألفاظه وانظر السنة لعبد الله بن أحمد رقم ١١٧). اهـ

شَيْئًا مِنْ هَذِهِ بِهَوَاكَ، فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِهَذَا وَاجِبٌ، فَمَنْ فَسَّرَ شَيْئًا مِنْ هَذَا بِهَوَاهُ وَرَدَّهُ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يَرَى رَبَّهُ فِي دَارِ الدُّنْيَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ وَجَلَّ [١].

[١] قَوْلُهُ: وكل ما سمعت من الآثار شيئاً مما لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله ﷺ: «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن وَجَلَّ» الحديث أخرجه مسلم. وقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي الثَّلَاثِ الْآخِرِ مِنَ اللَّيْلِ»^(١)، وما أشبه ذلك من الأحاديث الواردة في ذكر صفات الله وَجَلَّ، فيجب أن نعلم أن صفات الله وَجَلَّ ليست كصفات خلقه، بل كما قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فما لم يبلغه عقلك ولم يتصوره ذهنك، وجب عليك أن تؤمن به وتكل علمه وكيفيته إلى الله وَجَلَّ، وما علينا إلا أن نؤمن كما آمن الصحابة -رضوان الله عليهم-، إيماناً لا يشوبه شك، ولا تخالجه ريبة بأن ما جاء في هذه الأحاديث الصحيحة فهو حق، وما لم تتصوره عقولنا منه فعلياً أن نؤمن به كما يشاء ربنا ﷻ، وكما أراد.

وأن نؤمن بما جاء في كتاب الله، وما جاء في سنة رسول الله ﷺ من ذلك على مراد الله، وعلى مراد رسول الله ﷺ، ونفوض الكيفية في ذلك إلى الله ﷻ، مسلمين بما اقتضته ومصدقين بذلك، ومفوضين فيما لم تبلغه عقولنا، راضين بما رضى به ربنا لنفسه وما رضى له رسول الله ﷺ، ولا نفسر شيئاً من ذلك بأهوائنا؛ لأن من فسَّر شيئاً من ذلك بهواه فهو جهمي، وإن زعم أنه ينزِّهه ربّه، فيقال له أنت تنزّهه عما أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله ﷺ فهذا ليس بتنزيه، ولكنه تعطيل.

وأما قول المؤلف: (ومن زعم أنه يرى ربّه في دار الدنيا، فهو كافرٌ بالله وَجَلَّ).

أقول: هذا الزعم قد زعمه كثيرٌ من الصوفية الملاحدة الذين يقولون بأنهم يرون ربهم ويرون النبي ﷺ، ويأخذون عنه وعن الله وَجَلَّ مباشرة، ويعتقدون أنهم في مقام أرفع من مقام الرسالة، ومن زعم هذا الزعم، فهو كافر لا شك في كفره، وبالله التوفيق.

(١) هذان الحديثان سبق تخريجهما في ص ١٢٤، فمن شاء فليرجع إلى تخريجهما وبالله التوفيق.

وَالْفِكْرَةُ فِي اللَّهِ بِدْعَةٌ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ». فَإِنَّ الْفِكْرَةَ فِي الرَّبِّ تَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ [١].

[١] قوله: والفكرة في الله بدعة، لقول رسول الله ﷺ: «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الله».

هذا الحديث يقول المعلق (القحطاني) أخرجه أبو الشيخ وهو حديث ضعيف ذكر ذلك الألباني في ضعيف الجامع برقم (٢٤٧٠)، ولكنه صححه في صحيح الجامع (ج ٣ / ٤٩) وذكر أنه حديث حسن، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤ / ٣٩٥) وأقول: هذا الحديث في تصحيحه نظر، وقد يكون أنه من كلام بعض السلف.

وأقول: إن الفكرة في الله؛ أي: في ذات الله ﷻ لا ينبغي؛ لأن العبد إذا فكر فإنما يفكر بما يتصوره عقله، وبما يخطر على ذهنه من مرئيات ومسموعات ومعلومات، والله ﷻ فوق ذلك كله، لا ينبغي لأحد أن يفكر في ذاته تعالى، لأنه كلما تصور شيئاً، فالله ﷻ بخلافه. ويكفي أن نفكر في خلق الله، وفي قدرته الخارقة العظيمة ولو فكر الإنسان في أصله لكفاه، فليفكر كيف حوّل الله النطفة التي خلق منها إلى هذا الخلق العظيم، وكيف حوّل الله ﷻ النطفة التي يخلق منها الحيوان إلى حيوان، وكيف هيأ الله كل شيء من المخلوقات إلى ما قصد له فهيأ الله البقرة للحرث، وهيأ الإبل للحمل إلى غير ذلك ممّا نراه ونعلمه.

فالذي قدر على تحويل النطفة من نطفة إلى إنسان وإلى حيوان أليس ذلك هو الرب القادر على كل شيء؟! بلى، ونحن على ذلك من الشاهدين.

والمهم أن التفكير ينبغي أن يكون في خلق الله لا في ذاته، ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ويجب علينا التسليم بهذه الآية حتى لا تتخبط عقولنا في شيء لا ينبغي، وإذا كانت الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وهي خلق من خلق الله، فكيف بذات الله، وبالله التوفيق.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْهَوَامَّ وَالسَّبَاعَ وَالِدَوَابَّ نَحْوَ الذَّرِّ وَالذُّبَابِ وَالنَّمْلِ كُلَّهَا مَأْمُورَةٌ،
وَلَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى [١]. وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ عَلِمَ مَا كَانَ مِنْ
أَوَّلِ الدَّهْرِ، وَمَا لَمْ يَكُنْ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ أَحْصَاهُ وَعَدَّهُ عَدًّا، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا
كَانَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ [٢].

[١] هذه المخلوقات خلقها الله ﷻ، وجعل لكل منها شيئاً من العبادة؛ فكل من هذه
الدواب والسباع والهومام غير ذلك كل منها يؤدي العبادة التي أمر بها.
قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَسَبِّحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور: ٤١-٤٢].
ومن هذه الآية نعلم أن لهذه الدواب والطيور أنواعاً من العبادة خلقها الله لها، وهي
تؤديها امتثالاً لأمر ربها، لا تفعل شيئاً من عند نفسها، وبالله التوفيق.

[٢] وهذه الجملة يظهر أن فيها نقص، والظاهر أن المعنى: ولا يعلم ما هو كائن إلا
بعد كونه؛ (وهذا قول هشام بن الحكم رأس الضلالة، فقد صرح أنه سبحانه لم يكن يعلم
شيئاً حتى أحدث لنفسه علماً، وهذا كفر صريح انظر الفصل لابن حزم (ج ٥ / ٤٠) تحقيق
محمد وزميله). انتهى من تحقيق محمد سعيد القحطاني.

وأقول: القول بأن الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، هذا قول لبعض المعتزلة، وهو
قول باطل، ومن يعتقد ذلك فقد كفر، فالعلم صفة لله ﷻ، قد علم الله ما كان، وما لم يكن، وما
هو كائن لو كان كيف يكون، وكتبه في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض.
إذن فمن ينكر العلم فهو كافر يجب أن يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل كفراً وردة.
وقد قال السلف: ناظروهم بالعلم^(١)، فإنهم إذا أنكروه كفروا^(٢)، وبالله التوفيق.

(١) أي علم الله الذي هو صفة من صفاته تعالى.

(٢) انظر أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٧١٤) بتحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان طبعة دار
طبعة الرياض ١٤٠٢ هـ وانظر كتاب جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧) الطبعة الأولى لدار المعرفة
بيروت لعام ١٤٠٨ هـ (تخريج الشيخ أحمد بن عبد الله الحكيمي).

وَلَا نِكَاحَ إِلَّا بَوْلِيَّ وَشَاهِدَيَّ عَدْلٍ، وَصَدَاقٍ، قَلَّ أَوْ كَثُرَ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلِيٌّ
فَالسُّلْطَانُ وَلِيٌّ مِّنْ لَا وَلِيَّ لَهُ، وَإِذَا طَلَّقَ الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ ثَلَاثًا فَقَدْ حَرُمَتْ عَلَيْهِ، لَا تَحِلُّ
لَهُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ [١].

[١] قَوْلُهُ: (وَلَا نِكَاحَ إِلَّا بَوْلِيَّ، وَشَاهِدَيَّ عَدْلٍ، وَصَدَاقٍ قَلَّ أَوْ كَثُرَ).

هذا هو مذهب الجمهور^(١)، وهو الحق.

إِذْنٌ مِّنْ يَقُولُ أَنَّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهَا قَوْلُهُ بَاطِلٌ مُنَاقِضٌ لِلأَدْلَةِ^(٢)،
وَمُخَالَفٌ لَهَا بَلْ إِنَّهُ يَفْتَحُ ثَغْرَةً لِأَصْحَابِ الْفَسَادِ^(٣)، فَيَجِبُ اعْتِقَادُ بَطْلَانِهِ.

(١) قَالَ شَيْخُنَا زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي الْمَدْخَلِيِّ فِي كِتَابِهِ الْقِيمُ الْأَفْنَانِ النَّدِيَّةِ شَرْحَ السَّبِيلِ السَّوِيَّةِ ج ٤ /
٢٩٢: (الْحَكْمُ الْأَوَّلُ: أَنَّ النِّكَاحَ لَا يَصِحُّ إِلَّا بِوَلِيِّ عَدْلٍ وَبِدُونِهِ لَا يَصِحُّ عِنْدَ عَامَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ
أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ وَمِنْ بَعْدِهِمْ وَهُوَ قَوْلُ عُمَرَ وَعَلِيٍّ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِمْ
كَمَا قَالَ بِهِ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ وَشَرِيحُ الْقَاضِي وَإِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ وَعُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَمِنَ الْأُئِمَّةِ
الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ وَإِسْحَاقُ وَجَمْعٌ غَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ الْحَقُّ لَمَّا رَوَى أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ عَنْ أَبِي
مُوسَى ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ» وَالنَّفْيُ يَتَوَجَّهُ إِلَى الصَّحَّةِ كَمَا فَهَمَهُ الْجُمْهُورُ). اهـ
(٢) وَمِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى ذَلِكَ أَيْضًا: مَا جَاءَ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ
وَأِمَائِكُمْ﴾. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ النِّكَاحِ بَابَ مَنْ قَالَ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيِّ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ أَنْ
يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ قَالَ مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ
رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا فَقُلْتُ لَهُ زَوْجَتُكَ وَفَرَشَتُكَ وَأَكْرَمَتُكَ فَطَلَّقْتُهَا ثُمَّ
جِئْتُ تَخْطُبُهَا، لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ
فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَلَا تَعْصُلُوهُنَّ﴾ فَقُلْتُ: الْآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَزَوِّجْهَا إِيَّاهُ.

وَعِنْدَ أَحْمَدَ وَأَبُو دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ وَاللَّفْظُ لَهُ.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحْتَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيَّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا
بَاطِلٌ فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا فَإِنْ اسْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيٌّ
مِّنْ لَا وَلِيَّ لَهُ».

(٣) قَالَ شَيْخُنَا أَحْمَدُ النَّجْمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: (وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ كَانَ لِأَحَدِ الْفُقَهَاءِ الْحَنْفِيِّينَ فِي بَعْضِ الْبُلْدَانِ

وكذلك أيضًا أنه لا بد من صداق، ولكن إذا لم يسمَّ الصداق في النكاح؛ فالصواب أنه لا يبطل ويعتبر النكاح صحيح، وتعطى صداق لِدَاتِهَا؛ أي: أقربائها وأَسْنَانِهَا، أي الصداق المعروف بين الناس، سواء كان قليلاً أو كثيراً في ذلك الزمن وذلك المكان، وهذه تسمَّى الموليَّة^(١) عند الفقهاء.

قوله: (ومن لم يكن لها وليٌّ، فالسلطان ولي من لا وليَّ له).

هذا هو القول الصحيح؛ فالتى ليس لها وليٌّ يكون وليها السلطان؛ لحديث: «السلطان ولي من لا وليَّ له»^(٢).

العربية ابنٌ منحرف وكان يسمع من أبيه أن الولي ليس بشرط في النكاح، وكان يصحب شلَّةً فاسدة يعاقرون النساء، ويعملون معهنَّ الفواحش، فعلم شلته أن يقول للزانية إذا أعطاهما أجرها زوجيني نفسك فتقول زوجتك نفسي، وهو يقول قبلت فيقضي معها ليلته، فإذا حان الفراق قال لها مطلقة، وفي الليلة الثانية واحدة أخرى، فأنت ترى أن هذا المذهب الذي جاء على خلاف الدليل قد استغله المنحرف ذريعةً للفساد والإفساد مع أن المذهب الحنفي لا يبيح مثل هذه الصورة، ولكن يبيح النكاح الذي يقصد به الاستدامة، ولا يبيح اختلاط المياه عند الطلاق، بل يوجب العدة والاستبراء في حق المختلعة والأمة تشتري). اهـ.

(١) قال شيخنا النجفي: الموليَّة هي التي لا تشتط، وتسمَّى الموليَّة لأنها ولت الزوج مقدار الصداق فما أعطاهما قبلته. اهـ.

(٢) كما عند الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ فِي مسنده من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي مسند بني هاشم برقم ٢٢٦٠، وفي باقي مسند الأنصار من حديث عائشة برقم ٢٣٦٨٥ و ٢٣٨٥١ و ٢٤٧٩٨ و ٢٥٧٠٣، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب النكاح باب ما جاء لا نكاح إلا بولي من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب النكاح باب في الولي من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وأخرجه الإمام الدارمي في سننه في كتاب النكاح باب النهي عن النكاح بغير ولي من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وأخرجه الإمام ابن ماجه في سننه أيضًا في كتاب النكاح باب لا نكاح إلا بولي من حديث عائشة أيضًا رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الجامع في ج ١/ ٥٢٦ برقم الحديث ٢٧٠٩ وأشار رَحِمَهُ اللهُ إِلَى الإرواء برقم ١٨٤٠ فلينظر.

وَلَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: زَنًا بَعْدَ إِحْصَانٍ، أَوْ مُرْتَدًّا بَعْدَ إِيمَانٍ، أَوْ قَتَلَ نَفْسًا مُؤْمِنَةً
بِغَيْرِ حَقٍّ، فَيُقْتَلُ بِهِ، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَدَمُ الْمُسْلِمِ عَلَى^(١) الْمُسْلِمِ حَرَامٌ أَبَدًا حَتَّى تَقُومَ
السَّاعَةُ [١].

وأما قوله: (وإذا طلق الرجل امرأته ثلاثاً، فقد حرمت عليه لا تحل له حتى تنكح
زوجاً غيره).

وأقول: هذه المسألة فيها خلافٌ كبير بين العلماء فالطلاق فيه أقوال متعددة؛
فالجمهور: يرون أن الرجل إذا طلق ثلاثاً بلفظ واحد، فإنه قد حرمت عليه مطلقة.
ومن أهل العلم من يقول: إن الطلاق المحرّم هو طلاق السنة، بأن يطلق في طهر لم
يجامع فيه^(٢)؛ فإن طلق ثلاثاً بلفظ واحد أو بألفاظ متتابعة فإنه تعتبر واحدة، وهذا رأي
شيخ الإسلام ابن تيمية، وقول وسط وهو أنها تعتبر ثلاثاً بالنية، إذا كانت بألفاظ متتابعة،
والمسألة فيها كلامٌ كثير، وبالله التوفيق.

[١] وأقول: إنه لا يجوز قتل نفسٍ بغير واحدة من هذه الثلاث إجماعاً، وبالله
التوفيق.

(١) دلّ على هذه المسألة حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الوارد في صحيح البخاري في كتاب الديات باب
قول الله تعالى: ﴿أَنْ أَلْتَفَسَ بِالنَّفْسِ﴾ وكذا ورد في صحيح مسلم في كتاب القسامة باب ما يباح به
دم المسلم واللفظ لمسلم أن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني
رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الشيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة».

(٢) أو أن يطلق المرأة وهي حامل وعدتها بوضع الحمل فهذا الطلاق يعتبر طلاقاً سنياً، بخلاف ما لو
طلق المرأة في طهر جامعها فيه أو طلقها وهي حائض فيقول أهل العلم أن الطلاق هنا يسمى طلاقاً
بدعياً يقع فيه الطلاق ولكنه على خلاف السنة.

قال شيخنا النجّمي: وأيضاً جمع الثلاث في مكان واحد فيه خلاف هل هو بدعة أم لا؟

وَكُلُّ شَيْءٍ مِّمَّا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفَنَاءَ يَفْنَى، إِلَّا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَالْعَرْشَ
وَالْكُرْسِيَّ، وَالصُّورَ، وَالْقَلَمَ، وَاللَّوْحَ، لَيْسَ يَفْنَى شَيْءٌ مِنْ هَذَا أَبَدًا، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ الْخَلْقَ
عَلَى مَا أَمَاتَهُمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُحَاسِبُهُمْ بِمَا شَاءَ، فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ،
وَيَقُولُ لِسَائِرِ الْخَلْقِ مِمَّنْ لَمْ يُخْلَقْ لِلْبَقَاءِ: كُونُوا تُرَابًا [١].

[١] قوله: (وكلُّ شيءٍ مما أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلا الجنة، والنار، والعرش،
والكرسي، والصور، والقلم، واللوح ليس يفنى من هذا شيءٌ أبداً).
أقول: الجنة والنار والعرش والكرسي وتمام العدة^(١) لم يخلق شيءٌ من هذا للفناء،
بل هي مخلوقة قبل السموات والأرض، وعند فناء هذا الكون لا تفنى، بل هي باقية.
فالجنة معدة لأهلها، والنار معدة لأهلها، وبعد البعث والحساب سيدخل كل دارٍ
من أرادهم الله لها أن يدخلوها بأعمالهم: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وأهل الجنة سيعمرونها ويبقون فيها إلى ما لا نهاية، وأهل النار سيبقون فيها إلى ما
لا نهاية، إلا نار الموحدين الذين يعذبون بذنوب ارتكبوها، ثم يخرجون منها إلى الجنة.
أمّا نار الكفار والمنافقين الذين كتب الله عليهم الخلود، فسيبقون فيها إلى ما لا نهاية.
قوله: (ثم يبعث الله الخلق على ما أَمَاتَهُمْ عليه يوم القيامة، ويحاسبهم بما شاء
فريقٌ في الجنة، وفريقٌ في السعير)؛ أي يبعث الله الخلق على ما أَمَاتَهُمْ عليه يوم القيامة،
ويحاسبهم بأعمالهم ويجزيهم عليها، والله في عباده الحكمة البالغة، وله عليهم الحجة
الدامغة: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] وكلٌّ سيجزى بما عمل، إن خيراً فخير، وإن
شرّاً فشر، ويقول لسائر الخلق مِمَّنْ لم يخلق للبقاء: «كوني تراباً»^(٢).

(١) أي مما ذكر في المتن من الصور والقلم واللوح.

(٢) وقد ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عند تفسيره لقول الله تعالى في سورة النبأ: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾: أنه
وردت آثارٌ عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما أن ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات حتى
إنه يقتص للشاء الجماء من القرناء وإذا فرغ قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً فيتمنى الكافر عند ذلك
==

وَالْإِيمَانُ بِالْقِصَاصِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ، بَنِي آدَمَ وَالسَّبَّاحِ وَالْهَوَامِّ، حَتَّى لِلذَّرَّةِ مِنَ الذَّرَّةِ، حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ ﷻ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ؛ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؛ وَلِأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ؛ وَلِأَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ [١].

وأقول: تنقسم العوالم إلى قسمين: عاقل مكلف، وغير عاقل ولا مكلف؛ فالعوالم المكلفة الجن والإنس هم الذين يحاسبون يوم القيامة ويجزون على ما اقترفوا. أما الدواب، والطيور، والوحوش، والحشرات، وهي العوالم غير المكلفة كهذه يقول لها ربُّها: «كوني تراباً» فتكون تراباً.

وذلك بعدما تنتهي الحكمة من وجودها، ويقتص لبعضها من بعض حتى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء^(١)، ثم بعد ذلك تصير تراباً. وقد أشارت الآية التي في سورة النبأ، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ لَئِنِّي كُنْتُ تُرَابًا﴾ [النبأ: ٤٠]، أشارت إلى هذا المعنى أي أنه يتمنى الكافر أن يصير تراباً كهذه العوالم الغير مكلفة، وبالله التوفيق.

[١] يعني أن القصاص حاصل بين بني آدم بعضهم من بعض، وبين الإنس والجن، وبين الإنس، والسباع، والهوام، والدواب، وبين السباع والدواب بعضها من بعض، وقد جاء في الحديث: «حَتَّى يَقْتَصَّ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ -أي: التي لا قرون لها- من الشاة القرناء» أي: ذات القرون.

قوله: (حَتَّى يَأْخُذَ اللَّهُ ﷻ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلِأَهْلِ النَّارِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلِأَهْلِ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلِأَهْلِ النَّارِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ).

أن يكون تراباً ويقول: ﴿لَئِنِّي كُنْتُ تُرَابًا﴾ وقد ورد هذا المعنى في حديث الصور. اهـ

(١) كما في حديث أبي هريرة ؓ عند مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم.

أقول: قد جاء في الحديث أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ينادي يوم القيامة، فيقول: «أنا الملك أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، وَإِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالرِّضَا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالصَّبْرُ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ^(١)، وَالْإِيمَانُ بِأَقْدَارِ اللَّهِ كُلِّهَا خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، حُلُوهَا وَمُرَّهَا [١].

ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة». قال: قلنا: كيف وإننا إنما نأتي الله عَزَّ وَجَلَّ عِزًّا غَرًّا لَّا بُهْمًا؟ قال: «بالحسنات والسيئات»^(٢).

والمهم: أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ إِلَّا بَعْدَ اخْتِذَاقِ الْحَقُوقِ مِنْ بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ، فَإِذَا صَفُّوا وَنُقُّوا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وبالله التوفيق.

[١] أقول: أمَّا الدليل على الإخلاص في العمل لله عَزَّ وَجَلَّ، ففي كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ أدلة كافية على ذلك، وبعد ذلك إجماع الأمة على ذلك.

فالدليل من الكتاب: قول الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤]. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وقوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) وفي نسخة الشيخ الراددي: والإيمان بما قال الله عَزَّ وَجَلَّ؛ فلا يصح إيمان العبد إلا بالاعتراف بأن القرآن كلام الله منزل على عبده ورسوله محمد ﷺ، وهو غير مخلوق وأنه يجب العمل به؛ لأنَّ هذا من مقتضيات الإيمان بالقرآن، ومن الإيمان بما قال الله الإيمان بما صحت نسبته إلى رسول الله ﷺ من سنته وهديه، فالقرآن والسنة صنوان لا يختلفان ولا يفترقان؛ فهما من عند الله جميعاً كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٢) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤].

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مسند المكيين برقم ١٥٦١٢ من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني برقم ٣٦٠٨.

إلى غير ذلك من الآيات، وهذه الآيات أمرة بالإخلاص لله بمنطوقها، وناهية عن الشرك صغيره وكبيره بمفهومها.

أما السنة: فقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه مسلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ قال: «أنا أغني الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه»^(١).

وحديث: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت.

ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار.

ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمه فعرفها قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»^(٢) إلى غير ذلك من الأدلة.

والإجماع: حاصل من العلماء على تحريم الشرك صغيره وكبيره، وأن الرياء من الشرك دل على ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة^(٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الزهد والرفاق باب من أشرك في عمله غير الله من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) كما في قول الله تعالى عن المنافقين فِي سورة النساء الآية رقم ١٤٢: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِيعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، ثُمَّ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ بَعْدُ =

قوله: (والرضا بقضاء الله، والصبر على حكم الله...) إلخ.

الرضا بقضاء الله مرتبة عظيمة، والمقصود بالقضاء هنا: هو الذي لا يكون للإنسان فيه دخل كالمرض والصحة، والغنى والفقر والموت، وجميع المصائب التي تصيب العبد. فالناس ينقسمون فيها إلى قسمين أو يقال: إنَّ للعبد معها حالتان، وهاتان الحالتان إحداهما أعلى من الأخرى؛ فالعليا منها هي:

١- الرضا، وهي الحالة الأولى، بأن تكون راضياً بما قدَّر الله ﷻ لك وبما قسم لك من الرزق، وبما قدَّره عليك من المصائب، فالرضا بهذه الأقدار التي تصيب العبد من الله محض قدر لا يستطيع هو ولا غيره ردّها، والرضا بالأقدار منزلة عظيمة، وهي صفة نفسية كريمة بأن يكون العبد راغباً في ثواب المصيبة بعد أن تصيبه، بحيث لو خيّر بين ثوابها وبين زوال تلك المصيبة لاختار الثواب.

٢- فإن لم يكن من أهل الرضا فليكن من أهل الصبر، وهذه هي الحالة الثانية، فيصبر إذا قدَّر عليه ذلك، ويتحمّل رغبة في الثواب، وإذعاناً للقضاء والقدر.

قال الله ﷻ: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي الحديث: «إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله

ذلك: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ ﷻ فدلّت هذه الآيات وغيرها على أن الرياء في الأعمال شركٌ محبّطٌ للعمل وإلّا ما استحقوا هذا الوعيد من الله، فنسأل الله العافية من الشرك.

وقد دل على أن الرياء من الشرك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر». قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء؛ يقول الله ﷻ لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟».

السخط»^(١)، وبالله التوفيق.

ملحوظة:

لا يجوز الرضا بالمعاصي، ولا الاحتجاج عليها بالقدر، بل يجب السعي في إزالتها وقطعها والله تعالى يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

والنبي ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٢).

فلو قدر أن الكفار احتلوا بلدًا من بلدان المسلمين هل يجوز أن نقول: هذا أمرٌ مقدّر ونسكت، ولا نسعى في إزالة هذا المنكر حتى يتحرر المسلمون في بلادهم ويستريحوا من سيطرة الكفار عليهم؟

الجواب: أنه لا يجوز لنا السكوت على ذلك، ولا الرضا به، ولا الصبر عليه، وبالله التوفيق.

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء. وأخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء من حديث أنس وعن الإمام أحمد في مسند باقي الأنصار رقم ٢٧٧٣٩ و ٢٣١٢٢ من حديث محمود بن لبيد بلفظ: «إذا أحب الله قومًا ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع» وقد أشار الألباني رحمه الله إلى صحته في صحيح الجامع في ج ١/ ١١٤ برقم الحديث ٢٨٥.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد ويتقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.



وَالْإِيمَانُ بِمَا قَالَ اللَّهُ^(١)، قَدْ عَلِمَ اللَّهُ مَا الْعِبَادُ عَامِلُونَ، وَإِلَى مَا هُمْ صَائِرُونَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ، وَلَا يَكُونُ فِي الْأَرْضِينَ وَالسَّمَوَاتِ إِلَّا مَا عَلِمَ اللَّهُ عَجَلًا، وَتَعْلَمُ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ^(٢)، وَلَا خَالِقَ مَعَ اللَّهِ عَجَلًا [١].

[١] الإيمان بالقضاء والقدر من كفر وإيمان، وبر وفجور، وصحة ومريض، وغنى وفقر، وسعادة وشقاوة، وأن كل ما يكون في السموات والأرضين من نعم ومصائب وغير ذلك كلها بقدر من الله عَجَلًا، فهو الخالق لجميع من في الكون والخالق لأعمالهم. قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]. وهو المقدر لأرزاقهم وآجالهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

(١) قال الشيخ الراددي -وفقه الله- في نسخة مكتبة الغرباء عند هذه العبارة: (والإيمان بأقدار الله خيرها وشرها وحلوها ومرها) وهذا أمر واجب على كل مسلم ومسلمة، فإذا نزلت بالمسلم مصيبة وبلوى فلا يخلوا إيماناً أن يكون من أحد أصحاب هذه المراحل الأربع:

١ - الجزع عند المصيبة وهذا حرام لأنه تسخط على الله فيما كتبه وقدره.

٢ - مرحلة الصبر وهو أمر واجب عند نزول المصيبة بالمسلم.

٣ - الرضا بقضاء الله وقدره.

٤ - الشكر وهذه من أفضل المنازل الأربع عند الله؛ فنسأل الله أن يرزقنا الرضا بما كتب الله لنا وعلينا من خير وشر وأن يدخر أجر ذلك عنده تعالى في يوم الفاقة والحاجة: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

(٢) وهذه العبارة من حديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في آخر كتاب صفة القيامة والرقائق والورع من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في مسند بني هاشم رقم ٢٦٦٤ و ٢٨٠٠.

لا يخرج من ذلك حبة خردل، ولا يشذُّ عن ذلك شيءٌ لا أصغر ولا أكبر، ولا قليل ولا كثير، كلُّ ذلك بأمر الله وقدره، لا خالق مع الله، ولا متصرف في الكون سواه، وما حصل للعباد من أمورٍ يتصرفون بها فالله هو الذي خولهم ذلك، وأعطاهم إيَّاه، ومكَّنهم فيه، وهو القادر على سلب ذلك منهم إذا شاء، فهو خالقٌ للملأك وما ملكوا، ومالكٌ للملوك وما سيطروا عليه وتصرفوا فيه، له فيهم القدرة النافذة، وله عليهم الحجة البالغة، هو العالم بما كان، وبما يكون كتب أعمال العباد قبل خلق السموات والأرض، كما صحَّ في الحديث: «أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرئ في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»^(١)، والعباد لا يتجاوزون ما كتب الله عليهم أو لهم، وبالله التوفيق.

ملحوظة: لهذا يجب على العبد أن يؤمن بأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطئه لم يكن ليصيبه كما في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلَّا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(٢) رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وبالله التوفيق.

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمته الله في باقي مسند الأنصار بهذا اللفظ برقم ٢٢١٩٧ من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه وقد صححه الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني برقم الحديث ١٠٤ ج ١/ ٤٨ وأخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء بلفظ: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد»، وكذا أخرجه في كتاب تفسير القرآن باب سورة ﴿ت وَالْقُلُوبِ﴾، وأخرج بنحوه الإمام أبو داود رحمته الله في سننه في كتاب السنة باب في القدر كلها من حديث عبادة رضي الله عنه وقد أشار إلى صحته، كذلك الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح ج ١/ ٣٤ برقم الحديث ٩٤.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة والرفاق في آخر باب صفة أواني الحوض، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند بني هاشم برقم ٢٦٦٤ و ٢٧٥٨ و ٢٨٠٠، وقد صحح الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج ٢/ ١٣١٧ برقم ٧٩٥٧.

والتكبير على الجنائز أربع، وهو قول مالك بن أنس، وسفيان الثوري،
والحسن بن صالح، وأحمد بن حنبل، والفقهاء، وهكذا قال رسول الله ﷺ [١].
والإيمان بأن مع كل قطرة ملك ينزل من السماء، حتى يضعها حيث أمره الله
ﷻ [٢].

[١] قوله: (والتكبير على الجنائز أربع) أي: أربع تكبيرات، وهذا هو مذهب الجمهور
وأهل السنة والجماعة على ذلك، للأدلة الدالة عليه كصلاة النبي ﷺ على النجاشي^(١)،
وغير ذلك من الأدلة^(٢)، وهو الذي استقر عليه رأي الفقهاء وبه عملهم، ومن خالف ذلك
فلا يلتفت إلى خلافه، وبالله التوفيق.

[٢] قال في التعليق: ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ما من شجرة في بر ولا بحر
إلا وملك موكل بها، يكتب ما سقط منها» انظر تفسير ابن كثير (ج ٣ / ٢٦٠).
قال المعلق: فهذا يدل بطريق الأول على هذه المسألة التي ذكرها المصنف.
قلت: في هذا نظر من وجهين:

(١) كما في حديث أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما في صحيح الإمام البخاري في كتاب الجنائز باب التكبير
على الجنازة أربعاً: أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى
فصف بهم وكبر عليه أربع تكبيرات. وأخرج أيضاً الحديث الإمام مسلم في صحيحه في كتاب
الجنائز باب في التكبير على الجنازة.

(٢) ومنها حديث أورده الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب الجنائز باب ما جاء في الجنائز عن خارجة بن
زيد ابن ثابت عن يزيد بن ثابت وكان أكبر من زيد قال: خرجنا مع النبي ﷺ فلما ورد البقيع فإذا هو
بقبر جديد، فسأل عنه قالوا: فلانة. قال: فعرفها، وقال: «ألا أذنتموني بها؟» قالوا: كنت قائلاً صائماً
فكرهنا أن نؤذيك. قال: «فلا تفعلوا لا أعرفن ما مات منكم ميت ما كنت بين أظهركم إلا أذنتموني
به، فإن صلاتي عليه له رحمة»، ثم أتى القبر، فصففنا خلفه فكبر عليه أربعاً. والحديث أخرجه الإمام
أحمد في مسنده في مسند الكوفيين برقم ١٨٩٥٨ وقد أشار إلى صحة الحديث الإمام الألباني
رحمته في صحيح سنن ابن ماجه في ج ٢ / ٢٥ برقم ١٢٤٨ وأحال رحمته إلى تخريجه في الأحكام
برقم ٨٨ و ٨٩ وإلى الإرواء برقم ١٨٤ / ٣ - ١٨٥.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حِينَ كَلَّمَ أَهْلَ الْقَلْبِ يَوْمَ بَدْرٍ - أَي: الْمُشْرِكِينَ -
كَانُوا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ [١].

١ - أنه لم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شيء فيما أعلم.

٢ - أن دلالة هذا الأثر على ما ذكره المؤلف أن كل قطرة ينزل معها ملك حتى يضعها حيث أمره الله ﷻ ليست بواضحة، إذ إن الأثر في كتابة ما يسقط من ورق الشجر والموضوع في نزول المطر، ونحن نؤمن بقدرة الله ﷻ، ونؤمن بأن الله يعلم بكل ورقة تسقط، وبكل قطرة من قطرات المطر أين تقع، ولكن نزول ملك مع كل قطرة حتى يضعها في مكانها هذا الأمر ليس بثابت عن النبي ﷺ؛ لذلك فإنني أقول: إن في هذا نظر^(١)، وبالله التوفيق.

[١] قلت: هذا ثابت في الصحيح أن النبي ﷺ خاطب أهل القلب بقوله: «يا أبا جهل ابن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدت ما وعد ربكم حقاً، فإنني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً».

فسمع عمر قول النبي ﷺ؛ فقال: يا رسول الله، كيف يسمعون وأنتي يجيبون وقد جيفوا؟ قال: «والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدر أن يجيبوا»، ثم أمر بهم فسحبوا، فألقوا في قلب بدر^(٢).

(١) قال الشيخ الرادى في تعليقه على هذا الأثر: جاء هذا من قول: الحكم بن عتيبة والحسن البصري - رحمهما الله -.

فأما قول الحكم فأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/٤) وأبو الشيخ في العظمة (٤٩٣) بإسناد حسن وأثر الحسن أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٦١) بإسناد حسن أيضاً وانظر البداية والنهاية (٤١/١) لابن كثير والدر المنثور للسيوطي (٧١/٥). اهـ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وأخرج نحوه البخاري بدون ذكر أسماء المشركين في كتاب المغازي باب في قتل أبي جهل.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا مَرَضَ آجَرَهُ اللَّهُ عَلَى مَرَضِهِ، وَالشَّهِيدُ يَأْجُرُهُ اللَّهُ عَلَى شَهَادَتِهِ^(١) [١].

قلت: الخلاف حاصل بين أهل العلم هل أن أهل البرزخ يسمعون من خاطبهم، أو أن ذلك خاص بأهل القليب؟

فمنهم من توسع في هذا وزعم أن أهل البرزخ يسمعون الكلام، ومنهم من اقتصر على محل النص، وهذا هو الظاهر من النصوص الثابتة.

وأهل التصوف توسعوا في ذلك توسعاً منكراً، حتى زعموا أن الميت يعلم ما يحصل في أهله من خير وشر، وقد نقل ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الروح نقولات عنهم فيها نظر، وبالله التوفيق.

[١] أقول: قد ورد في ذلك أحاديث صحيحة تدل على أن المريض المسلم يؤجر على مرضه^(٢)، لأنه يعلم أن الله هو الذي يمرض ويشفي، وأن الشهادة فيها درجة عالية يؤتيها الله من يشاء من عباده، ولكنها لا تنال إلا بالإخلاص والمتابعة، فمن قتل مجاهداً في سبيل الله فهو شهيد من شهداء الدنيا والآخرة إذا قتل بين الكفار والمسلمين، وكذلك من قتله المبتدعون كالخوارج وأمثالهم، وقد جاء في الحديث عن الخوارج: «طوبى لمن قتلهم وقتلوه»^(٣).

(١) وفي نسخة الراددي: (والشهيد يأجره الله على القتل). اهـ

(٢) الحديث في ذلك أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب الجهاد والسير باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة كما في حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً».

(٣) هذه اللفظة من الحديث وردت في سنن أبي داود في كتاب السنة باب في قتال الخوارج، وعند أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم ١٣٠٥ وفي باقي مسند المكثرين من الصحابة برقم ١٢٩٢٥ و١٨٩٢٢ والكوفيين برقم ١٨٥٩٩ والحديث أصله في الصحيحين وراجع إن شئت في الأحاديث التي وردت في وصف الخوارج في ص ٤١.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْأَطْفَالَ إِذَا أَصَابَهُمْ شَيْءٌ فِي دَارِ الدُّنْيَا يَأْلَمُونَ، وَذَلِكَ أَنَّ بَكْرَ ابْنَ أُخْتِ عَبْدِ الْوَاحِدِ^(١) قَالَ: لَا يَأْلَمُونَ، وَكَذَبَ [١].

أما شهادة الآخرة فهي كثيرة، ومن شهداء الآخرة: المطعون، والمبطون، والحريق، والغريق، وصاحب الهدم، وصاحب السل إلى غير ذلك^(٢)، وبالله التوفيق.

[١] أقول: كون الأطفال يألمون، هذا شيء محسوس ومعقول.

أما كونه محسوساً: فإنك إذا عملت شيئاً في جسد الطفل مما يؤلم فإنه يتألم لذلك ويبكي بكاءً شديداً، تحس منه بأنه تألم، ولو وضعت عليه أو وجد في ثيابه شيء من الحشرات التي تلدغ كالذرة (النملة) والبرغوث الذي يسمى عندنا بالقعموص، فإنه يتألم ألماً شديداً، ويبكي بكاءً حاراً.

وأما من ناحية المعقول: فإنه إنسان يتألم مما يتألم منه الإنسان الذي يعرب عن نفسه ويتكلم، فالجبال التي جبل عليها الإنسان وجدت معه وخلقت معه، فلا تزال تنمو فيه، ومن قال خلاف ذلك فقد خالف المحسوس والمعقول، وبالله التوفيق.



(١) قال الشيخ الراددي: وفي طبعة ابن أخت عبد الوهاب وهو خطأ، والصحيح ما ذكر في المتن ثم قال: وبكر هذا من رءوس المبتدعة أنظر ترجمته في لسان الميزان (٢/ ٦٠ - ٦١)، والفصل لابن حزم (٣/ ١٥٧) وقد خلط محقق الكتاب في ترجمته، وانظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص (٢٨٦).

اهـ

(٢) وقد أورد الامام الإلباني رَحِمَهُ اللهُ جَمَلَةً من الأحاديث فيها ذكرٌ لشهداء الآخرة غير ما ذكر في الشرح وذلك في كتابه القيم أحكام الجنائز تحت عنوان علامات حسن الخاتمة في ص ٤٨ وما بعدها؛ فمن شاء فليراجعه.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةِ إِلَّا بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَا يُعَذِّبُ اللَّهُ أَحَدًا إِلَّا بِقَدْرِ ذُنُوبِهِ وَلَوْ عَذَّبَ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَرَّهُمْ وَفَاجِرَهُمْ؛ عَذَّبَهُمْ غَيْرَ ظَالِمٍ لَهُمْ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّهُ ظَالِمٌ، وَإِنَّمَا يَظْلِمُ مَنْ يَأْخُذُ مَا لَيْسَ لَهُ، وَاللَّهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالْدَّارُ دَارُهُ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ وَلَا يُقَالُ: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟ وَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ خَلْقِهِ [١].

[١] قد علم الله عَزَّ وَجَلَّ خلقه جميعاً، وقسمهم إلى فريقين:

١- فريق السعداء، وهم أهل الجنة.

٢- فريق الأشقياء، وهم أهل النار، وعلم ما هم عاملون.

ويجب أن نعلم أن السعادة بقدر من الله، وبسبب من الإنسان، والله له في عباده الحكمة البالغة، وله عليهم الحجة الدامغة، فهو لا يعذب أحداً بغير ذنب، ولا تكتب عليه الشقاوة إلا بسبب منه، فالله لا يظلم أحداً من خلقه، قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وقال تعالى: ﴿فَظَلَمَ مَنْ ظَلَمَ هَٰؤُلَاءِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١]. وعن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم: فأوى إلى الله فأواه الله، وأما الآخر: فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر: فأعرض فأعرض الله عنه» ^(١) متفق عليه.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وفي كتاب الصلاة باب الحلق والجلوس في المسجد، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه.

فالذي يجب أن نؤمن به: أن الله ﷻ لا يعذب أحداً إلا بذنب، كما أننا نؤمن أن الله لا يظلم أحداً شيئاً، قال الله تعالى: ﴿وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

ومن جهة أخرى: يجب أن نعلم أن الخلق خلق الله والأرض أرضه، وأنه هو الذي خلق الخلق ورزقهم، وأنه لو عذب أهل السموات وأهل الأرض لعذبهم غير ظالم لهم، وهذه العبارة وردت عن بعض الصحابة^(١).

ﷺ

(١) وهم أبي بن كعب، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، ولكن مع ذلك كله صحت نسبة هذا الحديث إلى النبي ﷺ كما في مقدمة سنن ابن ماجه برقم الحديث ٧٤ قال: حدثنا علي بن محمد حدثنا إسحاق بن سليمان قال: سمعت أبا سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمى قال: وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري، فأتيت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر، إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر فخشيت على ديني وأمري، فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني به، فقال: لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنت إن مت على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله، فأتيت عبد الله فسألته، فذكر مثل ما قال أبي، وقال لي: ولا عليك أن تأتي حذيفة، فأتيت حذيفة فسألته فقال: مثل ما قال، وقال: أتت زيد بن ثابت فأسأله، فأتيت زيد بن ثابت فسألته، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن الله عذب أهل سمواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنت إن مت على غير هذا دخلت النار» قال عنه الألباني

في المشكاة برقم ١١٥ (وسنده صحيح). اهـ وروى هذا الحديث الإمام أبو داود في كتاب السنة
باب في القدر والإمام أحمد في مسند الأنصار برقم ٢١٠٧٩ و ٢١١٠١ و ٢١١٤٤.

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يُطْعَنُ عَلَى الْآثَارِ وَلَا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاتَّهَمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ الْمَذْهَبِ ^(١) وَالْقَوْلُ، وَلَا يُطْعَنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَلَى أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لِأَنَّا إِنَّمَا عَرَفْنَا اللَّهَ وَعَرَفْنَا رَسُولَهُ، وَعَرَفْنَا الْقُرْآنَ، وَعَرَفْنَا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ وَالْدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ بِالْآثَارِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ إِلَى السُّنَّةِ أَحْوَجُ مِنَ السُّنَّةِ إِلَى الْقُرْآنِ ^(٢) [١].

ولكنَّ الله ﷻ قد قطع الحجة بإرسال الرسل وإنزال الكتب، كما قال تعالى: ﴿لَتَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾، وبالله التوفيق

[١] قوله: (وإذا سمعت رجلاً يطعن على الآثار، ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتَّهَمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ الْمَذْهَبِ). أقول: إنه لا يطعن على الآثار إلا مفتوناً، وإلا فإن الآثار التي جاءت عن النبي ﷺ هي المبينة للقرآن، وقد قال النبي ﷺ في حديث معد يكرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرّمناه، وإنَّ ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله» ^(٣) رواه الترمذي، وابن ماجه، وأحمد، والدارمي.

(١) وفي نسخة الراداي: (فإنَّ رجلاً رديء القول والمذهب). اهـ

(٢) قال الشيخ الراداي: وهذا القول مأثور عن مكحول الشامي أخرجه الخطيب في الكفاية (ص ١٤)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١٩١/٢)، والحازمي في الناسخ والمنسوخ (ص ٢٥) وإسناده صحيح وقال يحيى بن أبي كثير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: السنة قاضية على القرآن وليس القرآن بقاضٍ على السنة أخرجه الدارمي في سننه (١١٧/١) وابن عبد البر في الجامع (١٩/٢) وقال الفضيل بن زياد: سمعت أبا عبد الله يعني أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روي أنَّ السنة قاضية على الكتاب فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله إنَّ السنة قاضية على الكتاب إنَّ السنة تفسر الكتاب وتبينه ذكره ابن عبد البر في الجامع (ص ١٩١/١٩٢) قال: وهذا هو الصواب لموافقه قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. اهـ

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ،

وفي رواية: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»^(١) قال الإمام الترمذي: هذا الحديث حسنٌ صحيح.

وأقول: إنَّ حديث النبي ﷺ مفسَّر لكتاب الله، مبينٌ لمجمله، ومخصصٌ لعمومه، ومبينٌ لناسخه ومنسوخه، فلا يجوز لأحدٍ أن يطعن في الآثار التي تبين شرع الله وتوضِّحه، ولا يفعل ذلك إلا من في إيمانه خلل.

وقد قال النبي ﷺ: «إني أوتيت القرآن، ومثله معه»^(٢). وقال: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ»^(٣). وقال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه»^(٤).

=

وأخرج الحديث الإمام ابن ماجه في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٦٥٦٤، وأخرجه الإمام الدارمي في سننه في كتاب السنة باب السنة قاضية على كتاب الله، وقد صحح هذه الرواية الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الجامع ج ١/ ٥١٨ برقم ٢٦٥٧ وأحال إلى المشكاة برقم ١٦٣.

(١) وأخرج هذه الرواية أيضاً الإمام الترمذي في كتاب العلم باب ما نهى عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، وأخرجها ابن ماجه في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ التغليظ على من عارضه، وهذه الرواية صححها الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الجامع في ج ٢/ ١٢٠٤ برقم الحديث ٧١٧٢، وأخرجها أبو داود في السنة باب في لزوم السنة، وقد صحح هذه الرواية أيضاً الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي صحيح الجامع ج ٢/ ١٢٠٤ برقم الحديث ٧١٧٣ وأحال إلى المشكاة برقم ١٦٢ عن أبي رافع رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجامع باب النهي عن القول بالقدر قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي المشكاة برقم ١٨٦ في ج ١/ ٦٦: وهو معضلٌ كما ترى لكن له شاهدان من حديث ابن عباس بسندٍ حسنٍ أخرجه الحاكم، وهو قوله ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا»

=

فيجب أن نعرف قدر السنة وموقعها في الإسلام، وأن نعمل على حفظها ونشرها، وأن نعلم أن من قدح فيها، فإنه قد قدح في الإسلام شاء أم أبى، وبالله التوفيق. قوله: (ولا يطعن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه، لأننا إنما عرفنا الله، وعرفنا رسوله ﷺ، وعرفنا القرآن، وعرفنا الخير والشر، والدنيا والآخرة بالآثار، فإن القرآن أحوج إلى السنة من السنة إلى القرآن). انتهى

أقول: لا يطعن على رسول الله ﷺ إلا كافر أو منافق، وقد سجل لنا القرآن عن المنافقين وكذلك الكفار طعنهم على رسول الله ﷺ كقوله عن الكفار: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]. وكقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ تِنَّا لَشَاعِرٍ فَجَنُونِ﴾ [الصافات: ٣٦]. وكقوله عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٦١].

إلى غير ذلك مما أخبرنا الله به عن الكفار والمنافقين، فالذي يطعن على النبي ﷺ دَلَّ على نفسه أنه كافر أو منافق.

أما الطعن على الصحابة فهو طعن في الدين، فالذين كفروا الصحابة كالرافضة والخوارج إنما أرادوا بتكفيرهم إياهم الطعن في ديننا؛ لأن الصحابة هم الذين حملوا الدين إلينا، فهم الذين بلغوه إلينا.

والطعن في الشهود طعن في القضية، والصحابة شهودنا، والقرآن يشهد لهم بأنهم كانوا على خير، وبأنهم حملوا الإسلام بأمانة، وصدق، وإخلاص وبلغوه إلينا غضاً، من

=

بعدهما كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض».

وروي من حديث أبي هريرة وقد تكلمت على إسناديهما في بحثٍ واسع حول كتاب التاج الجامع لأصول الخمسة لأحد علماء الأزهر وسيبدأ بنشره تباعاً - إن شاء الله تعالى - . اهـ وأشار رحمه الله تعالى إلى تخريج هذا الحديث في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٦١.

غير زيادة، ولا نقص، فمن طعن فيهم فقد طعن في الإسلام، وبالله التوفيق.
وَالْكَلَامُ وَالْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ فِي الْقَدَرِ خَاصَّةٌ مِنْهُي عَنْهُ عِنْدَ جَمِيعِ الْفِرَقِ؛
لَأَنَّ الْقَدَرَ سِرُّ اللَّهِ، وَنَهَى الرَّبُّ -جَلَّ اسْمُهُ- الْأَنْبِيَاءَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الْقَدَرِ، وَنَهَى
النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْخُصُومَةِ فِي الْقَدَرِ، وَكَرِهَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- وَكَرِهَهُ التَّابِعُونَ، وَكَرِهَهُ الْعُلَمَاءُ، وَأَهْلُ الْوَرَعِ، وَنَهَوْا عَنِ الْجِدَالِ
فِي الْقَدَرِ، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالْإِقْرَارِ وَالْإِيمَانِ، وَاعْتِقَادِ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي جُمْلَةِ
الْأَشْيَاءِ، وَاسْكُتْ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ [١].

[١] مضمون هذه الفقرة: أن الذي يجب على الإنسان أن يؤمن بالقدر ويسلم له
ولا يتوغّل في الكلام فيه أو التفكير في ذلك؛ لأنّه كلّما توغّل في القدر، أدّى به ذلك إلى
حيرة، فيجب الكف عن التوغل فيه، وكثرة التفكير فيه.
وعلينا أن نؤمن بأن الله ﷻ لا يظلم أحداً من خلقه، وأنّه لا يعذب أحداً إلا بحجّة،
فلله على عباده الحجّة البالغة، وأنّه لا يظلم أحداً شيئاً.
قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].
وقد جاء في الحديث: «إن الله ﷻ خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء
في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي»، قال فقال قائل: يا رسول الله، فعلى ماذا
نعمل؟ قال: «على مواقع القدر»^(١) رواه أحمد.
وأن عبداً لا يتجاوز ما كتب له أو عليه من سعادة وشقاوة، وإيمان وكفر، وصحة
وسقم، وحياة وموت، وغنى وفقر.
وقد يقول العقل: إن الله قدّر مقادير الخلق، وجعل بعضهم سعداء وبعضهم أشقياء،

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في الشاميين برقم ١٧٠٠٠ من حديث عبد الرحمن بن قتادة
السلمي رحمه الله والحديث صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج ١ / ٣٦٢ برقم الحديث
١٧٥٨ وأشار إلى تصحيحه إلى الصحيحة برقم ٤٨.

فالأشقياء لا يستطيعون أن يكونوا سعداء، وحينئذ يحار العقل في هذا.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَصَارَ إِلَى الْعَرْشِ وَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ ^(١)، وَدَخَلَ الْجَنَّةَ، وَاطَّلَعَ إِلَى النَّارِ، وَرَأَى الْمَلَائِكَةَ، وَسَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ ﷻ، وَبَشَّرَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ ^(٢)، وَرَأَى سُرَادِقَاتِ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَجَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ ^(٣) فِي الْبَقْظَةِ، حَمَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَى الْبُرَاقِ حَتَّى أَدَارَهُ فِي السَّمَوَاتِ، وَفُرِضَتْ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ، وَرَجَعَ إِلَى مَكَّةَ لَيْلَتِهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ الْهَجْرَةِ [١].

لهذا فإنَّ الواجب الكف والإيمان بأنَّ الله لا يظلم أحداً من خلقه، ولا يعذب أحداً منهم إلا بحجة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَكُمُ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وبالله التوفيق.

[١] الإيمان بأنَّ رسول الله ﷺ شقَّ صدره، وأخرج منه حظُّ الشيطان، وملئَ إيماناً وحكمة، وأسرى به جبريل على البراق الذي يضع حافره عند منتهى طُرْفِهِ، وأنه وصل إلى بيت المقدس، وجمعت له الأنبياء، وصلَّى بهم إماماً، ثمَّ عرج به جبريل إلى السماء الدنيا واستفتح، وفتح له في كلِّ سماء، وأنه وجد في السماء الأولى آدم، وفي السماء الثانية يحيى وعيسى، وفي السماء الثالثة يوسف، وفي السماء الرابعة هارون، وفي السماء الخامسة إدريس، وفي السماء السادسة إبراهيم، وفي السماء السابعة موسى، وفي رواية بعكس ذلك في حق إبراهيم وموسى، وأنَّ جبريل عرج به إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ثمَّ عرج به إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، وأنه سمع كلام ربه ﷻ حين فَرَضَ عليه الصَّلوات الخمس، فرجع إلى موسى فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك، فسأله التخفيف، وأخيراً قال له ربه: «هي

(١) وفي نسخة الراددي بدل قول المؤلف: (وسمع كلام الله) قال: (وكلم الله -تبارك وتعالى-).

(٢) وفي نسخة الراددي بدل قول المؤلف: (وبشَّرت به الأنبياء) قال: (ونشَّرت به الأنبياء) قال شيخنا النجفي والصحيح (بشَّرت).

(٣) وفي نسخة الراددي بزيادة قوله: (وما في الأرضين).

خمس، وهي خمسون لا يبدل القول لدي»^(١) متفق عليه.

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طَيْرٍ خُضِرَ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ تَحْتَ الْعَرْشِ^(٢)، وَأَرْوَاحَ الْفُجَّارِ وَالْكَفَّارِ فِي بَثْرِ بَرَهُوتَ، وَهِيَ فِي سِجِّينَ^(٣) [١].

أي: خمس بالفعل، وخمسون في الأجر، والحسنة بعشر أمثالها.

وأنه دخل الجنة، ورأى فيها جنازات أوحيا للؤلؤ، إلى غير ذلك من الأخبار التي وردت في الإسراء والمعراج، وهذا أمر من التفضيل اختص الله به نبيه وخاتم رسله محمدًا ﷺ لم يشركه فيه غيره، وأنه أصبح في مكة، ولما أخبر قريشًا بما حصل له كذبوه، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٦٠].

أما قول المؤلف: (حمله جبريل على البراق حتى أداره في السموات).

فهذا فيه نظر؛ إذ لم يحمله على البراق إلا حين سار إلى بيت المقدس، أما عند عروجه من بيت المقدس إلى السماء فالظاهر أنه كان في المعراج وليس على البراق كما قال المؤلف -يرحمه الله-، وبالله التوفيق.

(١) الحديث بهذا اللفظ ورد في ثانيا حادثة شق صدر النبي ﷺ وفي قصة الإسراء والمعراج بالنبي ﷺ وكل ذلك ورد في صحيح الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ذكر إدريس عليه السلام وهو جد أبي نوح ويقال جد نوح -عليهما السلام- وقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، وأخرج الحديث أيضًا الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) وفي نسخة الراددي: (أن أرواح الشهداء في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة، وأرواح المؤمنين تحت العرش).

(٣) وقد ذكر الراددي حول هذه المسألة قوله: ولا يصح حديث في أن أرواح الكفار في بثر برهوت كما تراه جلياً في الروح لابن القيم (ص ١٤٥ - ١٤٧) وأحوال القبور لابن رجب (ص ٢٥٥ - ٢٦٣). والقول الصحيح الذي تدل عليه الأدلة من الكتاب والسنة: هو أنها في سجين. اهـ.

[١] قوله: (اعلم أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة، وتأوي إلى قناديل تحت العرش).

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ الْمَيِّتَ يُقْعَدُ فِي قَبْرِهِ، وَتُرْسَلُ فِيهِ الرُّوحُ حَتَّى يَسْأَلَهُ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ عَنِ الْإِيمَانِ وَشَرَائِعِهِ، ثُمَّ تُسَلُّ رُوحُهُ بِلَا أَلَمٍ، وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الرَّائِرَ إِذَا زَارَهُ، وَيَتَنَعَّمُ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ، وَيُعَذَّبُ الْفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ [١].

هذا ورد ضمن حديث رواه مسلم عزاه المعلق إلى كتاب الإمارة رقم الحديث (١٨٨٧)، وهو من عقيدة أهل السنة والجماعة.

وأما قوله: (وأرواح الفجار والكفار في بئر برهوت وهي في سجين). فأقول: أما بئر برهوت فهي بئر في شرق عدن بينها وبين حضرموت، والقول بأن أرواح الفجار والكفار تجمع فيها هذا ليس عليه دليل صحيح، ولكن ورد أثر في سنده مجهول عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه، ذكر ذلك المعلق ^(١).

قلت: والصحيح ما أخبر الله تعالى به في كتابه في سورة المطففين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧].

والسجين مبالغة من السجن وهو المكان الضيق، وهو في أسفل الأرض كما قال ذلك أهل العلم، نسأل الله العافية منها، ونعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه، وبالله التوفيق. [١] قوله (والإيمان بأن الميت يقعد في قبره، وترسل فيه الروح حتى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه).

هذا ثابت من حديث البراء رضي الله عنه وغيره؛ ففي صحيح البخاري باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي من كتاب الجنائز عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم

(١) أي الشيخ محمد سعيد القحطاني.

القيامة^(١).

أَمَّا حَدِيثُ الْبَرَاءِ، فَفِيهِ أَنَّ الْمَيِّتَ يَقْعُدُ فِي قَبْرِهِ فَيَقَالُ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ مَا دِينُكَ، مَنْ نَبِيِّكَ - أَوْ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ»^(٢).

قَوْلُهُ: (حَتَّى يَسْأَلَهُ مَنْكَرٌ وَنَكِيرٌ) أَيُّ كَمَا تَقْدُمُ حِينَ يَسْأَلُ: مَنْ رَبُّكَ، وَمَا دِينُكَ، وَمَنْ نَبِيِّكَ، أَوْ مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَعَثَ فِيكُمْ؟

قَوْلُهُ: (عَنِ الْإِيمَانِ وَشُرَائِعِهِ) لَعَلَّهُ يَقْصِدُ هَذَا السُّؤَالَ الْمُجْمَلَ، وَلَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِنَ السُّنَنِ يَدُلُّ عَلَى السُّؤَالِ عَنْ فُرُوعِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ.

قَوْلُهُ: (ثُمَّ تَسَلُّ رُوحَهُ بِلَا أَلَمٍ) أَيُّ: بِدُونَ الْأَلَمِ الَّذِي حَصَلَ لَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ الْأَوَّلِ.

قَوْلُهُ: (وَيَعْرِفُ الْمَيِّتُ الزَّائِرَ) هَذَا يَنْبَنِي عَلَى صَحَّةِ الْحَدِيثِ الْوَاردِ فِي ذَلِكَ وَفِي صَحَّتِهِ خِلَافٌ فِيمَا أَعْلَمُ^(٣).

قَوْلُهُ: (وَيَتَنَعَّمُ الْمُؤْمِنُ فِي الْقَبْرِ، وَيُعَذَّبُ الْفَاجِرُ كَيْفَ شَاءَ اللَّهُ).

قُلْتُ: الْمَقْصُودُ بِذَلِكَ الرُّوحَ، وَالرُّوحُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهَا فِي السَّمَاءِ، كَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨].

وَقِيلَ: أَنَّهَا حَوْلَ الْقَبْرِ، وَالْأَقْرَبُ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الرُّوحَ فِي السَّمَاءِ وَلَهَا ارْتِبَاطٌ بِالْجَسَدِ، فَمَا يَكُونُ لَهَا مِنْ نَعِيمٍ؛ فَإِنَّ الْجَسَدَ يَتَنَعَّمُ بِهِ فِي الْقَبْرِ كَمَا أَنَّ أَرْوَاحَ الْفَجَّارِ فِي سَجِينٍ، وَمَا

(١) الْحَدِيثُ أَيْضًا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا بَابَ عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ.

(٢) حَدِيثُ الْبَرَاءِ ﷺ تَقْدُمُ تَخْرِيجِهِ.

(٣) قَالَ الرَّدَادِيُّ: وَقَدْ جَاءَتْ عِدَّةُ أَحَادِيثَ فِي أَنَّ الْمَيِّتَ يَعْرِفُ زَائِرَهُ إِذَا زَارَهُ وَيَسْتَأْنِسُ بِهِ بِيَدِ أَنْ لَا يَصْحَ شَيْءٌ مِنْهَا وَانْظُرْهَا مَعَ الْكَلَامِ عَلَيْهَا فِي بَشَرِيِّ الْكُتَيْبِ بَلَقَاءَ الْحَبِيبِ لِلْسَيُوطِيِّ (ص ٨٧-٨٩) بِتَحْقِيقِ مَشْهُورِ حَسَنِ، وَأَهْوَالِ الْقُبُورِ لِابْنِ رَجَبٍ (ص ١٨٤ - ١٩٢) بِتَحْقِيقِ مُحَمَّدِ نِظَامِ الدِّينِ. اهـ

يكون عليها من عذابٍ فإنَّ الجسد يتألم به في القبر، وهذا من الأمور الغيبية التي لا يحكم فيها إلا بخبرٍ ثابتٍ عن المعصوم عليه السلام.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي كَلَّمَ مُوسَىٰ بَنَ عِمْرَانَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَوْمَ الطُّورِ وَمُوسَىٰ يَسْمَعُ مِنَ اللَّهِ الْكَلَامَ بِصَوْتٍ وَقَعَ فِي مَسَامِعِهِ مِنْهُ، لَا مِنْ غَيْرِهِ، فَمَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ [١].

[١] قوله: (والإيمان بأن الله هو الذي كلم موسى بن عمران يوم الطور وموسى يسمع من الله الكلام...) إلخ.

أقول: إن الله ﷻ أخبر بأنه نادى موسى، والنداء منه ﷻ كما قال الله -جلّ وعلا-: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ قَوْمٌ فَرَعَوْنَ إِلَّا يَنْقُوتُونَ ﴿الشعراء: ١٠-١١﴾، فأخبر أنه هو ناداه بنفسه، وأن موسى سمع كلامه.

ونحن في هذه الآونة قد حصل لنا في الأرض شيء من الصناعات التي هدى الله إليها عقل الإنسان ما يجعل الذي في جزيرة العرب يسمع كلام الذي يكلمه من أمريكا، أو اليابان، أو الفلبين، أو استراليا، أو غير ذلك من الأماكن البعيدة الشاسعة بواسطة التليفون، حتى كأنه معه في مجلسه، بينما المسافة بينهما قد تصل إلى ثلاثة عشر ألف كيلو أو خمسة عشر ألف كيلو متر.

وهذا إنما نأخذه دليلاً لمن ضعف إيمانه وقلّ يقينه، أمّا قدرة الله فهي فوق ذلك كله، وقد ذكر بأن الله إذا كلم موسى ينزل عمودٌ من نور، فيسطع على كتفه الأيمن ويسمع الكلام منه^(١)، ونحن نؤمن بأن الله كلم موسى، وأن موسى يسمع كلام ربه على أيّ كيفية شاء الله تعالى، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن قال غير ذلك فهو مبتدع ضال؛ وبالله التوفيق.

(١) هذا الأثر أورد بنحوه الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه البداية والنهاية في ج ١ فصل في دخول بني إسرائيل التيه وما جرى لهم فيه من الأمور العجيبة (تخريج الشيخ أحمد بن عبد الله الحكيمي - حفظه الله -).

وَالْعَقْلُ مَوْلُودٌ، أُعْطِيَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنَ الْعَقْلِ مَا أَرَادَ اللَّهُ وَجَلَّ، يَتَفَاوَتُونَ فِي الْعُقُولِ مِثْلَ الذَّرَّةِ فِي السَّمَوَاتِ، وَيُطْلَبُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ مِنَ الْعَمَلِ^(١) عَلَى قَدْرِ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْعَقْلِ، وَلَيْسَ الْعَقْلُ بِاِكْتِسَابٍ، إِنَّمَا هُوَ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ وَجَلَّ [١].

[١] قوله: (العقل مولود) بمعنى أنه يولد مع الإنسان وينمو بنموه؛ فيبدأ العقل صغيراً، ثم يكبر مع صاحبه، ولا شك أن العقول تتفاوت بحسب ما أعطى الله كل إنسان من العقل، ولقد أثنى الله وَجَلَّ في القرآن، على أهل العقول.

وأجمع أهل أصول الفقه على أن العقل مناط التكليف وإن كان يتفاوت، مع اختلافهم هل العقل في الدماغ أو في القلب، والقلب في الصدر، والدماغ في الرأس؟! والظاهر أن هناك ارتباطاً بينهما، ولا يتم عمل أحدهما إلا بالآخر؛ فالتفكير الذي في الدماغ لا يتم إلا بواسطة القلب فيما يظهر، ولكن الدماغ هو محط التفكير، وموضع المعرفة، ومناط التكليف، وكل إنسان قد هياه الله بما هياه به من الاستعداد، والتفكير والعقول تتفاوت في ذلك تفاوتاً عظيماً، نسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يعيذنا من شر أنفسنا.

وقد اخترع الدجاجة حديثاً للعقل، وهو حديث موضوع مكذوب جاء فيه: «أول ما خلق الله العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر» وهذا الحديث موضوع بإجماع العلماء^(٢).

ولا شك أن العقل منحة من الله للعبد به يتميز على سائر المخلوقات، ومن أجله يستحق الثواب والعقاب، وبالله التوفيق.

(١) وفي نسخة الراددي: (ويطلب من كل إنسان من العلم) بدلاً من العمل.

(٢) كما حكى الإجماع على ضعفه الإمام الصاغانى في كتاب كشف الخفاء في ج ١/ ٣٠٩ وقد أشار إلى ضعفه صاحب كتاب فتح الباري في كتاب بدء الوحي باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ والفردوس للدليمي ج ١/ ١٣ واللائى المصنوعة ج ١/ كتاب المبتدأ وفيض القدير ج ٤ / ٥١٠ (تخريج الشيخ أحمد بن عبد الله الحكيم حفظه الله).

وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ الْعِبَادَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، عَدْلًا مِنْهُ لَا يُقَالُ: جَارَ وَلَا حَابَى، فَمَنْ قَالَ: إِنَّ فَضْلَ اللَّهِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَالْكَافِرِ سَوَاءٌ فَهُوَ صَاحِبُ بَذْعَةٍ، بَلْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُؤْمِنَ عَلَى الْكَافِرِ، وَالطَّائِعَ عَلَى الْعَاصِي، وَالْمَعْصُومَ عَلَى الْمَخْذُولِ، عَدْلًا مِنْهُ، هُوَ فَضْلُهُ يُعْطِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَيَمْنَعُهُ مَنْ يَشَاءُ [١].

[١] أقول: إنَّ اللهَ فاوَت بين عباده، فاوَت بينهم في العقول، وفاوَت بينهم في الأجسام، وفاوَت بينهم في الاستعداد فضلًا منه تعالى وعدلًا، وفقَّ المؤمن للإيمان وخذل الكافر بسبب ما عنده من الكفر.

ونحن نؤمن بأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يأخذ عبدًا من عباده إلَّا بحجة، فله في عباده الحكمة البالغة وله عليهم الحجة الدامغة، لا يعذب أحدًا إلَّا بذنب وقد نزَّه نفسه عن الظلم فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠].

وكتب السعادة والشقاوة على كل خلقه فهذا سعيدٌ وذاك شقي، وهذا موفقٌ وهذا مخذول، وهذا عاصٍ وذاك مطيع، وهذا عالمٌ وذاك جاهل، وهذا غنيٌّ وذاك فقير.

ولم يكن ربنا ﷻ يضع شيئًا في غير موضعه أو يعطي أحدًا ما لا يستحقه: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

لذلك فإنَّ هذا المقطع أو هذه الفقرة تستلزم منَّا عقيدةً بأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فاوَت بين عباده فضلًا منه وعدلًا: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فلا يقال لم جعل ذاك رسولًا، وجعل ذاك مخذولًا، وجعل ذاك مؤمنًا موفقًا، وجعل ذاك رجيماً مخذولًا؟!

لا يقال ذلك لله، بل يجب أن نعتقد أنَّ اللهَ منزَّهٌ عن الظلم، وأنَّه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لكنَّ فعله كله مبنيٌّ على الحكمة والرحمة والفضل والعدل، هذا ما يجب أن نعتقه في ربنا -جلَّ وعلا-، وهذه العقيدة هي التي تؤيدها النصوص القرآنية والنبوية، وهي التي أجمع عليها علماء أهل السنة والجماعة، وبالله التوفيق.

وَلَا يَحِلُّ أَنْ تَكْتُمَ النَّصِيحَةَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - بَرَّهُمْ وَفَاجِرُهُمْ - فِي أَمْرِ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، فَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ غَشَّ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ غَشَّ الدِّينَ، وَمَنْ غَشَّ الدِّينَ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْمُؤْمِنِينَ [١].

[١] أقول: النصيحة معناها: الصفاء والنقاء، يقال: نصح اللبن إذا صفّاه، هذا تعريفها

في اللغة.

وفي الشرع: إخبار المسلم بما يجب عليه الله أو لخلقه من دون موارد ولا مجاملة. وحكمها: الوجوب، وإن كان ذلك الوجوب يتفاوت، وضدها: الغش.

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة» قال الصحابة: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» رواه مسلم في كتاب الإيمان^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله. قال: «أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس من غش فليس مني»^(٢) رواه مسلم.

فالغش في البيع بكتم العيب، والغش في المشورة بأن تشاور على الإنسان ما يضره في دينه أو دنياه.

أما النصيحة لله: فهي بالإيمان به تعالى، وتوحيده، وتقدير طاعة الله على طاعة المخلوقين، والخوف من الوقوف بين يديه، ومراقبته في السر والعلن.

وأما النصيحة لكتابه: فهي تكون بقراءته وتدبر معانيه والعمل بما فيه، واعتقاد ما يدل عليه من الأخبار.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فهي بتصديقه فيما أخبر، والامتثال لما أمر، والانتفاء عما نهى، وإجلاله وتوقيره - صلوات الله وسلامه عليه -.

(١) باب بيان أن الدين النصيحة من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا.

والله سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَلِيمٌ، يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ، قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْخَلْقَ يَعْصُونَهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهُمْ، عِلْمُهُ نَافِذٌ فِيهِمْ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ عِلْمُهُ فِيهِمْ أَنْ هَدَاهُمْ لِلْإِسْلَامِ، وَمَنْ بِهِ عَلَيْهِمْ كَرَمًا وَجُودًا وَتَفَضُّلاً، فَلَهُ الْحَمْدُ [١].

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فهي طاعتهم فيما لم يكن معصيةً لله، وعدم خيانتهم، وإرسال النصائح لهم ممن يقدر على ذلك سرًّا، لأنَّ ذلك أدعى للقبول. وأما النصيحة لعامة المسلمين: فبدعوتهم إلى الله، وتعليمهم ما ينفعهم ووعظهم بالانتهاء عما يضرهم، وبالله التوفيق.

[١] قوله: (والله سَمِيعٌ بَصِيرٌ عَلِيمٌ) فيه إثبات صفة السمع والبصر والعلم، وقوله: (يداه مبسوطتان) فيه إثبات اليدين لله تعالى، وإثباتهما بالكتاب والسنة. فأما الكتاب: ففي قوله تعالى رَدًّا على اليهود حين قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ قال تعالى: ﴿عَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعُنُوا مَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

وأما السنة: ففي قوله ﷺ: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال رأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغيض ما في يده، وقال عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»^(١) رواه البخاري ومسلم.

وفي الحديث الآخر: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»^(٢) رواه مسلم. قوله: (قد علم أنَّ الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم).

يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بَدَنِي﴾ وفي باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وَاعْلَمَ أَنَّ الْبَشَارَةَ عِنْدَ الْمَوْتِ ثَلَاثُ بَشَارَاتٍ، يُقَالُ: أَبَشِّرْ يَا حَبِيبَ اللَّهِ بِرِضَا اللَّهِ وَالْجَنَّةِ، وَيُقَالُ: أَبَشِّرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الْإِنْتِقَامِ^(١)، وَيُقَالُ: أَبَشِّرْ يَا عَدُوَّ اللَّهِ بِغَضَبِ اللَّهِ وَالنَّارِ، هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢) [١].

قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴿الآيَاتِ [البقرة: ٣٠] وما بعدها.

ولم تقل الملائكة ذلك إِلَّا عن علم علمهم الله إِيَّاهُ، ومع ذلك فَإِنَّ الله قد علم أَنَّ فِي ذرية آدم الرسل والأنبياء والمؤمنون الصالحون أولياء الله، وفيهم الكفار والمنافقون، والعصاة الفسقة، فقد خلقهم الله وَجَلَّ لِيبْلُغَ علمه فيهم ما قد كتبه لهم وعليهم.

فالمهتدون أَعَزَّهُمُ اللهُ بهدأيته تَفَضُّلاً مِنْهُ وَكِرْماً وَجُوداً، والكفار والمنافقون والفسَّاق خذلهم الله بسبب أعمالهم وإعراضهم عن دعوته، ودعوة رسله، وأوليائه المؤمنين، وكلُّ من هُوَ لاء وهُوَ لاء بلغ علمه فيهم، ونَفَذَ حكمه عليهم، وله عليهم الحِجَّةُ الدامغة وله فيهم الحكمة البالغة: ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

[١] قَوْلُهُ: (واعلم أَنَّ البشارة عند الموت ثلاث بشارات).

يُظْهِرُ أَنَّ هَذَا التَّنَوُّعَ بِتَنَوُّعِ الْمَقَامَاتِ، فَالْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ الْأَبْرَارَ، وَفَوْقَهُمُ السَّابِقُونَ وَهُمْ الْمُقَرَّبُونَ يَبْشِرُونَ بِالْجَنَّةِ مِنْ دُونِ وَعِيدٍ بِالْعَذَابِ (أَبَشِّرْ يَا حَبِيبَ اللَّهِ بِرِضَى اللَّهِ وَالْجَنَّةِ).

وَلِلْعَصَاةِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بَشَارَةٌ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ بُلُوغِ الْوَعِيدِ فِيهِمْ وَهُمْ الظَّالِمُونَ لَأَنْفُسِهِمْ (أَبَشِّرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الْإِنْتِقَامِ).

وَهَاتَيْنِ الْبَشَارَتَيْنِ لِمَنْ خَصَّهِنَّ اللَّهُ ﷻ بِمُتَابَعَةِ الْأَنْبِيَاءِ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَابَعَ الْأَنْبِيَاءَ مُتَابَعَةً تَامَّةً، وَكَانَ سَبَاقاً إِلَى الْخَيْرِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ قَلِيلاً لَكِنَّهُ لَا يَدْخُلُ فِي أَهْلِ الْوَعِيدِ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

(١) وفي نسخة الراددي: (أَبَشِّرْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بِالْجَنَّةِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ).

(٢) قال الشيخ الراددي - حفظه الله -: انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥٣١ - ٥٣٨) والتذكرة للقرطبي (١/ ٦٧ -

- ٧٢) وشرح الصدور (ص ٩١ - ١٣١) للسيوطي. اهـ

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يُنْظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ الْأَصْرَاءُ ثُمَّ الرِّجَالُ، ثُمَّ النِّسَاءُ بِأَعْيُنِ رُءُوسِهِمْ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(١)، وَالْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ وَإِنْكَارُهُ كُفْرٌ [١].

فالمقتصدون والسابقون بالخيرات بشارتهم خاصة سالمة عن الوعيد فهي تامة في حقهم، وأنهم يدخلون الجنة بدون عذاب في النار.

أما الظالمون لأنفسهم، فهم الذين يتوعدون بالعذاب، وهم تحت المشيئة إن شاء الله عاقبهم ثم أخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، فهؤلاء لهم بشارة ممزوجة بشيء من الوعيد.

أما الكفار والمنافقون فهؤلاء بشارتهم بالنار، وضيافتهم في نار جهنم قال الله تعالى عنهم في سورة الواقعة بعد ذكر أنواع من العذاب: ﴿هَذَا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الواقعة: ٥٦] والعياذ بالله، وبالله التوفيق.

[١] أقول: النظر إلى الله في الجنة مقطوع به، وهو من عناصر الإيمان؛ أي: مما يجب علينا أن نؤمن به، وقد دلت على ذلك الأدلة من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف الأمة.

الدليل الأول على ذلك من كتاب الله: ما جاء في سورة القيامة في الآيات: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

فقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ أي: من النضرة، وهي الحسن والبهاء والجمال. ثم قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: ناظرة إلى ربها نظرة تمتع بأن ينظر إلى وجهه - جلّ وعلا-، وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ دليل واضح على رؤية الله في الآخرة. الدليل الثاني: قول الله تعالى في سورة يونس: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: هي الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجه الله.

(١) الحديث قد سبق تخريجه.

أَمَّا مِنَ السَّنَةِ: فالأدلة على ذلك كثيرة مشهورة، منها: حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(١) أو: «لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(٢). وفي رواية: «لَا تُضَارُونَ فِي رُؤْيَا أَحَدِهِمَا»^(٣). أو: «تَضَارُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(٤). كُلُّ ذَلِكَ قد ورد، والمعنى: أَنَّهُ لَا يَضُرُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فِي رُؤْيَيْهِ.

وقد جاء في الحديث: أن أناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحب؟» قالوا: لا. قال: «وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحب؟» قالوا: لا. قال النبي ﷺ: «ما تضارون في رؤية الله ﻋَظَّمَ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»^(٥). ومعنى: «تَضَامُونَ»: أي: لا تحتاجون أن ينضمَّ بعضكم إلى بعض كما تحتاجون إلى ذلك في رؤية الأشياء الخفية.

ورواية: «لَا تُضَامُونَ» بضم التاء المثناة من فوق، وفتح الضاد أخت الصاد، وضم الميم بعدها مخففة، من الضيم: أي لا يضيمن بعضكم بعضًا: أي يغلب بعضكم بعضًا. ولهذه الأدلة فقد أجمع السلف -رحمهم الله- من الصحابة -رضوان الله عليهم- والتابعين لهم بإحسان من أهل السنة والجماعة، أجمعوا على رؤية الله في الجنة، للأدلة الدالة على ذلك^(٦).

(١) الحديث قد سبق تخريجه.

(٢) الحديث بهذه اللفظة أخرجها ابن ماجه رحمته الله في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية.

(٣) الحديث قد سبق تخريجه.

(٤) الحديث بهذه اللفظة أخرجها ابن ماجه رحمته الله في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية.

(٥) الحديث قد سبق تخريجه.

(٦) هذه الرواية وردت عند البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَجْهٌ يُؤْمِنُ تَأْتِرُهُ السُّحُبُ﴾ إِلَى رِبِّهَا

وَأَعْلَمَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ زَنْدَقَةً وَلَا كُفْرًا، وَلَا شُكُوكٌ وَلَا بِدْعَةٌ، وَلَا ضَلَالَةٌ وَلَا حَيْرَةٌ فِي الدِّينِ: إِلَّا مِنَ الْكَلَامِ، وَأَهْلِ الْكَلَامِ وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْعُجْبِ، وَكَيْفَ يَجْتَرِئُ الرَّجُلُ عَلَى الْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْجَدَالِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]. فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا بِالْآثَارِ وَالْكَفِّ وَالسُّكُوتِ [١].

أَمَّا التَّرتيب الذي ذكره: (أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ الْأَصْرَاءُ، ثُمَّ الرِّجَالُ، ثُمَّ النِّسَاءُ بِأَعْيُنِ رِءُوسِهِمْ) فَلَا أَعْرِفُ دَلِيلًا فِي ذَلِكَ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. قَوْلُهُ: (وَالْإِيمَانُ بِهَذَا وَاجِبٌ) لَا شَكَّ أَنَّ الْإِيمَانَ بِكُلِّ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَلَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ بِالْغَيْبَاتِ الَّتِي أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهَا فِي كِتَابِهِ، وَأَخْبَرَ عَنْهَا رَسُولُهُ ﷺ فِي سُنَّتِهِ. أَمَّا قَوْلُهُ: (وَالْإِنْكَارُ كُفْرًا) فَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِهِ أَنَّهُ كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ، وَكَوْنُهُ كُفْرًا بِمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَدْلَةُ هَذَا لَا شَكَّ فِيهِ، وَكَوْنُهُ مَخْرُجٌ مِنَ الْمِلَّةِ هَذَا فِيهِ نَظَرٌ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ. [١] قَوْلُ الْمُؤَلَّفِ: (وَأَعْلَمَ أَنَّهَا لَمْ تَكُنْ زَنْدَقَةً وَلَا كُفْرًا).

أَقُولُ: حَصَرَ الزَنْدَقَةَ فِي الْكَلَامِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ وَأَهْلَ الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ حَصَرَ أَغْلَبِيَّةً، وَإِلَّا فَقَدْ تَكُونُ الزَنْدَقَةُ وَالْكَفْرُ لِأَسْبَابٍ غَيْرِ الْكَلَامِ - وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ كُلِّ أَسْبَابِ الزَنْدَقَةِ وَالْكَفْرِ وَالشُّكُوكِ وَالْبِدْعِ -، لَكِنَّ هَذَا قَدْ يَكُونُ غَالِبًا فِيمَنْ يَتَعَلَّمُونَ الْكَلَامَ، وَيَتَعَلَّمُونَ ضُرُوبَ الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْعُجْبِ. وَالْوَاجِبُ هُوَ عَدَمُ الْإِعْجَابِ بِالنَّفْسِ، وَكَوْنُ الْإِنْسَانِ بَارِعًا فِي الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَةِ، لِأَنَّ هَذَا مَذْمُومٌ فِي الشَّرْعِ إِلَّا إِذَا كَانَ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ.

نَاطِرَةٌ ﴿[الْقِيَامَةُ: ٢٢-٢٣]. وَفِي كِتَابِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ بَابُ قَوْلِهِ: ﴿وَسَيَحْيِي بِمَحَمَّدٍ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

وقد جاء في الحديث الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الْأُلْدُ الْخَصِمُ»^(١).

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الْخَلْقَ فِي النَّارِ فِي الْأَعْلَالِ وَالْأَنْكَالِ وَالسَّلَاسِلِ، وَالنَّارُ فِي أَجْوَاهِهِمْ وَفَوْقَهُمْ وَتَحْتَهُمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَهَنَّمِيَّةَ مِنْهُمْ هِشَامُ الْفُوطِيُّ^(٢) قَالَ: إِنَّمَا

وفي رواية للترمذي: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ الْبَقْرَةُ»^(٣).

ثُمَّ قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وَكَيْفَ يَجْتَرِئُ الرَّجُلُ عَلَى الْمَرَاءِ وَالْخُصُومَةِ وَالْجِدَالِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]، فَعَلَيْكَ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضَا بِالْآثَارِ، وَالْكَفِّ وَالسَّكُوتِ).

وَأَقُولُ: إِنَّ الَّذِي يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ التَّسْلِيمَ بِمَا جَاءَ عَنِ اللَّهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَالْكَفِّ وَالسَّكُوتِ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ، عَلِمًا بِأَنَّ التَّسْلِيمَ لِمَا جَاءَ عَنِ الشَّارِعِ ﷺ يَكُونُ تَسْلِيمَ رِضًا، وَقَبُولَ وَإِيمَانًا، وَتَصَدِيقًا، وَعَمَلًا بِمَا يَحْتَاجُ إِلَى عَمَلٍ وَاعْتِقَادًا بِمَا يَلْزَمُ

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ وفي كتاب تفسير القرآن باب وهو ألد الخصام، وفي كتاب الأحكام باب الألد الخصم وهو الدائم في الخصومة، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب العلم باب في الألد الخصم.

(٢) ذكر الشيخان المحققان لهذا المتن (القحطاني والردادي) - جزاهما الله خيرًا - أَنَّ هِشَامَ الْفُوطِيَّ هُوَ - بضم الفاء وإسكان الواو - ابن عمر وكان من أصحاب أبي الهذيل داعية الاعتزال انظر لسان الميزان ٦/ ١٩٥، وانظر حول آرائه وبدعه الفصل لابن حزم ٥/ ٦٢، وانظر الفهرست لابن النديم ص ٢١٤.

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء في الفصاحة والبيان وفي رواية أخرى لأبي داود في كتاب الأدب باب ما جاء في المتشدد في الكلام بلفظ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يَبْغِضُ الْبَلِغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا، وكذا رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم ٦٥٠٧ وهذا الحديث صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع ج ١/ ٣٨٢ برقم ١٨٧٥.

فيه الاعتقاد، قال الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣]، ومعنى آمنوا: صدقوا.

يُعَذِّبُ اللَّهُ عِنْدَ النَّارِ، رَدًّا عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ [١].

[١] إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَخْبَرَنَا عَنْ أَهْلِ النَّارِ، وَأَنَّ لَهُمْ سُلَاسِلَ وَأَغْلَالًا، وَالسُّلَاسِلُ: جمع سُلْسُلَةٍ أو سِلْسِلَةٍ، وهي الحِلْقُ المترابطة، قال الله تَعَالَى: ﴿تُمْرُّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ٣٢]. وقال -جلّ من قائل-: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلْسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا﴾ [الإنسان: ٤]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ (٧) إِذِ الْأَغْلَالُ فِيَّ أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ (٦) فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ (٧) ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ (٧٣) مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمَنَّا بَلْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ [غافر: ٧٠-٧٤].

إلى غير ذلك من الآيات.

والأغلال: جمع غل، وهو ما تغلُّ به الأيدي إلى الأعناق.

والأنكال: جمع نكل، وهو الحديد الثقيل، والله أعلم.

وكل هذا ثابت كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا﴾ (١٣) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا

أَلِيمًا﴾ [المزمل: ١٢-١٣].

فمن أنكر ذلك من الجهمية فموعده عند الله، ومن مات فقد لقي ذلك أو بعضه.

ولكن العبرة في المبتدعة أنهم ينتقلون من بدعة إلى بدعة أشد، فكما عطلوا صفات

الله تَعَالَى أنكروا ما أخبر به من أنواع العذاب التي يعذب الله بها أهل النار.

وفي هذا مصداق لما ورد: أن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، ومن ثواب الحسنة

الحسنة بعدها^(١).

اللهم إنا نعوذ بك من مضلات الفتن وعمى البصائر، وبالله التوفيق.

(١) انظر تفسير ابن كثير سورة آل عمران آية ١٥٥، والتوبة آية ٨٣ وغيرها، وانظر جامع العلوم والحكم ج

وَأَعْلَمَ أَنَّ صَلَاةَ الْفَرِيضَةِ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، لَا يُزَادُ فِيهِنَّ وَلَا يُنْقُصُ فِي مَوَاقِيْتِهَا، وَفِي السَّفَرِ رَكْعَتَانِ، إِلَّا الْمَغْرِبَ، فَمَنْ قَالَ: أَكْثَرُ مِنْ خَمْسٍ؛ فَقَدْ ابْتَدَعَ، وَمَنْ قَالَ: أَقَلُّ مِنْ خَمْسٍ؛ فَقَدْ ابْتَدَعَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنْهَا إِلَّا لَوَقْتِهَا، إِلَّا أَنْ يَكُونَ نِسْيَانًا فَإِنَّهُ مَعذُورٌ يَأْتِي بِهَا إِذَا ذَكَرَهَا، أَوْ يَكُونُ مُسَافِرًا فَيَجْمَعُ بَيْنَ الصَّلَاتَيْنِ إِنْ شَاءَ [١].

[١] أقول: لقد قام الإجماع مستنداً إلى الأدلة الشرعية على أن الصلاة المفروضة خمس صلوات، فمن قال إنها أكثر من خمسٍ كفر، ومن قال إنها ^(١) أقل من خمسٍ كفر. وقد ورد عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما، منها أحاديث الإسرائ، وأن الصلاة فرضت خمسين، وأن موسى عليه السلام أشار على النبي ﷺ بمراجعة ربه حتى قال الله تعالى في الحديث القدسي: «هي خمسٌ، وهي خمسون لا يبدل القول لدي» ^(٢) أي خمسٌ في الفعل وخمسون في الأجر، والحسنة بعشر أمثالها. وقد ورد ذلك في أحاديث في تعليم النبي ﷺ الناس لأركان الإسلام، فهل يمكن أن يقول أحدٌ ممن يتسبون إلى الإسلام أن الصلوات المفروضة أكثر من خمس أو أقل؟ من قال خلاف ذلك فقد كفر، وقد أشار القرآن إلى الخمس بقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالْزَكَاةِ وَالْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] وقوله تعالى: ﴿وَالزَّكَاةَ وَالْوُسْطَىٰ﴾ دليلٌ على أنها خمس وهي المتوسطة بين اثنتين في الليل، واثنتين في النهار. أما قول المؤلف هنا: (فقد ابتدع) فهذا من خلاف عاداته؛ إذ إنه كثيراً ما يطلق الكفر على ما هو دون الكفر، وهنا أطلق الابتداع، علماً بأن من قال: إن الصلاة المفروضة أكثر من خمسٍ أو أقل فقد كفر بإجماع أهل العلم المستند إلى التواتر. ثم أيضاً هذه الخمس كلٌ واحدةٍ منها معروفة بعدد ركعاتها، فالصبح ركعتان، والظهر والعصر أربع أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، ولا يجوز أن تصلّي في الحضر أقل من

(١) أي: أن الصلاة المكتوبة خمس صلوات في كل يوم وليلة.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

ذلك،

ومن فعل ذلك مدعيًا أنَّ الصلاة قد نقصت أو زاد فيها مدعيًا فيها الزيادة، فإنه يعرف إذا كان جاهلاً، فإن أصرَّ كفر.

فعدد ركعاتها مأخوذةً بالنقل المتداول نقل كافةً عن كافة من زمن النبي ﷺ إلى هذا الزمن، ولا يجوز أن تصلَّى أقلَّ من ذلك إلا في السفر؛ فتقصر الرباعية إلى ركعتين كما دلت على ذلك الأدلة، ومن زعم أنَّ المغرب أو الصبح يقصران عرف فإن أصرَّ كفر. وكذلك مواقيتها مأخوذةً بالتداول كافةً عن كافة نقل فعل ونقل قول، إذ كان كلُّ فريضة من الفرائض لها وقت مستقل، ولوقتها أوَّل وآخر، فلا يجوز تقديمها عن وقتها ولا تأخيرها عنه، إلاَّ أنَّه يجوز للمسافر الجمع بحكم السفر جمع تأخير بالإجماع، وجمع تقديم على رأي بعض أهل العلم الذين صحَّ عندهم الحديث به.

ويجوز للمريض الجمع دفعًا للمشقة الحاصلة بصلاة كلِّ فريضة في وقتها.

ومن جعل مواقيت الصلاة ثلاثة كالشيعة الذين يستبيحون الجمع دائماً فيجمعون العصر إلى الظهر في وقت الظهر، ويجمعون العشاء إلى المغرب في وقت المغرب استناداً إلى قول بعض أئمتهم؛ فمن فعل ذلك منهم واعتقد جوازه فإنه مبتدع ضالٌّ. كما أنَّ من جمع العصر إلى المغرب أو العشاء إلى الفجر فإنه ضالٌّ أيضاً؛ إذن إنَّ الجمع لا يكون إلا بين فريضتين مشتركين في الوقت كالظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء. ومن ترك الصلاة عامداً حتى مرَّ وقتها فقد كفر؛ للأدلة الصحيحة الدالة على ذلك منها: قوله ﷺ: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»^(١).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة من حديث جابر بن عبد الله.

ومنها قوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»^(١) إلى غير
وَالزَّكَاةُ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالتَّمْرِ وَالْحُبُوبِ وَالْدَّوَابِّ، عَلَى مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ، فَإِنْ قَسَمَهَا فَجَائِزٌ، وَإِنْ دَفَعَهَا إِلَى الْإِمَامِ فَجَائِزٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ [١].

ذلك من الأدلة، وقد ذهب الجمهور إلى عدم كفر تارك الصلاة، ومع ذلك فقد قال كثيرٌ منهم
يستتاب، فإن تاب وإلا قتل حداً، والمسألة فيها خلافٌ بين أهل العلم، والله تعالى أعلم.
إلا أن من تركها بعذر النسيان أو النوم فإنه يجب أن يصليها إذا ذكرها؛ لحديث أنس
ابن مالك رضي الله عنه قال: قال نبي الله ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا
ذكرها»^(٢)؛ ولأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وبالله التوفيق.
[١] أقول: الزكاة في الذهب والفضة ربع العشر، ونصاب الفضة خمسمائة جرام
 وخمسة وتسعون جراماً، وهي مائتا درهم، وبالنقود المتداولة وهو الريال السعودي النصاب
خمسون ريالاً، فلا يجب فيما دونه.

أما نصاب الذهب، فهو عشرون مثقالاً، والمثقال أربعة جرامات وثلاثة وعشرون
بالمائة من الجرام الخامس، وقد كملوا اثنين بالمائة واحتسبوا نصاب الذهب عشرون
مثقالاً كلّ مثقال أربعة جرامات وربع، والتمر وما في معناه كالعنب نصابها خمسة أوسق.
وكذلك الحبوب المقتاة كالبر، والشعير، والذرة، والدخن، والأرز هذه نصاب كلّ

- (١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة، وأخرجه النسائي في
كتاب الصلاة باب الحكم في ترك الصلاة، وأخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة
فيها باب ما جاء فيمن ترك الصلاة، وأخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار من حديث بريدة
عن أبيه رضي الله عنه برقم الحديث ٢١٨٥٩، والحديث أشار إلى صحته الإمام الألباني رحمه الله في
صحيح الجامع في ج ٢/ ١١١٨ برقم الحديث ٦٥٦٩، وأشار رحمه الله فيه إلى الإرواء برقم ٢٦٣.
(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة
واستحباب تعجيل قضائها، وأخرج نحوه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب من نسي صلاة
فليصل إذا ذكر.

منها خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً نبوياً، وخمسة عشر صاعاً بالصاع الكبير المتداول في جهتنا، أي: مقاطعة جازان في جنوب غرب المملكة العربية السعودية.

أما الدواب، فأنصبتها معروفة^(١) ومتداولة.

(١) فالدواب التي تجب فيها الزكاة هي بهيمة الأنعام وهي: الإبل والبقر والغنم، والنصاب فيها ما ورد في السنة؛ فقد روى البخاري في كتاب الزكاة باب زكاة الغنم قال حدثنا محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري قال حدثني أبي قال حدثني ثمامة بن عبد الله بن أنس أن أنساً حدثه: أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين:

بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين، والتي أمر الله بها رسوله فمن سئله من المسلمين على وجهها فليعطها، ومن سئل فوقها فلا يعط: في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم في كل خمس شاة إذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى، فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى، فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الجمل، فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة، فإذا بلغت يعني ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل، فإذا زادت على عشرين ومائة: ففي كل أربعين بنت لبون، وفي كل خمسين حقة، ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها، فإذا بلغت خمسا من الإبل ففيها شاة.

وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة، فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان، فإذا زادت على مائتين إلى ثلثمائة ففيها ثلاث شياه، فإذا زادت على ثلثمائة ففي كل مائة شاة، فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها.

وفي الرقة ربع العشر فإن لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها شيء إلا أن يشاء ربها. وبنت مخاض: ما تم له سنة.

وبنت لبون: هي ما تم لها سنتان.

والحقة: ما تم لها ثلاث سنين.

والجذعة: ما تم لها أربع سنين.

وعن معاذ رضي الله عنه قال: لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعاً أو

قوله: (فإن قسّمها فجائز، وإن دفعها إلى الإمام فجائز).

أقول: إن دفع الزكاة إلى الإمام هذا هو الواجب، فإن أمر الإمام بردها على الفقراء عند ذلك يقسمها الجابي، هذا هو قول أهل السنة والجماعة، وأنه لا يوكل إلى من وجبت عليه الصدقة قسمتها إلا في زكاة الفطر، والأموال السرية وهي النقود الخفية، وما عدا ذلك فتدفع إلى الإمام، هذا قول أهل السنة، ومن خالف ذلك فهو مبتدع، إذ لو قلنا بما قاله المؤلف لأمكن أن يدعي كثير ممن وجبت عليه الزكاة أن يدعي أنه قسّمها، وبرئت ذمته منها وهذا خلاف ما دلت عليه السنة، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ عمر رضي الله عنه على الصدقة فقليل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد والعباس عم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيرًا فأغناه الله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا قد احتبس أدراعه وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس فهي علي ومثلها معها»، ثم قال: «يا عمر، أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»^(١).

تبيعة، ومن كل أربعين مسنة، ومن كل حالم دينارًا أو عدله معافري... الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة باب زكاة السائمة والترمذي في كتاب الزكاة باب ما جاء في زكاة البقر وقال عنه حديث حسن، وابن ماجه في كتاب الزكاة باب صدقة البقر والنسائي في كتاب الزكاة باب زكاة البقر وصححه ابن حبان والحاكم.

والتبيع والتبيعة: ما تمّ له سنة من البقر.

والمسنة: ما تمّ لها سنتان.

وذكر أهل العلم أن هذه البهائم لا تجب فيها الزكاة بعد بلوغها النصاب المحدد شرعًا إلا بشرطين:

١- أن تكون سائمة؛ أي: راعية في جميع الحول أو أكثره في الصحاري أو الغابات أو نحوها، فإن لم تكن سائمة فلا زكاة فيها إلا إن أعدت للتجارة فتزكى زكاة عروض التجارة.

٢- أن تكون معدة للاستفادة من ألبانها ونسلها فإن كانت للعمل عليها بالحرث أو سقي أو غيرهما لم تجب فيها الزكاة، وبالله التوفيق.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب في تقديم الزكاة ومنعها. وأخرج

فهذا دليلٌ من الأدلة وواحدٌ من عدّة أحاديث والتي تدل على أنّ النبي ﷺ كان يرسل
الجباة لجمع الصدقات ممن تجب عليهم، وبالله التوفيق.

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَوَّلَ الْإِسْلَامِ شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ مَا قَالَ اللَّهُ كَمَا قَالَ، وَلَا خِلَافَ لِمَا قَالَ، وَهُوَ عِنْدَ مَا قَالَ [١].

[١] قوله: (اعلم أن أول الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله) أي: أنه لا يدخل أحد في الإسلام إلا بأن يقول هاتين الجملتين معترفاً بهما، مصداقاً بما تضمنته بأن الألوهية لا تنبغي إلا لله، وأن كل إله سوى الله باطل، وأن محمداً عبد الله ورسوله.

لا تصح العبادة إلا أن تكون على ما شرع، ولا يصح إسلام عبد إلا أن يشهد له بالرسالة ويدعن لحكمه ﷺ، كما قال ﷺ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

قوله: (وأن ما قال الله كما قال) أي: أن ما أخبر الله به عن الماضي أو المستقبل من أخبارٍ فهي كما قال، وما أمر من أوامر فهي كما أمر واجب تنفيذها، وما نهى من نواهي فهي كما نهى يحرم إتيانها.

فأخبره تعالى صدق وحق لا تتخلف أبداً، يجب أن تؤمن بذلك حق الإيمان ونصده حق التصديق، ولا يخالجنا شك في تصديق أخباره، ووجوب فعل أوامره وتحريم فعل مناهيه، وأن من وقف عند ذلك فهو المؤمن حقاً، وبالله التوفيق.



وَالْإِيمَانُ بِالشَّرَائِعِ كُلِّهَا [١].

وَأَعْلَمَ أَنَّ الشَّرَاءَ وَالْبَيْعَ حَلَالٌ إِذَا بَاعَ فِي أَسْوَاقِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حُكْمِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَدْخُلَهُ تَغْيِيرٌ، أَوْ ظُلْمٌ، أَوْ ^(١) غَدْرٌ، أَوْ خِلَافٌ لِلْقُرْآنِ، أَوْ خِلَافٌ لِلْعِلْمِ [٢].

[١] وأقول: يجب علينا نحن المسلمين أن نؤمن بالشرائع جميعاً؛ إيماناً إجمالياً فيما أجمل الله، وتفصيلاً فيما فصل الله ﷻ.

فما أخبر الله ﷻ في كتابه بأنه شرعه لأهل الكتاب قبلنا يجب علينا أن نؤمن به مفصلاً كقوله تعالى: ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥].

وما عدا ذلك؛ أي: غير الذي فصله القرآن نؤمن به إجمالاً، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿إِذْ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفِرُوا مِنْ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

قال السلف: نؤمن بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، ونؤمن برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ^(٢)، وبالله التوفيق.

[٢] البيع والشراء قد بينهما الله في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، بين ما أحل وبين ما حرم، وأنكر على من جعل البيع مثل الربا، وتوعدهم بما تضمنته آية البقرة حينما قالوا: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾ وردَّ عليهم بقوله: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: ٢٧٥].

إذن فكل بيع حلال إذا لم يخالف كتاب الله أو يخالف شيئاً من الأحكام الفقهية؛ أي: الاعتقادية منها والعملية، والبيوع المباحة معلومة عند المسلمين معروفة بشروطها

(١) وفي نسخة الراداي: (من غير أن يدخله تغييرٌ أو ظلم أو جور أو غدر).

(٢) انظر في أول كتاب لمعة الاعتقاد وهو من قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي (تخريج الشيخ عبد الله بن محمد النجدي - حفظه الله -).

في

وَاعْلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ تَصْحَبَهُ الشَّفَقَةُ أَبَدًا مَا صَحِبَ الدُّنْيَا لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي عَلَى مَا يَمُوتُ، وَبِمَا يُخْتَمُ لَهُ، وَعَلَى مَا يَلْقَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ عَمِلَ كُلَّ عَمَلٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَنْبَغِي لِلرَّجُلِ الْمُسْرِفِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَ الْمَوْتِ^(١)، وَيُحْسِنَ ظَنَّهُ بِاللَّهِ، وَيَخَافَ ذُنُوبَهُ، فَإِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ فَبِفَضْلٍ، وَإِنْ عَذَّبَهُ فَبِذَنْبِهِ [١].

كتب الشرع المتداولة من تفسير وحديث وفقه وغير ذلك.

فمن حَرَّمَ ما أَحَلَّ الله، أو أَحَلَّ ما حَرَّمَ الله؛ فهو الظالم المعتدي يُرَدُّ عليه قوله، والأحكام الشرعية بينة ظاهرة واضحة ترتادها أمة محمد ﷺ من عصر الصحابة إلى الآن. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ أَلْهَدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] وبالله التوفيق.

[١] قوله: (واعلم أنه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً ما صحب الدنيا لأنه لا يدري

على ما يموت عليه، وبم يختم له).

وأقول: إن الواجب على العبد أن يكون في هذه الدنيا بين الخوف والرجاء كما تقدم لنا الكلام على ذلك^(٢)، وقد قرر أهل العلم أنه ينبغي للمسلم أن يكون الخوف عليه أغلب في حال صحته، وأن يكون الرجاء عليه أغلب عند الموت، وقد جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: «كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله أنني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف»^(٣) رواه ابن ماجه والترمذي

(١) وفي نسخة الراداي: (ألا يقطع رجاءه من الله تعالى عند الموت).

(٢) تقدم الحديث عن ذلك في شرح المتن.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجه في سننه في كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب الجنائز باب ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين. قال الإمام الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح ج ١/ ٥٠٦ برقم ١٦١٢: وفي نسختنا من السنن (١/ ١٨٤) حسن

واللفظ له،

وقال عنه الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلًا.

اللهم لا تأمنّا مكرك، ولا تله قلوبنا عن ذكرك، ولا تولّ علينا غيرك، اللهم إنّنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه، ونفثه، ونفخه، ونزغاته اللهم آمين.

ثم قال: (لأنّه لا يدري على ما يموت عليه).

هذه الجملة تعليلية كما تقدّم من وجوب استصحاب الخوف من تقلب القلوب وتحويلها عمّا كانت عليه من الإيمان إلى الخذلان؛ فإنّ الله إذا تخلّى عن العبد تسلطت عليه الشياطين، وألقته فيما يوقع له الشكوك، وشككته في حقائق الإيمان حتّى يموت كافرًا -والعياذ بالله- فيستحقّ الخلود في النار، وقد أخبر الله ﷻ عن قوم بأنّه قلب أفئدتهم وأبصارهم؛ فقال -جلّ من قائل-: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَدَتَهُمْ وَأَبْصَرَ لَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وكما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

فالإنسان لا يدري كيف يكون حاله في المستقبل؛ فينبغي له أن يستشعر الخطر ما دام حيًّا.

ولهذا فقد كان النبي ﷺ مع أنّه رسول الله دائماً يدعو بقوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، يا مصرف القلوب صرّف قلبي على طاعتك.

فعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك»، فقلت: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»^(١) قال أبو عيسى الترمذي: وفي

غريب، وهذا هو اللائق بحال إسناده فإنّ رجاله ثقات وفي سيار بن حاتم كلام لا يضر؛ فالسند

حسن. اهـ

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب القدر باب ما جاء أنّ القلوب بين أصبعي الرحمن وفي

الباب

عن النواس بن سمعان، وأم سلمة، وعبد الله بن عمرو، وعائشة، وهذا حديث حسن. وهكذا روى غير واحد عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس، وروى بعضهم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ، وحديث أبي سفيان عن أنس أصح. وفي رواية لمسلم: «إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء»، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»^(١).

لذلك فإنه ينبغي أن ندعو بهذا الدعاء، وأن نخاف من سوء الخاتمة ؛ نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

قوله: (وعلى ما يلقى الله ﷻ) أي: وعلى أي شيء يلقى الله، هل يلقاه على عمل خير وطاعة أو على عمل شرٍّ ومعصية؟ ثم قال: (وينبغي للرجل المسرف على نفسه ألا يقطع رجاءه عند الموت وأن يحسن ظنه بالله ويخاف ذنوبه).

قد سبق لنا الحديث بذلك^(٢)، وقوله ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن»

كتاب الدعوات باب دعاء يوم عرفة وأخرجه الإمام ابن ماجه أيضاً في سننه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية وفي كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله ﷺ وأخرجه الإمام أحمد رحمهم الله جميعاً في باقي مسند المكثرين برقم ١١٦٩٧ وبرقم ٩١٣٩ وقد أشار الألباني رحمه الله إلى صحته في صحيح سنن الترمذي برقم ٢١٤٠ في الباب المذكور سابقاً وكذا في صحيح سنن ابن ماجه برقم ٣٨٣٤ في نفس الباب الذي تقدم ذكره.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء.

(٢) الحديث سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

بِالله^(١).

قوله: (وإن رحمه الله فيفضله وإن عذبه فيذنبه).

أقول: إنَّ كلَّ موحدٍ تحت مشيئة الله إنَّ رحمه الله فيفضله، وإنَّ عذبه فيعدله، ولا يظلم ربك أحداً، وبالله التوفيق.



(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ في صفة الجنة ونعيمها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَطْلَعَ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى مَا يَكُونُ فِي أُمَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [١].

[١] وأقول: إنَّ هذا القول فيه شيء من الإجمال، فالله ﷻ لم يطلع نبيه على كل شيء يكون في أُمَّتِهِ إلى يوم القيامة ؛ لأنَّ هذا من علم الغيب الذي اختص به ربُّ العزة والجلال، ولكن أطلعه على بعض الوقائع وبعض الأمور. ولهذا ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ: أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا».

قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد». فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟!». قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض، ألا ليُذَادَنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»^(١).

فهذا دليل على أنه لم يخبر بجميع ما يكون في أُمَّتِهِ، لكن أخبر ببعض الأشياء التي لها تأثير؛ فأخبر النبي ﷺ ببعض ذلك كما هو مدوّن في كتب السنة وليس معنى ذلك أنه

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء وفي كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

وأخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الرقاق باب في الحوض وفي كتاب الفتن باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ وما كان النبي ﷺ يحذر من الفتن.

اطلع على كل ما يجري من أمته، ويجري فيهم وعليهم كما يعتقد بعض الناس.
 واعلم أن رسول الله ﷺ قال: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»^(١). هَكَذَا كَانَ الدِّينُ إِلَى خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْجَمَاعَةُ كُلُّهَا، وَهَكَذَا فِي زَمَنِ عُثْمَانَ، فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَاءَ الْاِخْتِلَافُ وَالْبِدْعُ، وَصَارَ النَّاسُ أَحْزَابًا، فَمِنَ النَّاسِ مَنْ ثَبَتَ عَلَى الْحَقِّ عِنْدَ أَوَّلِ التَّغْيِيرِ، وَقَالَ بِهِ، وَعَمِلَ بِهِ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَيْهِ، فَكَانَ الْأَمْرُ مُسْتَقِيمًا حَتَّى كَانَتِ الطَّبَقَةُ الرَّابِعَةُ فِي خِلَافَةِ فُلَانٍ^(٢) انْقَلَبَ الزَّمَانُ، وَتَغَيَّرَ النَّاسُ جِدًّا، وَفَشَتِ الْبِدْعُ، وَكَثُرَ الدُّعَاءُ إِلَى غَيْرِ سَبِيلِ الْحَقِّ وَالْجَمَاعَةِ، وَوَقَعَتِ الْمِحْنَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَدَعَوْا إِلَى الْفُرْقَةِ.

وَقَدْ نَهَى اللَّهُ ﷻ عَنِ الْفُرْقَةِ، وَكَفَّرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَكُلٌّ دَعَا إِلَى رَأْيِهِ، وَإِلَى تَكْفِيرٍ مَن خَالَفَهُ فَضَلَّ الْجُهَالُ وَالرَّعَاعُ وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا، وَخَوْفُهُمْ عِقَابَ الدُّنْيَا، فَاتَّبَعَهُمُ الْخَلْقُ عَلَى خَوْفٍ فِي دِينِهِمْ^(٣)، وَرَغْبَةٍ فِي دُنْيَاهُمْ.

وقد بحث ذلك في ردِّي على ابن الحاج في كتاب أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة؛ فارجع إلى ذلك البحث فإنه مفيدٌ في بابه وذلك من فضل الله وإحسانه وتوفيقه، وإياك يا طالب العلم أن تني أو تتكاسل عن هضم هذه المسألة فإنها مهمةٌ جدًّا، وبحثها وهضمها تتخلص من العقائد الشريكية وتعرف مذهب السلف جيدًا في

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) وفي نسخة الراددي: (في خلافة بني فلان).

(٣) وفي نسخة الراددي: (دنياهم) ونسخة القحطاني أصح، لوضوح العبارة، وسلامتها من التكرار، والعلم عند الله.

هذا الباب، وبالله التوفيق.

فَصَارَتِ السُّنَّةُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مَكْتُومِينَ، وَظَهَرَتِ الْبِدْعَةُ وَفَشَتْ، وَكَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ مِنْ وُجُوهِ شَتَّى، وَوَضَعُوا الْقِيَّاسَ، وَحَمَلُوا قُدْرَةَ الرَّبِّ وَآيَاتِهِ وَأَحْكَامِهِ وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ عَلَى عُقُولِهِمْ وَآرَائِهِمْ، فَمَا وَافَقَ عُقُولَهُمْ قَبْلُوهُ، وَمَا خَالَفَ عُقُولَهُمْ رَدُّوهُ، فَصَارَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَالسُّنَّةُ غَرِيبَةً، وَأَهْلُ السُّنَّةِ غُرَبَاءَ فِي جَوْفِ دِيَارِهِمْ [١].

[١] أقول: حديث الافتراق قد رواه جماعة من الصحابة عن النبي ﷺ ولفظه متقارب إلا أنه في آخره في بعضها قال: «هم الجماعة» وفي بعضها قال: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي». وقد تقدم لنا في أول هذا الشرح أنه ليس المراد بقوله: «كلها في النار إلا واحدة»^(١) أنهم كلهم كفار مخلدون؛ بل أن هذه الفرق مختلفة منها ما تبلغ بدعتهم إلى حد الكفر فيخرجون من الإسلام، ويحكم عليهم بالكفر، ويكونون مخلدين في النار يوم القيامة، ومنها فرق لا تبلغ بدعتهم إلى حد الكفر بل تكون مفسقة فهؤلاء يرجون ما يرجوه الموحدون إذا ماتوا على التوحيد.

وبهذا يتبين على أن قوله: «كلها في النار إلا واحدة» ليس المراد به أنهم كلهم مخلدون في النار فيما نعتقد، ثم إن هذه الواحدة المستثناة هي التي تدين بما دان به الصحابة عقيدة، وعملاً، وتعاملاً، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن الألوهية لله وحده، وأنه لا يجوز أن يدعى غيره، ولا يستغاث بغيره، وأن من فعل ذلك فإنه مشرك شركاً أكبر، وأن المتابعة تكون لرسول الله ﷺ لا يقدم قول أحد على قوله، ولا رأي أحد على سنته.

وعقيدتهم في توحيد الأسماء والصفات هو الإيمان بها، واعتقاد معناها الذي تدل عليه باللسان العربي، وامرارها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا تعطيل، وأن أمة محمد ﷺ يجب أن تكون أمة واحدة، وأن الاختلاف والافتراق مبتدع، إلى آخر ما

(١) سبق تخريجه والكلام عليه.

هو مذكور في عقيدة أهل السنة والجماعة.

وأنَّ القائمين على السنة هم أهل الأثر أهل الحديث، ومن سواهم فإنه إن أصاب من وجهٍ أخطأ من وجهٍ آخر، ولا ينجو من الاختلاف ولا يستقيم على العقيدة الصحيحة إلاَّ أهل الحديث.

قوله: (هكذا كان الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب الجماعة كلَّها، وهكذا في زمن عثمان، فلمَّا قتل عثمان رضي الله عنه جاء الاختلاف والبدع وصار الناس فرقًا، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به وعمل به، ودعا إليه).

وأقول: إنَّ الاختلاف بدأ من خروج الخوارج على عثمان، ثمَّ لمَّا قتل حصل الافتراق بعد قتل عثمان، ونبتت نابتة الخوارج فظهروا بدعوة ابن السوداء، وظهرت القدرية في آخر حياة المعمرين من الصحابة كعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم.

وعلى رأس المائة ظهرت فتنة الاعتزال، والقول بالمنزلة بين المنزلتين والتخليد في النار لأصحاب الكبائر، ثمَّ تابعت الفتن، وظهرت البدع شيئًا فشيئًا.

وظهرت في أول المائة الثانية بدعة التجهم، وإنكار الصفات، ثمَّ بعدما كانت بدعة المعتزلة ضعيفة مردودة استمالوا إلى صفهم الخليفة المأمون فوقعت في آخر عصره بدعة القول بخلق القرآن، وتوفي وهو يدعو إليها، واستمر بعده عليها المعتصم والواثق على التحدي لأهل السنة ونبذهم في السجون، وقتل بعضهم، حتى أظهر الله الحق على يد الخليفة المتوكل على الله، وظهرت في عصره السنة، وانقضت البدع والحمد لله؛ فهذه خلاصة ما حصل من المبتدعة في أزمنة شتى.

وفي المائة الثالثة ظهرت بدعة التصوف أصحاب الشطحات، وكان أول من أظهر شطحه منهم الحلاج، وهذا معنى ما قاله المؤلف: (وكان الأمر مستقرًا حتى كانت الطبقة الرابعة) فلعله أراد بالطبقة الرابعة؛ أي: القرن الرابع؛ لأنَّ الثلاثة القرون وإن ظهرت فيها بدعٌ إلاَّ أنَّ النبي ﷺ قد زكَّاهم على العموم بقوله: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم

الذين يلونهم» قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة.

قال النبي ﷺ: «إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن»^(١) متفق عليه.

وهذه التزكية على العموم لأصحاب القرون الثلاثة، وقد قيل: إن هذه القرون انتهت بمائتين وعشر سنوات، إذ إن كل قرن سبعون سنة.

وفي سنة مائتين واثنى عشر ظهرت بدعة القول بخلق القرآن: أي بدأت في الظهور. أمّا قوله: (في خلافة فلان) فهذه الأزمنة التي ذكرناها ذكرت فيها البدع في خلافة خلفاء أكثرهم صالحين كأنه كما قال المعلق يشير إلى دعوة القول بخلق القرآن، والله تعالى أعلم.

لأن قوله: (انقلب الزمان، وتغير الناس جدًا، وفشت البدع، وكثر الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت المحنة في كل شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة ودعوا إلى الفرقة، وقد نهى الله ﷻ عن الفرقة، وكفر بعضهم بعضًا، وكل دعا إلى رأيه، وإلى تكفير من خالفه).

فضل الجهال والرعا، ومن لا علم له، وأطمعوا الناس في شيء من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا فاتبعهم الخلق على خوف في دينهم ورغبة في دنياهم. فصارت السنة وأهل السنة مكتومين، وظهرت البدعة، وفشت وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتى).

أقول: إن هذا الكلام ينطبق على زمن فتنة القول بخلق القرآن.

أمّا قوله: (ووضعوا القياس، وحملوا قدرة الرب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه، فصار الإسلام غريبًا) لعله يريد بهذا العقلانيين المعتزلة والجهمية الذين ردوا الصفات حين زعموا أن فيها

(١) الحديث سبق تخريجه في المقدمة.

مشابھةً بين المخلوق والخالق.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الْمُتَنَعَةَ - مُتَنَعَةَ النِّسَاءِ - وَالْأَسْتِحْلَالَ: حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [١].
وَأَعْرِفُ لِبَنِي هَاشِمٍ فَضْلَهُمْ - لِقَرَابَتِهِمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَأَعْرِفُ فَضْلَ قُرَيْشٍ
وَالْعَرَبِ وَجَمِيعِ الْأَفْخَاذِ، فَأَعْرِفُ قَدْرَهُمْ وَحُقُوقَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ [٢].

ولعلَّه يريد بذلك أصحاب الرأي من الفقهاء والذين ردُّوا كثيراً من السنن، وقالوا بما فرضته آراؤهم أو آراء شيوخهم، ولعلَّه يريد الجميع، غير أنَّ الذي ينبغي للمسلم أن يعتبر هذه الآراء كلّها خروجٌ عن الصراط المستقيم، والدين الحق الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فمن بعدهم من أهل الحديث والأثر وأئمة الهدى في كلّ زمانٍ ومكان - رحمهم الله تعالى جميعاً، وأحياناً الله على طريقتهم وحشرنا في زميرتهم -، وبالله التوفيق.

[١] نكاح المتعة تعريفه: أن يتزوج المرأة إلى أجلٍ محدود كشهريٍّ أو ما أشبه ذلك، أي: بقدر إقامته في هذا البلد.

فهذا النكاح كان مباحاً في أول الإسلام وحرّم عام خيبر، ثمّ بعد ذلك أبيع في غزوة الفتح، ثمّ بعد ذلك حرّم تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة، وقد أجمع علماء الأئمة على تحريم التمتع بالنساء^(١)، وخالف في ذلك بعض الشيعة، وخلافهم لا ينظر إليه؛ لأنّهم أهل بدعٍ يصل بعضها بأصحابه إلى الكفر، وبالله التوفيق.

[٢] وأقول: إنّ بني هاشمٍ لهم فضلٌ بسبب قرابتهم من رسول الله ﷺ، والله ﷻ قال لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

فقوله: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى أنّه ليس من الأجر، ولكن رسول الله ﷺ يطلب من الأمة أن يعرفوا القرابته حقّهم فيحترموهم لاحترامه، ويكرمونهم لإكرامه.

فإذا كان للمسلم حقٌّ على المسلم فإنّ للمسلم من بني هاشم المتمسك بدينه حقٌّ الإسلام وحقّ قرابته من النبي ﷺ، وكذلك سائر أفخاذ قريش إلا أنّ الله لم يكلفنا بحب من

(١) قال الشيخ القحطاني صاحب هذه النسخة المحققة بين يدي القارئ: وللتوسع في ذلك انظر رسالة تحريم نكاح المتعة لنصر بن إبراهيم المقدسي تحقيق الشيخ حماد الأنصاري نشر دار طيبة.

ليس على العقيدة الصحيحة وليس له استقامة على الإسلام توجب حبه.
وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ، وَاعْرِفْ فَضْلَ الْأَنْصَارِ، وَوَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ، وَآلَ
الرَّسُولِ وَلَا تَسُبَّهُمْ^(١) وَاعْرِفْ فَضْلَهُمْ^(٢)، وَجِزَانُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَأَعْرِفْ فَضْلَهُمْ [١].

ولقد تبرأ النبي ﷺ ممن يكون مخالفاً لهديه؛ فقال -صلوات الله وسلامه عليه-:
«أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي -يعني فلاناً- ليسوا لي بأولياء؛ إنما وليي الله وصالح المؤمنين»^(٣) رواه
مسلم والبخاري.

قوله: (وسائر الأفعاذ) أي أفعاذ قريش وقبائل العرب يعرف لهم حقهم في الإسلام^(٤)
، وبالله التوفيق.

[١] أقول: إنَّ قوله: (ومولى القوم منهم) هذا حديثٌ صحيحٌ عن النبي ﷺ من حديث ابن
أبي رافع عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً من بني مخزوم على الصدقة، فأراد أبو رافع أن
يتبعه، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَا تَحِلُّ لَنَا، وَإِنْ مَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ»^(٥).

(١) وفي نسخة الراددي (فلا تساهم).

(٢) وفي نسخة الرادادي (وأعرف فضلهم، وكراماتهم).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رَحِمَهُ اللهُ واللفظ له في كتاب الإيمان باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم
والبراءة منهم وأخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب تبلى ببلالها من حديث عمرو بن العاص رَحِمَهُ اللهُ.

(٤) وذلك لأنَّ القرآن الكريم كلام الله نزل بلغة العرب: ﴿بَلِّسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾؛ ولأنَّ النبي ﷺ من بني
هاشم وبني هاشم من قريش وقريشاً من كنانة، وكنانة من ولد إسماعيل بن إبراهيم -عليهما وعلى
نبينا محمد الصلاة والسلام- كما في حديث أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول ﷺ
سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ،
وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» رواه مسلم في أول كتاب الفضائل.

(٥) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الزكاة باب ما جاء من تحل له الصدقة من الغارمين
وغيرهم، وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب الزكاة باب الصدقة على بني هاشم، وأخرجه
الإمام النسائي واللفظ له في كتاب الزكاة باب مولى القوم منهم، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في
مسند القبائل برقم الحديث ٢٦٦٤١ وقد أشار إلى تصحيح الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في

وَاعْلَمَ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ لَمْ يَزَالُوا يُرَدُّونَ قَوْلَ الْجَهْمِيَّةِ، حَتَّى كَانَ فِي خِلَافَةِ^(١) بَنِي الْعَبَّاسِ تَكَلَّمَتِ الرُّوَيْبُضَةُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ، وَطَعَنُوا عَلَى آثَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذُوا بِالْقِيَّاسِ وَالرَّأْيِ، وَكَفَرُوا مَنْ خَالَفَهُمْ، فَدَخَلَ فِي قَوْلِهِمُ الْجَاهِلُ وَالْمُغْفَلُ، وَالَّذِي لَا عِلْمَ لَهُ، حَتَّى كَفَرُوا مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، فَهَلَكَتِ الْأُمَّةُ مِنْ وُجُوهِ، وَكَفَرَتْ مِنْ وُجُوهِ، وَتَزَنَّدَقَتْ مِنْ وُجُوهِ، وَضَلَّتْ مِنْ وُجُوهِ^(٢)، وَتَفَرَّقَتْ وَابْتَدَعَتْ مِنْ وُجُوهِ، إِلَّا مَنْ ثَبَّتَ عَلَى قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَمْرِهِ وَأَمْرِ أَصْحَابِهِ^(٣)، وَلَمْ يَتَخَطَّ أَحَدًا مِنْهُمْ^(٤)، وَلَمْ يُجَاوِزْ أَمْرَهُمْ، وَوَسَّعَهُ مَا وَسَّعَهُمْ، وَلَمْ يَرْغَبْ عَنْ طَرِيقَتِهِمْ وَمَذْهَبِهِمْ وَعَلِمَ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى

وهذا يشمل أن مولى القوم منهم أن يكونوا منهم أيضًا في الاحترام لصلته بهم، وتعلقه فيهم. أما الأنصار؛ فقد قال النبي ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»^(٥). فهم الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه، ونصر الله بهم الدين؛ فيجب أن يعرف لهم حقهم، ولا يجوز لأحد أن يسبهم أو يهجوهم أو ينال منهم، ومن فعل شيئاً من ذلك فقد عصى الله ورسوله.

قوله: (وجيرانه من أهل المدينة فاعرف فضلهم) المقصود بالجيران الذين لم يكونوا من الأنصار ولا من قريش، ولكنهم مسلمون، فلهم حق الإسلام ولهم فضل لصبرهم على

صحيح الجامع ج ١ / ٣٤١ برقم الحديث ١٦٦٣.

(١) في نسخة الراددي قال: (بني فلان).

(٢) وفي نسخة الراددي: (وتفرقت وابتدعت من وجوه).

(٣) وفي نسخة الراددي (وأمر أصحابه).

(٤) وفي نسخة الراددي (ولم يخطئ أحداً منهم).

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري واللفظ له في كتاب الإيمان باب علامة الإيمان وحب الأنصار، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق من حديث أنس رضي الله عنه.

لأواء المدينة^(١)، فيجب أن يعرف لأهل الفضل فضلهم، وبالله التوفيق.

(١) لأواء المدينة: أي الشدة والجوع وتعذر الكسب وسوء الحال.

الإسلام الصحيح، والإيمان الصحيح، فقلدهم دينه واستراح [١].
واعلم أن الدين إنما هو بالتقليد، والتقليد لأصحاب محمد ﷺ [٢].

[١] هذا حكاية حال، وخلافة بني العباس كانت في أولها على خير، ثم تغيرت الأمور من بعد المائتين حين قُبِلَ المأمون دعوة المعتزلة، واقتنع بأن القرآن مخلوق ودعا أهل العلم إلى قبول هذه البدعة، والقول بهذا الكفر فحصلت فتنة عظيمة استمرت من بعد سنة مائتين واثنتي عشر في خلافة المأمون، والمعتصم، والواثق، حتى تولَّى الخلافة المتوكل على الله؛ فوجد أهل السنة والجماعة، وحملة الحديث متنفساً وكُبِحَ جماح أهل الباطل إلا أنه بعد المتوكل على الله سلب الخلفاء سلطتهم وظلت الخلافة اسم بلا رسم، ومظهر بلا حقيقة ذلك أن الأتراك تسلطوا عليهم، وأخذوا حقيقة السلطة فصرخوا بالخلفاء كما يشاءون يأتون بهذا ويقتلون هذا. ثم بعد ذلك انتقلت السلطة من الأتراك إلى بني بويه، ثم إلى الجراكسة حتى قضى على الخلافة في عام ٦٥٦ هـ وتحقق فيهم قول عمر رضي الله عنه: «إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله»^(١).

إلا أن أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث وأهل العقيدة الحققة لم يزالوا قائمين على عقيدتهم لم يضرهم من خالفهم؛ ولهذا استثنى بقوله: (إلا من ثبت على قول رسول الله ﷺ وأمره ونهيه وسلك نهج أصحابه، ولم يتخطأ أحداً منهم، ولم يجاوز أمرهم، ووسعهم ما وسعهم، ولم يرغب عن طريقهم كانوا على الإسلام الصحيح، وقلدهم دينه واستراح) أي: أن هؤلاء هم الذين سلموا من معرة الكفر، والجهل والضلال، وبالله التوفيق.

[٢] أقول: إن قول المؤلف رحمه الله: (واعلم أن الدين إنما هو التقليد) يلاحظ عليه هذا التعبير، لأن التقليد هو الاتباع بلا دليل، ولو قال: إن الدين هو الاتباع لكتاب الله ﷻ، وسنة رسول الله ﷺ على فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان من حملة الحديث والأثر لكان هذا التعبير هو الصواب، لأنه يوافق ما أمر الله به في كتابه حيث

(١) هذا الأثر رواه الحاكم في المستدرک (١/٦٢) وصححه ووافقه الذهبي. نقلاً من موسوعة نصرية النعيم (العزة) ج ٧/٢٨٤٧.

وَمَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ سَكَتَ فَلَمْ يَقُلْ: مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، فَهُوَ جَهْمِيٌّ^(١)، هَكَذَا قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ؛ عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(٢) [١].

يقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ويقول: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. فالاتباع لمن سلف قبلنا على أثر الدليل من كتاب وسنة هذا هو الحق، وبالله التوفيق.

[١] وأقول: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والأدلة على ذلك كثيرة:
قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. والله تعالى يقول أيضاً: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. والله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، إلى غير ذلك من الآيات.
فالقرآن كلام الله غير مخلوق، وكلام الله صفة من صفاته، ومن قال إن شيئاً من صفات الله مخلوق، فهو كافر، هكذا قرر أهل السنة والجماعة^(٣).

وقد ذكر اللالكائي عن خمسمائة وخمسين عالماً من السلف أنهم قالوا: من قال القرآن مخلوق فهو كافر، ومن قال: بأن لفظه بالقرآن مخلوق فهو مبتدع جهمي ضال، وكذلك من سكت ولم يقل أنه مخلوق، ولا أنه غير مخلوق فهو أيضاً جهمي ضال.
فإخبار الله صريح بأن القرآن كلام الله، ومن لم يقل ذلك فقد كذب الله في خبره، وإنما حذر أهل العلم وعلى رأسهم الإمام أحمد رَحِمَهُمُ اللَّهُ حذروا من أن يقول قائل: لفظه

(١) وفي نسخة الراددي: (فهو مبتدع).

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) انظر أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي بتحقيق الشيخ الدكتور أحمد بن سعد الغامدي المجلد الأول ج ٢/ ٣٤٤.

بالقرآن

وَاعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا جَاءَ هَلَاكُ الْجَهْمِيَّةِ: أَنَّهُمْ فَكَّرُوا فِي الرَّبِّ عَلَّاهُ فَأَذْخَلُوا: لِمَ؟
وَكَيْفَ؟ وَتَرَكُوا الْأَثَرَ، وَوَضَعُوا الْقِيَّاسَ، وَقَاسُوا الدِّينَ عَلَى رَأْيِهِمْ، فَجَاءُوا بِالْكَفْرِ
عَيْنًا لَا يَخْفَى، فَكَفَرُوا^(١) وَكَفَرُوا الْخَلْقَ، وَاضْطَرَّ لَهُمُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ قَالُوا بِالتَّعْطِيلِ [١].
وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ - مِنْهُمْ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -: الْجَهْمِيُّ كَافِرٌ، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ
الْقِبْلَةِ، حَالُ الدَّمِّ، لَا يَرِثُ، وَلَا يُورَثُ، لِأَنَّهُ قَالَ: لَا جُمُعَةٌ، وَلَا جَمَاعَةٌ، وَلَا عِيدَيْنِ
وَلَا صَدَقَةٍ، وَقَالُوا: مَنْ لَمْ يَقُلْ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ فَهُوَ كَافِرٌ!
وَاسْتَحَلُّوا السَّيْفَ عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ ﷺ وَخَالَفُوا مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَامْتَحَنُوا
النَّاسَ بِشَيْءٍ لَمْ يَتَكَلَّمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، وَأَرَادُوا
تَعْطِيلَ الْمَسَاجِدِ وَالْجَوَامِعِ...

مخلوق، لأن إطلاق اللفظ يحتمل أن يراد به نفس اللفظ أو الملفوظ به، ومن أجل هذا الاحتمال
حكموا على من قال بأن لفظه بالقرآن مخلوق بأنه مبتدع جهمي، وبالله التوفيق.
[١] وأقول: إن صفات الله عَلَّاهُ لا يعلم كيفيتها غيره، لا ملكٌ مقرب ولا نبيٌّ مرسل،
ولا يجوز لغيره أن يتكلم في صفاته بالرأي والتقدير، بل يجب أن يكون المرجع في ذلك؛
أي: في صفات الله وأسمائه الوحي لا شيء غيره.
فمن أراد أن يتكلم في أسماء الله وصفاته بالرأي والتقدير فإنه يعتبر قد ضلَّ وأضل؛
لأن الرأي والتقدير والقياس لا دخل له في صفات الله وأسمائه، وقد أرسل الله الرسل إلى
عباده ليعلموهم العبادة التي يرضاها الله؛ فمن اتبع ما جاءت به الرسل نجا، ومن ترك ما
جاءت به الرسل هلك ووقع في الشرك والكفر والضلال.
وعلينا أن نؤمن بصفات الله؛ أي: بمعناها الذي تقتضيه في اللغة العربية أمَّا الكيفية

(١) وفي نسخة الراددي: (لا يخفى إنه كفر).

فإنَّها لا يعلمها غيره ﷻ كما تقدم، وبالله التوفيق.

وَأَوْهَنُوا الْإِسْلَامَ، وَعَظَّلُوا الْجِهَادَ، وَعَمِلُوا فِي الْفُرْقَةِ، وَخَالَفُوا الْآثَارَ، وَتَكَلَّمُوا بِالْمَنْسُوحِ، وَاحْتَجُّوا بِالْمُتَشَابِهِ، فَشَكَّكُوا النَّاسَ فِي أَدْيَانِهِمْ^(١)، وَاخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ، وَقَالُوا: لَيْسَ هُنَاكَ عَذَابُ قَبْرِ، وَلَا حَوْضٌ، وَلَا شَفَاعَةٌ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ لَمْ يُخْلَقَا، وَأَنْكَرُوا كَثِيرًا مِمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَحَلَّ مَنْ اسْتَحَلَّ تَكْفِيرَهُمْ وَدِمَاءَهُمْ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ؛ لِأَنَّهُ مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ رَدَّ الْكِتَابَ كُلَّهُ، وَمَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ رَدَّ الْأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

فَدَامَتْ لَهُمُ الْمُدَّةُ، وَوَجَدُوا مِنَ السُّلْطَانِ مَعُونَةً عَلَى ذَلِكَ، وَوَضَعُوا السَّيْفَ وَالسَّوْطَ عَلَى مَنْ دُونَ ذَلِكَ، فَدَرَسَ عِلْمُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَأَوْهَنُوهَا^(٢)، فَصَارُوا^(٣) مَكْتُومَتَيْنِ لِإِظْهَارِ الْبِدْعِ وَالْكَلامِ فِيهَا، وَلَكَثَرَتِهِمْ، وَاتَّخَذُوا الْمَجَالِسَ وَأَظْهَرُوا رَأْيَهُمْ، وَوَضَعُوا فِيهِ الْكُتُبَ، وَأَطْمَعُوا النَّاسَ^(٤)، وَطَلَبُوا لَهُمُ الرَّئَاسَةَ، فَكَانَتْ فِتْنَةً عَظِيمَةً، لَمْ يَنْجُ مِنْهَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ، فَأَدْنَى مَا كَانَ يُصِيبُ الرَّجُلَ مِنْ مُجَالَسَتِهِمْ أَنْ يَشُكَّ فِي دِينِهِ، أَوْ يُتَابِعَهُمْ، أَوْ يَرَى رَأْيَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَلَا يَدْرِي^(٥) أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ، أَوْ عَلَى الْبَاطِلِ، فَصَارَ شَاكًّا، فَهَلَكَ الْخَلْقُ حَتَّى كَانَ أَيَّامَ جَعْفَرِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الْمُتَوَكِّلُ^(٦)؛ فَأَظْفَأَ اللَّهُ بِهِ الْبِدْعَ، وَأَظْهَرَ بِهِ الْحَقَّ، وَأَظْهَرَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَطَالَتْ أَلْسِنَتُهُمْ، مَعَ

(١) وفي نسخة الراددي: (فشككوا الناس في آرائهم وأديانهم).

(٢) وفي نسخة الراددي: (وأوهنوها).

(٣) وفي نسخة الراددي: (فصارتا).

(٤) وفي طبعة الثالثة: (وأطغوا الناس).

(٥) وفي نسخة الراددي: (ولا يدري أنه على الحق).

(٦) قال الشيخ الراددي -وفقه الله-: هو الخليفة العباسي المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن المعتمد

بالله بن محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور القرشي العباسي البغدادي توفي رَحِمَهُ اللَّهُ

سنة (٢٤٧) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣٠ / ١٢) والشذرات (٢ / ١١٤). اهـ

قَلَّتْهُمْ^(١) وَكَثْرَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا^(٢).

وَالرَّسْمُ وَأَعْلَامُ الضَّلَالَةِ قَدْ بَقِيَ مِنْهُمْ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ بِهَا، وَيَدْعُونَ إِلَيْهَا، لَا مَانِعَ يَمْنَعُهُمْ، وَلَا أَحَدٌ يَحْجُزُهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ [١].

[١] نقل المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فِي هذه الفقرة تكفير الجهمية، وأنهم ليسوا من أهل القبلة، وأنهم حلال الدم بأقوالهم الفظيعة التي خالفوا بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقد جمع الجهمية كل شر، فأنكروا صفات الله، وأنكروا أسمائه، وجعلوا معبودهم بمنزلة الجماد الذي لا يتكلم، ولا يسمع ولا يبصر، وقالوا: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وقالوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى فِي الْآخِرَةِ وَأَنْكَرُوا الْقَدْرَ وَزَعَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَيْسَتَا مَخْلُوقَتَيْنِ الْآنَ، وَأَنْكَرُوا السَّيِّئَةَ وَاسْتَحَلُّوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْكَرُوا الْحَوْضَ، وَالشَّفَاعَةَ، وَأَنْكَرُوا عَذَابَ الْقَبْرِ، وَاسْتَذَلُّوا أَوْلِيَاءَ اللَّهِ بِضُرْبِهِمْ لَجُلُودِهِمْ، وَسَجَنَهُمْ لَهُمْ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَكْفِي بَعْضُهَا فِي تَكْفِيرِهِمْ، فَكَانَ هَذَا هُوَ السَّبَبُ بَلْ قَالُوا أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ، فَأَنْكَرُوا أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ وَزَعَمُوا أَنَّ اللَّهَ مُخْتَلِطٌ بِخَلْقِهِ أَوْ حَالٌّ فِيهِمْ.

فَقَدْ أَثَرُ أَنَّ الْجَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ لَقِيَ قَوْمًا مِنَ الدَّهْرِيَّةِ، فَشَكَّكَوهُ فِي رَبِّهِ، فَجَلَسَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا شَاكًا لَمْ يَصِلْ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ وَزَعَمَ أَنَّهُ وَجَدَ الْحَقِيقَةَ، وَأَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْهَوَاءُ الْمَطْلُوقُ، وَهُوَ كُلُّ مَخْلُوقٍ يُرَى... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْكُفْرِيَّاتِ الَّتِي لَا حَصْرَ لَهَا.

وَقَدْ انْطَلَى مَذْهَبُ الْمَعْتَزِلَةِ عَلَى الْمَأْمُونِ بِوَسْاطَةِ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دَوَادٍ، فَحَمَلَهُ وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ يَحْمِلُ الْعُلَمَاءَ عَلَى قَبُولِ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، فَوَقَعَتْ فِتْنَةٌ لَا حَصْرَ لَهَا ثَبِتَ فِيهَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، فَضُرِبَ حَتَّى أَعْمِيَ عَلَيْهِ وَانْخَلَعَتْ يَدُهُ وَبَقِيَ فِي السَّجْنِ مَا يَقَارِبُ سِتِّينَ، وَمَنْعَ مِنَ التَّحْدِيثِ، وَبَقِيَتْ هَذِهِ الْفِتْنَةُ زَمَنَ ثَلَاثَةِ مِنَ الْخُلَفَاءِ هُمُ الْمَأْمُونُ، وَالْمَعْتَصِمُ، وَالْوَاتِقُ.

(١) أي يقول الحق، والصدع به.

(٢) أي في زمن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ، وما يزال الحق وأهله منصورين - بإذن الله - في كل زمان ومكان ما عاد الناس إلى ربهم عودة صادقة.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَمْ تَجِ زَنْدَقَةٌ^(١) قَطُّ إِلَّا مِنَ الْهَمَجِ الرَّعَاعِ، أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، يَمِيلُونَ
مَعَ كُلِّ رِيحٍ، فَمَنْ كَانَ هَكَذَا فَلَا دِينَ لَهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾^(٢) [الجاثية: ١٧]. وَهُمْ عُلَمَاءُ السُّوءِ أَصْحَابُ^(٣) الطَّمَعِ [١].

فلما تولى الخلافة المتوكل على الله أطلق سراح السجناء في مثل هذه البدعة وأكرم
الإمام أحمد إكرامًا كثيرًا جدًا، وأكرم أهل السنة فانقمع الباطل وظهرت السنة ووجد أهلها
متنفسًا، والحمد لله رب العالمين.

وبسبب هذا فقد سلبت منهم السلطة -يعني: بني العباس- فكان الخليفة يوضع اسمًا
ولا يستطيع أن ينفذ شيئًا، وهذا تسليط من الله على الأمة والعقوبة نعم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.
وقوله: (لأنه من رد آية من كتاب الله فقد رد الكتاب كله، ومن رد حديثًا عن رسول الله ﷺ
فقد رد الأثر كله، وهو كافر بالله العظيم).

أقول: من رد آية من كتاب الله فقد كفر لا شك في ذلك، ومن رد حديثًا من سنة
رسول الله ﷺ ففي كفره تفصيل، وفيه نظر.

[١] تجيء الزندقة ممن لم يؤمنوا بالكتاب والسنة، وهم مع ذلك يتظاهرون بالعلم،
فإن أخذوا شيئًا من العلم، فإنما يأخذونه لأغراض دنيوية وأطماع وقتية، ومن هذا حاله فلا
يعد من العلماء.

والذي يظهر -والله أعلم- أن الناس في هذا الباب ينقسمون إلى قسمين:

١ - قسم دخلوا في الدين من أجل الكيد له والدس فيه، فهم يلقون الشبه من أجل أن
يوقعوا الغير بالشكوك.

(١) وفي نسخة الراددي: (بدعة).

(٢) ثم في نسخة الراددي زيادة آية وهي قول الله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ
الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

(٣) وفي نسخة الراددي زيادة قوله: (والبدع).

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَزَالُ النَّاسُ فِي عَصَابَةٍ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ وَالسُّنَّةِ، يَهْدِيهِمُ اللَّهُ، وَيَهْدِي بِهِمْ غَيْرُهُمْ، وَيُحْيِي بِهِمُ السُّنَنَ، فَهُمْ الَّذِينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ قَلَّتِهِمْ عِنْدَ الْاِخْتِلَافِ فَقَالَ: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾. فَاسْتَثْنَاهُمْ فَقَالَ: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»^(١) [١].

٢- قسم آخر نشئوا بين أهل الدين، لكنهم لم يؤمنوا بالدين في قرارة أنفسهم فانطلت عليهم تلك الشبه التي ألحها من كان دخولهم في الدين من أجل الكيد والدس فيه، فنشأت الزندقة بين هؤلاء أي بين هذين القسمين.

فنعوذ بالله من حال من قدم أقوال الرجال على كلام الباري وعلى سنة خير الخليقة ﷺ الذي أخبر الله ﷻ أَنَّهُ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

والزندقة: هي الخروج عن الأديان والقول بعدم التكليف، والذين يزعمون بأن الإنسان حرٌّ يختار ما يشاء وهي مقارنة للعلمانية^(٢) أو قريبة منها.

[١] وأقول: هذه الفقرة خاصة بوصف الطائفة المنصورة التي أخبر الرسول ﷺ عنها بقوله: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ أَوْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ

(١) الحديث ورد بلفظ العصابة ولفظ الطائفة؛ فأما بلفظ العصابة فمن عدة طرق منها ما أخرجه الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَسْنَدِ بَاقِي الْمَكْتَرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ بِرَقْمِ الْحَدِيثِ ٨١٢٨ وَذَلِكَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَزَالَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَصَابَةٌ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، وَمَا أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ مُسْلِمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِ الْإِمَارَةِ بَابِ لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي.. مِنْ حَدِيثِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَلَفْظًا: «لَا تَزَالُ عَصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يِقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ».

(٢) العلمانية: هي فصل الدين عن شئون الحياة وعزله في الضمير وفي الكنيسة أو نبذ الدين كله.

الله وهم ظاهرون على الناس»^(١) رواه مسلم وغيره.

والتي جاءت في قوله في حديث الافتراق: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثلثان وسبعون في النار». قيل: يا رسول الله، من هم؟ قال: «الجماعة».

وفي رواية: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(٢).

وليس أحد من المليين -المليين: أتباع الملة المحمدية- على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه إلا أصحاب الحديث، وأتباع الأثر، وقرر أهل العلم من السلف بأن الطائفة المنصورة هم أصحاب الحديث، وهم الذين ينجون من كل فتنة، ويفندون كل شبهة ويردون كل ضلالة بما قال الله ﷻ، وقال رسوله ﷺ، وما قاله سلف الأمة. نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يوفقنا لأعمالهم، وأن يحشرنا في زميرتهم؛ إنه جواد كريم.

(١) وأما ورود الحديث فيه بلفظ الطائفة كما في هذه الصفحة فقد أخرج هذه الرواية الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمامة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، وكذا في كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ وأخرج بنحوه أيضاً البخاري بدون ذكر لفظ الطائفة في كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وفي كتاب فرض الخمس باب قول الله تعالى: ﴿فَأَن لِّلَّ خُمُسُهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ يعني للرسول قسم ذلك قال رسول الله ﷺ: إنما أنا قاسم وخازن، والله يعطي.

وفي كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

وَأَعْلَمَ أَنَّ الْعِلْمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرَّوَايَةِ وَالْكِتَابِ، وَلَكِنَّ الْعَالِمَ مَنْ اتَّبَعَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ^(١)، وَإِنْ كَانَ قَلِيلَ الْعِلْمِ وَالْكِتَابِ، وَمَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَهُوَ صَاحِبُ بَدْعَةٍ وَإِنْ كَانَ كَثِيرَ الرَّوَايَةِ^(٢) وَالْكِتَابِ [١].

[١] وأقول: إنَّ العلم هو في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، وما خالف ذلك فهو جهلٌ وضلالةٌ وبدعٌ، فمن زعم أنه على الحق وأنه على الطريق السوي المستقيم فينظر في أقواله وأفعاله وفي أمره ونهيه هل هو متبعٌ للكتاب والسنة أو متبعٌ لغيرهما؟ فإن كان قد خلط اتباع الكتاب والسنة بغيره، فإنه يعدُّ من أصحاب البدع، وإن كان كثير التأليف وكثير الرواية.

والحق هو اتباع الأثر كما قال الله -جلَّ وعلا-: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وكما قال ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رِجَالًا مَوْظُوعِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِيُأْذِنُوا لَكُمْ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ كَفَرَ بِهِ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الحشر: ٧].

وكما قال النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظةً بليغةً ذرفت منها العيون، ووجلّت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً؛ فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٣). وكقوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله، ومن أبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»^(٤).

(١) وفي نسخة الراددي: (إنما العالم من اتبع العلم والسنن).

(٢) وفي نسخة الراددي: (وإن كان كثير العلم والكتب).

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

وكما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: كنا عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل. قال: تلك تكفرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟

قال حذيفة: فأسكت القوم فقلت: أنا. قال: أنت لله أبوك! قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه» ^(١) رواه مسلم.



(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمته الله في كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يارز بين المسجدين.

وَاعْلَمَ أَنَّ مَنْ قَالَ فِي دِينِ اللَّهِ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَتَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ مِنَ السُّنَّةِ
وَالْجَمَاعَةِ فَقَدْ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ، وَمَنْ قَالَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُ فَهُوَ مِنَ
الْمُتَكَلِّفِينَ، وَالْحَقُّ مَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَجَلَّ، وَالسُّنَّةُ: سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْجَمَاعَةُ:
مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، وَمَنْ اقْتَصَرَ
عَلَى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ وَالْجَمَاعَةُ فَلَجَّ عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ كُلِّهَا،
وَاسْتَرَحَ بَدْنُهُ وَسَلِمَ لَهُ دِينُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -؛ لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي».
وَبَيَّنَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ النَّاجِي مِنْهَا فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»^(١). فَهَذَا هُوَ
الشَّفَاءُ وَالْبَيَانُ وَالْأَمْرُ الْوَاضِحُ، وَالْمَنَارُ الْمُسْتَقِيمُ^(٢)، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ
وَالْتَّعَمُّقُ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّنَطُّعُ، وَعَلَيْكُمْ بِدِينِكُمُ الْعَتِيقُ»^(٣) [١].

[١] قوله: (واعلم أن من قال في دين الله برأيه، وقياسه، وتأوله من غير حجة من
السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لم يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من
المتكلفين).

أقول: لقد ذمَّ الله ﷻ القول عليه بغير علم، وجعله مساوياً للشرك بالله ﷻ قال الله
تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ
يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فالقول على الله هو القول في كتابه بغير علم، والقول في شرعه بغير علم هذا حرام؛
فلا يجوز الكلام في الشرع إلا من حملة الشرع الذين يعرفون كتاب الله، ويعرفون دليل كل

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) وفي نسخة الراددي: (والمنازل المستنير).

(٣) الشيخ أبو ياسر الراددي وفقه الله: جاء هذا من قول ابن مسعود وليس من قول النبي ﷺ أخرجه عبد
الرزاق في السنة (٨٥) والطبراني في الكبير (٩/ ١٨٩)، واللالكائي في السنة (١٠٨)، والبيهقي في
المدخل (٣٨٧، ٣٨٨)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٥٢/ ١)، والخطيب في الفقيه
والمتمفقه (٤٣/ ١) وهو صحيح.

مسألة من المسائل الشرعية.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الدِّينَ الْعَتِيقَ: مَا كَانَ مِنْ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَتْلِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ قَتْلُهُ أَوَّلَ الْفُرْقَةِ وَأَوَّلَ الْاِخْتِلَافِ، فَتَحَارَبَتِ الْأُمَّةُ، وَتَفَرَّقَتْ وَاتَّبَعَتِ الطَّمَعَ وَالْأَهْوَاءَ، وَالْمَيْلَ إِلَى الدُّنْيَا [١].

قوله: (والحق ما جاء من عند الله ﷻ، والسنة ما سنَّه رسول الله، والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان).

أقول: إنَّ ما قاله المؤلف هو عين الصواب، فالحق ما جاء من عند الله ﷻ، والسنة ما سنَّه رسول الله ﷺ، والجماعة ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في عهد الخلفاء الراشدين وما بعدهم، وإنَّ خلافة عليٍّ ومعاوية كانت على الحقِّ إلَّا من شذَّ، وكذلك الدين ما زال مستقيمًا، وإنَّ شذَّ الشواذ في الثلاثة القرون^(١) التي انتهت بمائتين وعشرة هجرية، ثمَّ دخل القرن الرابع، وبدأ الامتحان بالقول بخلق القرآن، إلَّا أنَّ السواد الأعظم وأهل الحديث ما زالوا على الحق، وكذلك أهل الحديث الذين يتبعون الأثر في كل الأزمنة، فهم على الحق دائمًا كما أخبر النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»^(٢)، وهذه الطائفة هي التي أشار إليها النبي ﷺ في حديث الافتراق بقوله: «هم الجماعة» أو: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(٣).

[١] أقول: إنَّ ما وصف به المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الدِّينَ الْعَتِيقَ [أي القديم] بذلك؛ لأنَّه في هذا الزمن لم يكن اختلاف؛ أي: بعد وفاة النبي ﷺ، وكانت الكلمة واحدة، ولكن كان

(١) ما المقصود بالقرون هنا؟ قال شيخنا النجفي: هذا باعتبار أنَّ القرن هم الجماعة من الناس يشتركون في عصرٍ واحد وتحديدده بسبعين سنة لحديث: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك» رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب في دعاء النبي ﷺ وابن ماجه في كتاب الزهد باب في الأمل والأجل، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح الجامع ج ١ / ٢٤٣ برقم الحديث ١٠٧٣.

(٢) الحديث سبق تخريجه

(٣) الحديث سبق تخريجه.

الشیطان حریصاً علی التفریق، فانبعث ابن السوداء اليهودی الخبیث یشیع التفریق،
ویتکلم

فی الخلفاء وبالأخص فی عثمان رضی اللہ عنہ، ویزعم أن الخلافة كانت لعلی رضی اللہ عنہ، وأن أبا بکر
وعمر وعثمان رضی اللہ عنہم كانوا مغتصبین لها.

وهو أول من أشاع الوصاية لعلی رضی اللہ عنہ، فبذر أول بذور الخلاف بدعوته السرية،
ونقده لعثمان بن عفان رضی اللہ عنہ - فيما يزعم - وأنه عمل وعمل، كقولهم أنه أتم الصلاة بمنی،
وقولهم أنه طرد أبا ذر من المدينة، وغير ذلك من الأمور التي كان يتكئ علیها عبد الله بن
سبأ - علیه لعائن الله - من أجل أن یبغض عثمان رضی اللہ عنہ إلى الناس.

فاستجاب له من استجاب، وهم الخوارج؛ أي: أول نشأة الخوارج، فتكاتبوا،
وجاءت فرقة من مصر وفرقة من العراق إلى غیر ذلك، فاجتمعوا فی المدينة وكلمهم
بعض الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضی اللہ عنہ، ثم خرجوا فسافروا یومین، ثم رجعوا وزعموا
أنهم وجدوا کتاباً من عثمان رضی اللہ عنہ بقتل محمد بن أبي بکر رضی اللہ عنہ، فحصروا عثمان فی داره حتی
أدى بهم الأمر إلى أن قتلوه.

فالمؤلف وصف الزمن الذي سبق قتل عثمان رضی اللہ عنہ وكان بعد وفاة رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم بأنه
زمن الدين العتيق، وهذه الكلمة ربما يؤخذ علی المؤلف فیها ملحظ، لأن الدين العتيق هو
كتاب الله وسنة رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم وهما باقیان، ولا شك أن هذا الزمن كان سليماً من الاختلاف
فی الظاهر، ولكن أعداء الدين الأشرار بذروا بذور الخلاف كما سمعت.

فوصف الخلاف مع أن الدين هو ما أخذ من كتاب الله وسنة رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم من
الاعتقادات والأحكام، وتلك قد استقرت بموت رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم؛ فكان ينبغي أن يعبر بعبارة
أخرى بأن يقول: إن زمن الخلفاء الراشدين رضی اللہ عنہم قبل وفاة عثمان كان هو الزمن الذي
اتفق فيه أهل الحل والعقد علی أحكام الدين، ولم يظهر فيه خلاف علی الساحة الظاهرة؛
لأن الدين الذي كان ذلك الوقت هو الدين الذي كان بعده هذا هو الأولی.

ثمَّ هناك أيضًا عليه ملحظٌ آخر في قوله: (فتحاربت الأمة وافتترقت واتبعت الهوى والطمع والميل إلى الدنيا).

والذي نعتقده: أنَّ الصحابة رضي الله عنهم الذين اشتركوا في هذه الفتنة كانوا مرغمين على الاشتراك فيها، ولم يكن يحدوهم إلى ذلك طمع ولا هوى، ولا رغبة في الدنيا، ولكن اختلفت آراؤهم فيما يضمن المصلحة ويرأب الصدع، ويجمع الكلمة بعد قتل عثمان، فأدَّى ذلك إلى الاختلاف ثم إلى القتال.

فمعاوية يقول: لا أبايع حتى يخرج إليَّ عليُّ قتلة عثمان فأقتلهم به ثم أبايع، وعلي رضي الله عنه يقول: لا نستطيع أن نأخذ قتلة عثمان في الحالة الراهنة، ولكن ينبغي لمعاوية أن يبايع، فإذا بايع معاوية واجتمعت الكلمة عند ذلك نأخذ قتلة عثمان شيئاً بعد شيء.

ومن أجل هذا كان الافتراق، مع العلم أنَّ أصحاب ابن سبأ حينما اجتمع عليُّ والزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم وكادوا يتفقون، وكان بعضهم في جيش عليٍّ، وبعضهم في جيش طلحة والزبير، فاتفقوا على أنَّهم يفتحون القتال في الصباح الباكر وبدءوا بالترامي، وحصل القتال على غير رغبةٍ من خيار الصحابة، فهذا تبريرٌ لجانب الصحابة رضي الله عنهم وهو الحق.

أمَّا سائر الناس، فقد يكون منهم من هو منساقٌ بالطمع والهوى، ومنهم من يريد جمع الكلمة ورأب الصدع، ولكن ذلك لا يحصل إلا من طريق القادة، فنسأل الله أن يغفر للشيخ البرهاري تعميمه هذا.

وكان الأولى أن يُخرج أصحاب النبي ﷺ من هذا التعميم، لأنَّ الصحابة الذين أثنى الله عليهم ومدحهم في كتابه لا يمكن أن يكونوا متبعين للدنيا ومحبين للافتراق ومتأثرين بالطمع والهوى؛ لأنَّ إيمانهم أعلى من ذلك بكثير، وبالله التوفيق.



وَلَيْسَ لِأَحَدٍ رُخْصَةٌ فِي شَيْءٍ أَخَذَ^(١)، مِمَّا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ يَكُونُ رَجُلٌ يَدْعُو إِلَى شَيْءٍ أَحَدْتُهُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ^(٢)، فَهُوَ كَمَنْ أَحَدْتُهُ، فَمَنْ زَعَمَ ذَلِكَ أَوْ قَالَ بِهِ فَقَدْ رَدَّ السُّنَّةَ، وَخَالَفَ الْحَقَّ وَالْجَمَاعَةَ، وَأَبَاحَ الْهَوَى^(٣)، وَهُوَ أَشْرٌ^(٤) عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ إِبْلِيسَ، وَمَنْ عَرَفَ مَا تَرَكَ أَصْحَابُ الْبِدْعِ مِنَ السُّنَّةِ، وَمَا فَارَقُوا فِيهِ فَتَمَسَّكَ بِهِ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَصَاحِبُ جَمَاعَةٍ، وَحَقِيقٌ أَنْ يَتَّبَعَ وَأَنْ يُعَانَ وَأَنْ يُحْفَظَ وَهُوَ مِمَّنْ أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ [١].

[١] قَوْلُهُ: (وليس لأحد رخصة في شيء أخذ به مما لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ).

الدليل على ذلك: قول النبي ﷺ عن الفرقة الناجية حين سئل عنها فقال: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»^(٥)، ويظهر لي من قول المؤلف هذا أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ شيئاً لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ، وهذا ربما يحتاج إلى تفصيل، فإذا كان الأمر الذي أخذ به هذا الآخذ لم يكن له نظير في عهد الصحابة، فاجتهد هذا الآخذ وقاس على بعض ما كان في عهد الصحابة، فإن هذا ينبغي أن يقال أنه جائز - إن شاء الله - إذا كان هذا القائل مؤهلاً للاجتهاد، وعالمًا بما جرى عليه الاتفاق والافتراق، وعالمًا بالنصوص الشرعية، أمّا ما عدا ذلك فينبغي للمجتهد فيه أن يتبع ما كان عليه أصحاب الرسول ﷺ. وهناك مسألة أخرى، وهو أن من اجتهد في نصّ وقال فيه بقول لم يقل فيه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلا أنه محتمل للصواب، موافق لعمومات الكتاب والسنة وما جرى عليه الصحابة، فهذا أيضًا قد يكون أنه قول مقبول - إن شاء الله - فيما أحسب والله أعلم.

(١) وفي نسخة الراددي: (ي شيء أحدثه).

(٢) وفي نسخة الراددي: (أصحاب البدع).

(٣) وفي نسخة الراددي: (وأباح البدع).

(٤) وفي نسخة الراددي: (وهو أضر).

(٥) الحديث سبق تخريجه.

وَأَعْلَمَ أَنَّ أَصُولَ الْبِدْعِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ: يَتَشَعَّبُ ^(١) مِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ اثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوًى، ثُمَّ يَصِيرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْبِدْعِ يَتَشَعَّبُ حَتَّى تَصِيرَ كُلُّهَا إِلَى أَلْفَيْنِ وَثَمَانِمِائَةٍ ^(٢) ضَلَالَةً، وَكُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً: وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ ^(٣)، وَاعْتَقَدَهُ مِنْ غَيْرِ رِيَّةٍ فِي قَلْبِهِ وَلَا شُكُوكٍ، فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَهُوَ النَّاجِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - [١].

وقوله: (أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قبله من أهل البدع فهو كمن أحدثه، فمن زعم ذلك أو قال به فقد رد السنة، وخالف الحق والجماعة وأباح الهوى، وهو أشر على هذه الأمة من إبليس).

وأقول: إن من اتبع أهل الإحداث فهو محدث، ومن جارى أصحاب البدع؛ أي: تابعهم فهو مبتدع، ومن ابتدع في الدين فقد رد السنة، وخالف الحق؛ أي: رد من السنة ما هو مخالف لبدعته ومبطل لها، ومن رد بعض السنة فإن عليه من الإثم والوزر بقدر ما خالف من الحق، وأباح فيه الهوى.

قوله: (وهو أشر على هذه الأمة من إبليس) يعني: أن إفساده قد يكون مقبولا عند كثير من الناس، فبسبب ذلك ينطلي شره؛ لأنه يمزج الحق بالباطل، والسنة بالبدعة. وأما من فارق البدع لمعرفة للنصوص التي تردّها وتمسك بالنصوص، وترك ما خالفها، فهذا ينبغي أن يؤيد ويعان وينصر؛ لأن في نصره نصراً للحق، وتركه وخذلانه ترك لنصرة الحق، وعلى من فعل ذلك من الإثم ما عليه، وبالله التوفيق.

[١] المعروف أن أصول البدع خمس، هي:

١ - بدعة الخوارج.

(١) وفي نسخة الرادى: (الشعب من هذه الأربعة).

(٢) وفي نسخة الرادى بدلاً من ضلالة: (قالة) وضلالة أصح وأوضح في العبارة لأن القالة هي النميمة كما في الحديث عند مسلم: ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة القالة بين الناس، وإن محمداً ﷺ قال:

إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقاً، ويكذب حتى يكتب كذاباً.

(٣) يقصد المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بِالْكِتَابِ كَلَامَ اللهِ (القرآن الكريم).

وَأَعْلَمَ أَنَّ النَّاسَ لَوْ وَقَفُوا عِنْدَ مُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ وَلَمْ يَتَجَاوَزُوا بِشَيْءٍ وَلَمْ يُؤَلِّدُوا كَلَامًا مِمَّا لَمْ يَحِجْ^(١) فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَا عَنْ أَصْحَابِهِ لَمْ تَكُنْ بِدْعَةً [١].

٢- بدعة الرفض.

٣- بدعة التجهم.

٤- بدعة الاعتزال.

٥- بدعة الإرجاء، هذه الخمس تشعبت منها البدع.

أَمَّا قَوْلُهُ: (أصول البدع أربعة أبواب) فلا أدري ما وجه المؤلف إِلَّا أَنْ يَكُونَ بِإِسْقَاطِ وَاحِدَةٍ مِنْ أَصُولِ الْبَدْعِ الْمَذْكُورَةِ، نَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَبْصُرَنَا بِالْحَقِّ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْعَمَلَ بِهِ وَالْمَتَابِعَةَ لَهُ. أَمَّا قَوْلُهُ: (كلها في النار إِلَّا واحدة وهي من آمن بما في الكتاب واعتقده من غير ريبة في قلبه ولا شكوك، وهو صاحب سنة وهو الناجي إن شاء الله).

وَأَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ بِمَا فِي الْكِتَابِ لَا يَدَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ الْإِيمَانِ بِمَا فِي السَّنَةِ، وَإِلَّا فَإِنَّ إِيمَانَ مَنْ آمَنَ بِالْقُرْآنِ وَلَمْ يَزُجْ بِالسَّنَةِ كَالْخَوَارِجِ يَعْتَبَرُ زَائِعًا.

وَكَانَ مِنْ حَقِّ الْمَوْئَلَفِ أَنْ يَقُولَ: وَهُوَ مَنْ آمَنَ بِمَا فِي الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَعَمِلَ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ، وَاعْتَقَدَهُ فِي قَلْبِهِ، فَهُوَ النَّاجِي، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَزُجْ بِالسَّنَةِ عَمُومًا أَوْ مِنْ لَمْ يَزُجْ إِلَّا بِالْمَتَوَاتِرِ وَلَمْ يَزُجْ بِالْأَحَادِ كَالْعَقْلَانِيِّينَ أَصْحَابِ الْمَذْهَبِ الْإِعْتِرَازِيِّ فَهَؤُلَاءِ ضَلَالٌ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ مِنْ مَسْلِكَهُمْ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

[١] وَأَقُولُ: إِنَّ الْوَاجِبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَاجِهَ أَمْرًا لَا يَعْرِفُ مَا مَوْقِفُهُ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ طَالِبَ عِلْمٍ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ وَأَقْوَالِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَاتَّبَاعِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

فَإِنْ وَجَدَ لِتِلْكَ الْمَسْأَلَةِ حَلًّا فِي كِتَابِ اللَّهِ أَوْ فِي صَحِيحِ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِهِ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ اسْتِشَارَ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ عِلْمًا، فَإِنْ وَجَدَ عَنْده حَلًّا فَذَلِكَ وَإِلَّا تَوَقَّفَ حَتَّى يَجِدَ حَلًّا لِتِلْكَ الْمَسْأَلَةِ.

(١) قَالَ شَيْخُنَا وَالصَّوَابُ: وَلَمْ يَوْجَدْ فِيهِ أَثَرٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا حَتَّى يَصِيرَ كَافِرًا؛ إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَهُ اللَّهُ، أَوْ يَزِيدَ فِي كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ يَنْقُصَ، أَوْ يُنْكِرَ شَيْئًا مِمَّا قَالَ اللَّهُ ﷻ، أَوْ شَيْئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَاتَّقِ اللَّهَ^(١)، وَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَإِيَّاكَ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَرِيقِ الْحَقِّ فِي شَيْءٍ [١].

أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ بَلْ كَانَ مِنَ الْعَامَةِ، فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ وَيَعْمَلَ بِمَا دَلَّوْهُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

وإنما يأتي الخطأ والمخالفة من أمرين:

- ١- أن يكون عنده جهلٌ مركب، فيظن أن عنده علم وليس كذلك.
- ٢- أن يغتر بأحد أصحاب البدع، ويوقعه ذلك الشخص في البدعة ومن هنا ينشأ الوقوع في البدع.

وفق الله المسلمين للرجوع إلى كتابه وسنة رسوله ﷺ، وبالله التوفيق.

[١] أقول: يكون العبد مسلماً إذا أقرَّ بأركان الإسلام بأن استيقنها بقلبه وأقرَّ بذلك بلسانه، وعمل ذلك بجوارحه، ويكون مؤمناً إذا أقرَّ بأركان الإيمان، وعمل على ضوئها راجياً ثواب الله ﷻ، وخائفاً من عقابه، ثم إنَّه قد يصير كافراً إذا جحد شيئاً مما أنزل الله، أو جحد حكماً مجمعاً عليه وأنكره، فإنَّه في هذه الصورة يكون قد ارتدَّ عن الإسلام. أمَّا إن عمل بذلك الشيء وهو مقرُّ بوجوبه، كأن يعمل محرماً وهو مقرُّ بحرمة كالربا والزنا وشرب الخمر وما أشبه ذلك، فإنَّه لا يخرج عن الإسلام بل يكون مسلماً فاسقاً.

أمَّا إذا جحد فرضاً مجمعاً على فرضيته كالصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وما أشبه ذلك فهو إذا فعل ذلك كفر، لكن إذا ترك هذا المفروض وهو معترفٌ بأنَّه فرضٌ وواجبٌ عليه وعلى

(١) وفي نسخة الراددي (فاتق الله رحمك الله).

غيره، فإنه لا يكفر إلا فيما نصت النصوص الشرعية على أن تركه كفر كالصلوات الخمس.

أمّا ما عدا ذلك فإنه لا يكفر بتركه إلا إذا صحبه الجحد وعدم الإقرار بالوجوب أو الحرمة، ومن كان مقرراً بالوجوب العيني أو الكفائي، ولكنه ترك هذا الواجب تكاسلاً فإنه لا يكفر بذلك كما أنه لا يكفر بفعل المحرم إلا إذا صحبه الجحد.

والدليل على ذلك: من حديث أبي هريرة قال: أتى النبي ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فمنا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله، ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله! فقال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا عون الشيطان على أخيك»^(١) رواه البخاري فسمّاه أحمًا مع شربه للخمر.

وقد أجمع أهل السنة والجماعة أن ارتكاب الكبائر لا يترتب عليه كفر إلا إذا صحبه جحد، وقد ذهب الخوارج إلى كفر من ترك فرضاً أو فعل محرماً ولو لم يجحد وحكموا عليه بالتخليد في النار، وذهب المعتزلة أيضاً إلى أنه بذلك يكون في منزلة بين المنزلتين التي هي الكفر والإيمان، وحكموا بتخليده أيضاً في النار.

أمّا أهل السنة والجماعة، فإنهم يعتقدون جميعاً أن الكبائر لا توجب كفراً وأن صاحبها يكون فاسقاً ملئياً، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة بدون عذاب، وإن شاء عذبه في النار بقدر جنايته ثم تكون نهايته الجنة.

وقد حذر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الْغُلُو؛ لأن الغلو سبب في الوقوع في مثل هذه المآزق، والله تعالى يقول: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١] ونحن مخاطبون بما خاطب الله به أهل الكتاب، وبالله التوفيق.



(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة.

وَجَمِيعُ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ فَهُوَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَعَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَنِ
التَّابِعِينَ وَعَنِ الْقُرْنِ الثَّالِثِ إِلَى الْقُرْنِ الرَّابِعِ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا عَبْدَ اللَّهِ، وَعَلَيْكَ بِالتَّصَدِيقِ
وَالْتَّسْلِيمِ وَالتَّفْوِيزِ وَالرِّضَا لِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَلَا تَكْتُمُ هَذَا الْكِتَابَ أَحَدًا مِنْ
أَهْلِ الْقِبْلَةِ فَعَسَى يَرُدُّ اللَّهُ بِهِ حَيْرَانًا عَنْ حَيْرَتِهِ، أَوْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ عَنْ بِدْعَتِهِ، أَوْ ضَالًّا
عَنْ ضَلَالَتِهِ فَيَنْجُو بِهِ، فَاتَّقِ اللَّهَ، وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الْأَوَّلِ الْعَتِيقِ، وَهُوَ مَا وَصَفْتُ لَكَ فِي
هَذَا الْكِتَابِ، فَارْحَمِ اللَّهَ عَبْدًا، وَارْحَمِ وَالِدَيْهِ، قَرَأَ هَذَا الْكِتَابَ، وَبَثَّه، وَعَمِلَ بِهِ، وَدَعَا
إِلَيْهِ، وَاحْتَجَّ بِهِ، فَإِنَّهُ دِينُ اللَّهِ وَدِينُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَحَلَّ شَيْئًا خِلَافَ مَا فِي
هَذَا الْكِتَابِ فَإِنَّهُ لَيْسَ يَدِينُ اللَّهَ بَدِينٍ، وَقَدْ رَدَّ كُلَّهُ؛ كَمَا لَوْ أَنَّ عَبْدًا آمَنَ بِجَمِيعِ مَا قَالَ
اللَّهُ ﷻ إِلَّا أَنَّهُ شَكَّ فِي حَرْفٍ فَقَدْ شَكَّ^(١) فِي جَمِيعِ مَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى، وَهُوَ كَافِرٌ؛ كَمَا
أَنَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا تُقْبَلُ مِنْ صَاحِبِهَا إِلَّا بِصَدَقِ النِّيَّةِ وَخَالِصِ الْيَقِينِ؛ كَذَلِكَ
لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا مِنَ السُّنَّةِ فِي تَرْكِ بَعْضٍ، وَمَنْ تَرَكَ مِنَ السُّنَّةِ شَيْئًا فَقَدْ تَرَكَ السُّنَّةَ
كُلَّهَا^(٢)، فَعَلَيْكَ بِالْقَبُولِ، وَدَعْ عَنْكَ الْمُمَاحِلَةَ وَاللَّجَاجَةَ^(٣)، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ فِي
شَيْءٍ، وَزَمَانُكَ - خَاصَّةً - زَمَانُ سُوءٍ فَاتَّقِ اللَّهَ [١].

[١] وأقول: رحم الله الشيخ، وغفر لي وله ولكل قارئٍ قرأ كتابه، إنَّ هذه مبالغةٌ يغفر الله
للمؤلف فيها؛ فإنَّ الله لم يوجب الإيمان بكتابٍ؛ أي: بكل ما في ذلك الكتاب إلا كتابه ﷺ.
وحتى سنة النبي ﷺ لا يجب الإيمان إلا بما صحَّ منها، وثبت عن رسول الله ﷺ،
وليس يجب الإيمان بكل ما نسب إلى رسول الله ﷺ؛ لأنَّه ليس كل ما نسب إليه يكون
صحيحًا عنه - صلوات الله وسلامه عليه -؛ ولهذا قال ﷺ: «من كذب علي متعمداً فليتبوأ

(١) وفي نسخة الراددي: (فقد ردَّ).

(٢) وفي نسخة الراددي: (ومن ترك من السنة شيئاً فقد ترك السنة كلها).

(٣) وفي نسخة الراددي: (ودع عنك المحك واللجاجة).

مقعه من النار»^(١) رواه البخاري، ومسلم.
وإن قول المؤلف: (أنه من استحَلَّ شيئاً خلافاً لما في هذا الكتاب فإنه ليس يدين الله
بدين وقد رده كله).

هذه المبالغة لا يوافقه عليها الراسخون من أهل العلم، فإنه لا يستطيع أن يضمن بأن
كل ما في كتابه حق، فقد يلتبس على العبد الحق بالباطل، وقد يظن الإنسان ولو كان عالماً
جليلاً ومجتهداً بارعاً قد يعتقد أن ذلك الشيء حق وهو باطل أو فيه شيء من الباطل.
وإن هذه المبالغة كان ينبغي للمؤلف ألا يقولها، وكلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله
ﷺ، وكلُّ يجوز عليه الخطأ إلا من لا ينطق عن الهوى، والحق غالباً يكون بين الإفراط والتفريط
والغلو والتقصير، رحم الله أبا محمد الحسن بن علي البربهاري.
أما القرآن فإنه كله حق، ومن شك في كلمة من كلماته أو في حرف من حروفه ولم
يعتقد صحتها فإنه يكفر إذا كان هذا الحرف متفقاً عليه في القراءات السبع.
وأما قوله: (كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا بصدق النية،
وخالص اليقين).

وأقول: لا شك أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صاحبها إلا إذا اجتمعت فيها
الشروط، وهذه ثلاثة شروط وهي: الصدق والإخلاص واليقين^(٢)، ذلك لأن من ترك

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي ﷺ وفي كتاب الجنائز
باب ما يكره من النياحة على الميت، وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل، وفي
كتاب الأدب باب من سمى بأسماء الأنبياء، وقال أنس قبل النبي إبراهيم ﷺ يعني ابنه. وأخرجه
الإمام مسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ، وفي كتاب الزهد والرفاق باب
التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

(٢) وأيضاً من شروط لا إله إلا الله: العلم بمعناها، والقبول، والانقياد، والمحبة، وقد جمع هذه الشروط
السبعة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رَحِمَهُ اللهُ فِي منظومته سلم الوصول ثم قام بشرحها في كتابه
معارج القبول بشرح سلم الوصول في (ج ٢/ ٤١٨):

شيئاً

من هذه الشروط بطلت شهادته لفقد واحدٍ منها.

أما قوله: (ومن خالف وردَّ من السنة شيئاً فقد ردَّ السنة كلها).

فهذا القول فيه تفصيل: فإن كان ردَّ شيئاً من السنة لتأويل أو ردَّ شيئاً شكَّ في ثبوته،

فهذا لا يكفر، وإنما يكفر من ردَّ شيئاً مجمعاً عليه من السنة بغير تأويل.

قوله: (فعليك بالقبول، ودع عنك المحال واللجاجة) المحال هو: المماحلة في

الحق والمجادلة فيه، واللجاجة هي: كثرة الكلام.

قوله: (فإنه ليس من دين الله في شيء) يعني أن الحق يكون في غير اللجاجة

والمجادلة إذا كانت بالباطل، ونصرة له.

قوله: (وزمانك خاصة زمان سوء).

وأقول: إذا كان هذا في القرن الرابع الهجري فكيف في زمننا، والذي يجب على

=

وبشروطٍ سبعة قد قيدت	وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإنه لم ينتفع قائلها	بالنطق إلا حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول	والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة	وفقك الله لما أحبه

ثم ذكر العلماء -رحمهم الله- شرطاً ثامناً من شروط لا إله إلا الله وهو الكفر بما يعبد من دون الله واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾

[البقرة: ٢٥٦]، وبقوله ﷺ: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه

على الله» رواه مسلم وقد جمعت هذه الشروط الثمانية في بيتين قيل فيها:

علم يقين وإخلاص وصدقك مع	محبة وانقياد والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما	سوى الإله من الأوثان قد ألها

المسلم التسليم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بدون مجادلة فيها ومماثلة لإبطال معانيها. فَإِذَا وَقَعَتِ الْفِتْنَةُ فَالْزَمْ جَوْفَ بَيْتِكَ، وَفَرِّ مِنْ جَوَارِ الْفِتْنَةِ، وَإِيَّاكَ وَالْعَصَبِيَّةَ، وَكُلُّ مَا كَانَ مِنْ قِتَالٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الدُّنْيَا فَهُوَ فِتْنَةٌ فَاتَّقِ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا تَخْرُجْ فِيهَا وَلَا تُقَاتِلْ فِيهَا، وَلَا تَهْوَى وَلَا تُشَايِعَ وَلَا تُمَآيِلَ، وَلَا تُحِبَّ شَيْئًا مِنْ أُمُورِهِمْ، فَإِنَّهُ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ فِعَالٌ قَوْمٍ -خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا- كَانَ كَمَنْ عَمِلَهُ، وَفَقَّنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَرْضَاتِهِ، وَجَنَّبَنَا وَإِيَّاكُمْ مَعَاصِيَهُ [١].

وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» ^(١) متفق عليه، وبالله التوفيق.

[١] وبعد فهنا حث من المؤلف على لزوم الإنسان بيته عند الفتنة أخذًا بحديث محمد بن مسلمة، وغيره من الأحاديث.

مثل حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال: «أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك» ^(٢) رواه الإمام أحمد والترمذي وقال عنه: حديث حسن.

وفي ذلك التحذير من مقارفة الفتنة، وإعانة أهلها أو الاشتراك فيها، أو الرضا بعمل من

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب منه آيات محكمات، وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند باقي الأنصار برقم الحديث ٢١٧٣٢ وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان، وقد صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج ١ / ٢٩٥ برقم الحديث ١٣٩٢ وقال انظر السلسلة الصحيحة برقم ٨٩٠.

يحركها ويثيرها؛ حتى لقد أمر النبي ﷺ من أدركها أن يكف يده، ويلزم بيته حتى قال: «إن

وَأَقِلَّ مِنَ النَّظَرِ فِي النُّجُومِ، إِلَّا مَا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ، وَاللهُ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ، فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الزُّنْدَقَةِ [١].

خشيت أن يبهرك شعاع السيف، فألق طرف رداك على وجهك، فبيوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار»^(١) رواه أبو داود، وأحمد، وابن ماجه واللفظ له. ومن الآثار المأثورة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إنَّهَا ستكون أمورٌ مشتهات؛ فعليكم بالتؤدة فإنَّك إن تكن تابعا في الخير خيرا من أن تكون رأسا في الشر»^(٢).

[١] أقول: النظر في النجوم وتعلم علم النجوم ينقسم إلى قسمين:

١- علم تسيير: وهو العلم الذي تعرف به المنازل، وأوقات الزراعة، وما أشبه ذلك، فهذا جائز.

٢- علم التأثير: وهو ما يقوله المنجمون من أن النجوم لها تأثير في وقائع الأرض، وما يحوي ذلك من كتب مضلة كشمس المعارف، وأبي المعشر الفلكي وغير ذلك التي يقول مؤلفوها: من تزوج في ليلة كذا عند اقتران القمر بكذا حصل له كذا، ومن سافر في ليلة كذا حصل له كذا، وهذا فيه الكفر والشرك الأكبر، إذ إنه مزدوج بالطلاسم والاستغاثة بالجن. وكل ذلك شرك وكفر، وتحكم في علم الغيب وعلم الغيب لله وحده عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول.

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في الفتن والملاحم باب النهي عن السعي في الفتنة، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن باب التثبت في الفتنة، وأخرجه الإمام أحمد في مسند الأنصار برقم ٢٠٩٣٤، والحديث صححه الإمام الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه رحمته الله في الباب السابق الذكر، وأحال أيضًا في هذا إلى الإرواء برقم الحديث ٢٤٥١ فمن شاء فليرجع إليه.

(٢) الأثر سبق تخريجه.

وقد جاء في الأثر عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]، خلق الله هذه النجوم لثلاث: جعلها زينة للسماء، ورجومًا للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما

وَأَيَّاكَ وَالنَّظَرَ فِي الْكَلَامِ، وَالْجُلُوسَ إِلَى أَصْحَابِ الْكَلَامِ، وَعَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَأَهْلِ الْآثَارِ، وَإِيَّاهُمْ فَاسْأَلْ، وَمَعَهُمْ فَاجْلِسْ، وَمِنْهُمْ فَاقْتَبَسْ [١].

لا علم له به^(١) رواه البخاري.

وأقول: إنَّ علم الغيب والتأثير في الكون وتقدير وقائعه قد كتبها الله في اللوح المحفوظ، وأخبر بأنَّ علم الغيب إليه وحده، وأنَّ مقادير هذا الكون هي مقدرة بإرادته؛ فمن زعم أنَّ النجوم لها تأثير في حياة الناس فقد خرج من الإسلام وكفر كفرًا يحتم عليه الخلود في النار وحرمان الجنة.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

فالواجب على المسلم: أن يكون متبعًا لما جاء به النبي ﷺ، مؤمنًا بأنَّ التصرف في الكون لله رب العالمين دون سواه، وبالله التوفيق.

[١] قد ورد عن السلف -رحمهم الله- التحذير من الكلام من تعلمه وتعليمه والنظر فيه. والكلام: وهو علم المنطق المأخوذ عن الفلاسفة، لهذا جاء عن الشافعي رَحِمَهُ اللهُ أَنَّهُ قَالَ: «حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام»^(٢)، وكم ندم الذين اشتغلوا فيه

(١) الأثر عن قتادة رَحِمَهُ اللهُ أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في باب النجوم من كتاب بدء الخلق.

(٢) انظر شرح ابن أبي العز للعقيدة الطحاوية ص ١٧ ثم ذكر المحققان الشيخان عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط إلى أنَّ الأثر عزاه البيهقي في مناقب الشافعي ١/ ٤٦٢ والخطيب في شرف أصحاب

وأمضوا أعمارهم في النظر في الكتب التي تعج بالكلام والمنطق، ندموا عند الموت وتحسروا حين لا ينفع التحسر؛ فقال بعضهم: ليتني أموت على دين العجائز^(١).
وَأَعْلَمَ أَنَّهُ مَا عُبِدَ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِثْلَ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَطَرِيقِ الْخَوْفِ^(٢)
وَالْحَذَرِ وَالشَّفَقَاتِ وَالْحَيَاءِ مِنَ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-، وَاحْذَرُ أَنْ تَجْلِسَ مَعَ مَنْ يَدْعُو
إِلَى الشَّوْقِ وَالْمَحَبَّةِ، وَمَنْ يَخْلُو مَعَ النِّسَاءِ وَطَرِيقِ الْمَذْهَبِ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كُلَّهُمْ عَلَى
ضَلَالَةٍ [١].

ولقد أفتى ابن الصلاح وكثير من العلماء أفتوا بتحريمه والنظر فيه^(٣)، وبالله التوفيق.
[١] وأقول: إنَّ هذا المقطع في هذه الفقرة تعريضٌ بالصوفية، وتحذيرٌ منهم ومن
أعمالهم السيئة وسلوكياتهم الضالة ومذاهبهم المأفونة؛ فإنَّ أقوالهم وأعمالهم كلها ضلال
ورجس، وفساد، وحدة وجود، وعشق كاذب، ومقالات كاسدة فاسدة تناقلها بعضهم عن بعض.
فليس هناك أضل ممن شبه ربه بمنكوحة كما يقرر ذلك ابن عربي^(١) -عليه لعائن الله-.

=

الحديث ١٦٨ وابن حجر في توالي التأسيس ص ٦٤ والذهبي في السير ١٠/٢٩.

(١) لقد مرَّ معنا الحديث عن نحو ذلك من العبارات التي رجع فيها بعض الذين تأثروا بعلم الكلام إلى
منهج أهل السنة.

(٢) وفي نسخة الراددي: (وطريق الخوف والحزن).

(٣) نقل الشيخ الراددي نقولاتٍ عن السلف فيها ذم تعلم علم الكلام ومجالسة أهله ص ١١٠ من تحقيقه
لمتن البرهاري رَحِمَهُ اللهُ مما يدل ذلك على تحريم تعلمه من ذلك: قول الشافعي رَحِمَهُ اللهُ: لئن بيتلوا
العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خيرٌ له من أن ينظر في علم الكلام. أخرجه ابن أبي حاتم في
مناقب الشافعي ص ١٨٢، وأبو نعيم في الحلية ٩/١١١، وابن عبد البر في الانتقاء ص ٧٨.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: لا يفلح صاحب كلامٍ أبداً علماء الكلام زنادقة، أخرجه ابن الجوزي في
مناقب أحمد ص ٢٠٤ ط التركي، وقال الإمام أحمد أيضاً: لا تجالسوا أصحاب الكلام وإن ذُِّبوا عن
السنة، أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ٣/٤٢١، وابن الجوزي في المناقب ص ٢٠٤ - ٢٠٥،
وأورده ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ١/٣٣٤. اهـ

وإنَّ من يذكرون العشق في محبة الله إنّما ذلك الشيطان يتجارى بهم في الكفر، ويوقعهم في أحوال الضلال الذي ليس بعده ضلال ولا يشبهه ضلال؛ فمن جعل الله هو الصخرة الصماء، والبهيمة العجماء، والأرض الموطوءة، والحلقة الملقاة، فكفره أشدَّ من وأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى دَعَا الْخَلْقَ كُلَّهُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمَنْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ بِالْإِسْلَامِ تَفَضُّلاً مِنْهُ [١].

كفر الملحد الذي لا يعترف بالله، ولا يؤمن بوجوده، نسأل الله أن يعصمنا مما وقعوا فيه وأن يعيدنا من شر مقالاتهم الخبيثة، وبالله التوفيق.

[١] قوله: (واعلم أنَّ الله تعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته).

يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [١] يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢].

ثمَّ بعد أن دعا الله الناس جميعاً إلى دينه وعبادته اختص من شاء منهم بالهداية إلى هذا الدين تفضلاً منه ومنّا، فهدى من شاء بفضله وأضلَّ من شاء بعدله.

وقال -جلَّ من قائل-: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَحْدِلَهُ. وَلِيَا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧].

=

(١) انظر كتاب مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للعلامة الشيخ برهان الدين البقاعي ص ١٣١ رب الصوفية امرأة، وانظر كذلك إلى كتاب صغير بعنوان الصوفية في ميزان الكتاب والسنة للشيخ محمد جميل زينو ص ١٨.

وقد قام هؤلاء الذين اختصهم بالهداية بما أوجب الله عليهم من العبادة المبنية على التوحيد.

وقال لإمامهم وقدوتهم محمد ﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ [الزمر: ١٤-١٥].
فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وبالله التوفيق.



وَالْكَفُّ عَنْ حَرْبٍ عَلَيَّ وَمُعَاوِيَةَ وَعَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ أَجْمَعِينَ - وَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ لَا تُخَاصِمُ فِيهِمْ وَكُلُّ أَمْرِهِمْ إِلَى اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَذِكْرَ أَصْحَابِي وَأَصْهَارِي وَأَخْتَانِي». وَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَظَرَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(١) [١].

[١] وأقول: إنَّ اللفظ المشهور الذي أعرفه، وإن كان هناك ألفاظٌ في النهي عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ بما لا ينبغي، فيه ألفاظٌ متعددة كلها يفيد هذا المعنى؛ أي: يفيد النهي عن سب أصحابه، منها قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»^(٢) متفقٌ عليه. ونقل المعلق على النسخة المطبوعة: «اللَّهُ اللهُ في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تعالى، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه».

أشار المعلق إلى أنه (أخرجه أحمد ج ٥ / ٥٤ - ٥٧ والترمذي في المناقب حديث رقم ٣٨٦١ وحسنه وابن حبان في الموارد رقم ٢٢٨٤ غير أن الشيخ الألباني ضعف رواية الترمذي انظر ضعيف الجامع رقم ١٢٥٩).

وأقول: إنَّ تحريم الكلام في أصحاب رسول الله ﷺ مجمعٌ عليه بين أهل السنة والجماعة، ونصوص الكتاب والسنة تؤيد هذا الإجماع كما في الآيات من آخر سورة براءة: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٧-١١٨].

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ في كتاب المغازي باب غزوة بدر، وأخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رَحِمَهُ اللهُ، وقصة حاطب بن أبي بلتعة رَحِمَهُ اللهُ.

وقوله في آخر سورة الفتح: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْجٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] الآية.

والآيات في سورة الحشر^(١).

ومن السنة قوله ﷺ لعمر بن الخطاب في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدرٍ، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» رواه البخاري ومسلم، وبالله التوفيق.

ملحوظة: إنَّ أهل السنة والجماعة متفقون على عدم جواز الخوض فيما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ من حروبٍ ودماءٍ وغير ذلك، وإنَّ الذي ينبغي للمسلم أن يعذرهم، ويحملهم على أنَّهم كلهم مجتهدون، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ واحد.

كما أنَّ أهل السنة اتفقوا على أنَّه لا يتكلم فيهم إلَّا ضال، ومن وجد منه كلامٌ في حقهم فهو دليل على ضلاله، فالرافضة والخوارج والمعتزلة وأمثالهم كل هؤلاء مذاهبهم مبنية على ضلال، وقد قال قائل أهل السنة^(٢):

وما جرى بين الصَّحاب نسكت عنه وأجر الاجتهاد نثبت

وقد ظهرت في زمننا هذا أشرطةٌ تروي ما جرى بين الصحابة بدون احترام لهم ولا تنبيهٍ على أنَّ ما جرى بينهم لا ينشر، بل يكون قيد الكتمان، وقد تصدر في هذا المجال رجلٌ يقال له طارق السويدان، فردَّ عليه العالم الجليل الشيخ السلفي أحمد بن عبد العزيز التويجري بعد تتبع أخطائه والتنبيه عليها في كتابٍ سمَّاه: الإيضاح والبيان في أخطاء طارق السويدان؛ فجزاه الله خيرًا، وبارك فيه، وكثر الله من أمثاله، وبالله التوفيق.

(١) وهي ما جاء في الآية ٨ وما بعدها وهي قول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾.

(٢) وهو الإمام أحمد بن رسلان الشافعي في منظومته المعروفة بالزبد.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطَيْبَةٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَإِنْ كَانَ مَعَ رَجُلٍ مَالٌ حَرَامٌ فَقَدْ ضَمِنَهُ، لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَتُوبَ هَذَا فَيُرِيدَ أَنْ يَرُدَّهُ عَلَى أَرْبَابِهِ فَأَخَذَتْ حَرَامًا [١].

[١] حرمة مال المسلم أمرٌ مسلمٌ به مجمعٌ عليه تطابقت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال النبي ﷺ في خطبة يوم عرفة: «ألا تدرون أي يوم هذا؟».

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه.

فقال: «أليس بيوم النحر؟».

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «أي بلد هذا، أليست بالبلدة الحرام؟».

قلنا: بلى يا رسول الله.

قال: «إِنْ دِمَاءُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ وَأَعْرَاضُكُمْ وَأَبْشَارُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ

هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟».

قلنا: نعم.

قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ يبلغه لمن هو أوعى له»^(١) رواه

البخاري ومسلم.

وفي قول المؤلف: (وإن كان مع رجل مال حرام فقد ضمنه) أي ذلك الرجل الذي

أخذ المال الحرام قد ضمنه.

(١) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج باب الخطبة أيام منى وفي كتاب الفتن

باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، وأخرجه الإمام مسلم

رحمته في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض

والأموال من حديث أبي بكرة ؓ.

وَالْمَكَاسِبُ مَا بَانَ لَكَ صِحَّتُهُ فَهُوَ مُطْلَقٌ، إِلَّا مَا ظَهَرَ فَسَادُهُ، وَإِنْ كَانَ فَاسِدًا يَأْخُذُ مِنَ الْفَاسِدِ مَمْسَكَةً نَفْسِهِ، وَلَا تَقُولُ: أَتَرُكُ الْمَكَاسِبَ ^(١) وَأَخْذُ مَا أَعْطَوْنِي، لَمْ يَفْعَلْ هَذَا الصَّحَابَةُ وَلَا الْعُلَمَاءُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا، وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: «كَسَبٌ فِيهِ بَعْضُ الدُّنْيَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَاجَةِ إِلَى النَّاسِ» ^(٢) [١].

وقوله: (لا يحل لأحد أن يأخذ منه شيئاً إلا بإذنه، فإنه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه فأخذت حراماً).

يعني: فلا يتمكن، وأنت تعتبر قد أخذت حراماً، ومعنى ذلك:

١ - أنك تشارك صاحبه في الحرمة.

٢ - أنك تكون مثله عندما تأخذ المال الحرام فتصبح لا تباي.

٣ - أنك تكون قد أضعت عليه الفرصة فيما إذا كان يريد أن يتوب منه حيث يريد أن يرد ذلك المال فلا يجده، فتكون قد جنيت عليه، وأضعت عليه الفرصة لذلك فإن الواجب عليك ألا تفعل.

[١] أقول: معنى هذا الكلام أنك لا تمتنع من الكسب الحلال ولو كان فيه دنية، بل الكسب من المهنة التي فيها دنية خير لك من أن تسأل الناس، والكسب الذي فيه دنية هي بعض الأشياء التي يعدها بعض الناس دناءة كالحجامة والحلاقة، والبيع لبعض الأشياء التي تعتبر دناءة ما لم تكن حراماً؛ فالمؤلف يقول: (وكسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس).

ملحوظة: المطلق مباح لك الكسب منه.

أمّا قوله: (يأخذ من الفاسد ممسكةً نفسه) فمعنى ذلك أن تأخذ من الفاسد ما يمسك عليك الحياة إذا اضطرت إليه كالميتة، وما عدا ذلك فلا يجوز لك أن تقر به.

(١) وفي نسخة الراددي: (والمكاسب مطلقة).

(٢) قال الشيخ أبو ياسر الراددي - حفظه الله -: يعني الأثر أخرجه وكيع بن الجراح كما في كنز العمال (٤ / ١٢٢) وأورده ابن الجوزي في مناقب عمر (١٩٤).

وَالصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَهْمِيًّا، فَإِنَّهُ مُعْطَلٌّ، وَإِنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ فَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ جَهْمِيًّا وَهُوَ سُلْطَانٌ فَصَلِّ خَلْفَهُ، وَأَعِدْ صَلَاتَكَ، وَإِنْ كَانَ إِمَامُكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ صَاحِبَ سُنَّةٍ فَصَلِّ خَلْفَهُ وَلَا تُعِدْ صَلَاتَكَ [١].

قوله: (ولا تقول أترك المكاسب، وأخذ ما أعطوني) يعني أنك لا يجوز لك أن تترك المكاسب التي فيها غضاضة عليك وتسأل الناس، بل خذ من المكاسب الحلال ما يعفك عن الناس وعن سؤالهم حتى ولو كان في ذلك غضاضة عليك.

قوله: (وما بان لك صحته فهو مطلق) أي: حلال، والمطلق يجوز لك الكسب منه ومزاولته، وبالله التوفيق.

[١] وأقول: بين المؤلف رَحِمَهُ اللهُ أَنَّ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ جَائِزَةٌ خَلْفَ مَنْ صَلَّيْتُهَا وَرَاءَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَكُنْ جَهْمِيًّا فَإِنَّهُ مُعْطَلٌّ، وَإِنْ صَلَّيْتَ خَلْفَهُ فَأَعِدْ صَلَاتَكَ؛ يعني: إذا صَلَّيْتَ وَرَاءَ الْجَهْمِيِّ فَأَعِدْ صَلَاتَكَ.

والجهمي: هو الذي يعطل الأسماء والصفات^(١)، ويقول القرآن مخلوق.

ولم يذكر المؤلف غير الجهمي من أصحاب البدع وإن كانت غليظة قد تصل بصاحبها إلى الكفر كبدع الشيعة الغلاة الذين يسبون أبا بكر وعمر وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ويقولون: إنَّ أهل البيت معصومون، ويقولون: أنَّ جبريل كان مرسلاً إلى علي فألقى بالرسالة إلى محمدٍ خطأ منه، إلى غير ذلك من رعوناتهم!

ومثل ذلك المعتزلة الذين يقولون: إنَّ القرآن مخلوق، وينفون القدر وأنَّ الأمر أنف.

ومثل هؤلاء أيضاً الصوفية الغلاة في التصوف الذين يقولون بوحدة الوجود وأمثال هؤلاء، فإنَّ حكمهم حكم الجهمي.

(١) أي ينكر أنَّ لله أسماءً حسنى وصفاتٍ عليا تليق بجلال الله وعظيم سلطانه -تعالى الله عما يقول الظالمون-.

وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ - رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا - فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَدْ دُفِنَا هُنَاكَ مَعَهُ، فَإِذَا أَتَيْتَ الْقَبْرَ فَالتَّسْلِيمُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَاجِبٌ [١].

وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبٌ إِلَّا مَنْ خِفَتْ سَيْفُهُ أَوْ عَصَاهُ، وَالتَّسْلِيمُ عَلَى عِبَادِ اللَّهِ أَجْمَعِينَ [٢].

أَمَّا أصحاب البدع الذين لا تبلغ بدعهم إلى الكفر، بل هي بدعٌ مفسقة فالظاهر أنَّ الصلاة وراءهم جائزة بدون إعادة.

ثمَّ قال: (وإنَّ كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصلَّ خلفه، ولا تعد صلاتك).

وأقول: إنَّ ائتمام المأموم المسلم بصاحب سنة أمرٌ مطلوب، والصلاة وراءه صحيحة، لكن إذا كان الإمام صاحب بدعة خفيفة لا تبلغ إلى حدِّ الكفر، ولا تخرجه عن ملة الإسلام، فالصلاة جائزة وراءه، ولا تلزم الإعادة، وبالله التوفيق.

[١] وأقول: الإيمان بذلك إيمانٌ بالتواتر الذي لا يخالف فيه أحد، وهو أنَّ أبا بكرٍ وعمر دفنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهما -، وهو أمرٌ لا يخالف فيه أحدٌ، ولا ينكره إلَّا مكابر، وأنَّهما أفضل هذه الأمة بعد نبيها - صلوات الله وسلامه عليه -.

ومن قال خلاف ذلك أو كفرهما أو انتقص من حقهما فهو مبتدعٌ ضال، وربما وصلت به حالته إلى الكفر - والعياذ بالله -، وإنَّ أهل السنة لا يعتقدون فيهما العصمة بل يعتقدون أفضليتهما على سائر الأمة.

قوله: (فإذا أتيت القبر، فالتسليم عليهما بعد رسول الله ﷺ واجب).

أقول: نعم التسليم عليهما مشروع، أمَّا الوجوب ففيه نظر، وبالله التوفيق.

[٢] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على المسلمين جميعاً بإجماع الأمة على ذلك المؤيد بالنصوص من الكتاب والسنة، والنقول الصحيحة عن الصحابة - رضوان الله عليهم -.

وَمَنْ تَرَكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ مِنْ غَيْرِ عَذْرِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ،
وَالْعُذْرُ: كَمَرَضٍ لَا طَاقَةَ لَهُ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمَسْجِدِ، أَوْ خَوْفٍ مِنْ سُلْطَانٍ ظَالِمٍ، وَمَا
سِوَى ذَلِكَ فَلَا عُذْرَ لَهُ، وَمَنْ صَلَّى خَلْفَ إِمَامٍ فَلَمْ يَقْتَدِ بِهِ فَلَا صَلَاةَ لَهُ [١].

قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَى مَنْ خَفَتْ سَيْفُهُ وَعَصَاهُ، فَأَنْتَ تَكُونُ مَعْدُورًا عِنْدَ رَبِّكَ ﷻ.

وقد أشير إلى ذلك في حديث تميم الداري رضي الله عنه حيث قال: قال رسول الله ﷺ:
«الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»^(١) رواه
مسلم.

وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده،
فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٢) رواه مسلم.

[١] قوله: (من ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع).
أقول: اطلاق اسم مبتدع على تارك الصلاة في المسجد قد لا يكون مأخوذاً على
عمومه؛ فإن من ترك الجمعة والجماعة تخرجاً من الصلاة وراء بعض الولاة، لأنه يرى أنه
كافر أو فاسق لا يجوز الاقتداء به فهو مبتدع.

لكن إن تركها بغير هذا القصد فهو فاسق، وقد يكون منافقاً إذن فلا يكون مبتدعاً إلا
من ترك صلاة الجمعة والجماعة بناءً على اعتقادٍ عنده أن ذلك الإمام لا ينبغي أن يصلى
بعده؛ يعني: وراءه.

أمّا غيره فلا يطلق عليه الابتداع، بل من ترك صلاة الجماعة تهاوناً فهو فاسق، ومن
تركها غير مؤمن بها فهو منافق.

ثمّ بين العذر فقال: (كمريض لا طاقة لصاحبه بالخروج إلى المسجد أو خوف من

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

سلطان ظالم، وما سوى ذلك فلا عذر له).
وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ بِالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ بِلا سَيْفٍ،
وَالْمَسْتُورُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ لَا يَظْهَرُ مِنْهُ رِيْبَةٌ [١].

ثم أشار إلى مسألة قد يفعلها بعض المبتدعة بحيث أنه يصلي خلف الإمام بنية أنه منفرد فقال: (ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له).

الدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه، فإذا ركع فاركعوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون، وأقيموا الصف في الصلاة، فإن إقامة الصف من حسن الصلاة»^(١) متفق عليه، وبالله التوفيق.

[١] الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب هذا مقتضى حديث رواه مسلم وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»^(٢).
علماً بأن التغيير باليد يكون لأصحاب السلطة وللرجل في بيته، ومن لم يقدر على اليد أو كان ليس من أهلها انتقل إلى اللسان فأنكر باللسان، وهي المرتبة الثانية، وإن لم يستطع باللسان أنكر بالقلب، وهو أن يكره المنكر وفاعله، ويكره المقصر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان قادراً.

وقوله: (بلا سيف) فيه ردٌ على المعتزلة والخوارج الذين يعتقدون جواز الخروج بالسيف على الولاة، ويعتبرونه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
قوله: (والمستور من المسلمين من لم يظهر منه ريبة) ومعنى الريبة أن يعمل عملاً

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان باب إقامة الصف من تمام الصلاة، وأخرجه الإمام مسلم -رحمهما الله- في كتاب الصلاة باب ائتمام المأموم بالإمام من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

فيه احتمال ظاهر أو قرينة ظاهرة تدل على تحريمه، وبالله التوفيق.
 وَكُلُّ عِلْمٍ ادَّعَاهُ الْعِبَادُ مِنْ عِلْمِ الْبَاطِنِ لَمْ يُوْجَدْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُوَ بَدْعٌ
 وَضَلَالَةٌ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ، وَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ [١].
 وَأَيُّ امْرَأَةٍ ^(١) وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِرَجُلٍ فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لَهُ، يُعَاقَبَانِ إِنْ نَالَ مِنْهَا شَيْئًا،
 إِلَّا بَوْلِيٍّ وَشَاهِدِيٍّ عَدْلٍ وَصَدَاقٍ [٢].

[١] وأقول: إنَّ هذه الفقرة فيها ردُّ على الصوفية الذين يزعمون أنَّ قلوبهم تتلقَّى
 الإلهامات من الله ﷻ، ويعتبرون ذلك وحياً، فيقول أحدهم: حدثني قلبي عن ربي وما ذلك إلا
 من الشياطين التي تلعب به وتوهمه أنَّ ذلك من الكرامات، وما هو إلا من لعب الشيطان وإضلاله
 إيَّاهم، ومن وجد منه ذلك، وهو يوجد من الصوفية كثير فهو مبتدع ضال، وبالله التوفيق.
 [٢] النكاح بالهبة لا يصح، لأنَّه من خصائص النبي ﷺ حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَأَمْرًا
 مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾
 [الأحزاب: ٥٠]. فهذا فيه تخصيصٌ للنبي ﷺ بنكاح الهبة.
 فإن نكح رجل امرأة بوليٍّ وشاهدي عدل، ولكنه لم يسم لها صداقاً، صحَّ النكاح،
 ووجب لها مهر المثل.

وفي ذلك حديث معقل بن سنان: عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل
 تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً، ولم يدخل بها حتى مات، فقال ابن مسعود: لها مثل
 صداق نساءها لا وكس ولا شطط، وعليها العدة، ولها الميراث.
 فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله ﷺ في بروع بنت واشق امرأة
 منا مثل الذي قضيت، ففرح بها ابن مسعود ﷺ ^(٢). رواه الترمذي وغيره.

(١) وفي نسخة الراددي: (وأيا امرأة).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها
 قبل أن يفرض لها، ثمَّ قال عقب ذكر الحديث: هذا حديثٌ حسن صحيح، وقد روي عنه من غير

وقال أبو عيسى الترمذي: حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح.
وحديث ابن عباس: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»^(١) رواه البيهقي، وقد ذهب
الجمهور إلى اشتراط الولي، وخالفهم الحنفية.
أمّا اشتراط العدالة في الشاهدين فهذا أيضًا محل خلاف، وهذا الحديث يدل على
صحة اشتراط الشاهدين، وأن يكونا عدلين، وبالله التوفيق.



وجه والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وبه يقول الثوري
وأحمد، وإسحاق.

وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ منهم علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وابن عباس
وابن عمر: إذا تزوج الرجل المرأة ولم يدخل بها، ولم يفرض لها صداقًا حتى مات قالوا لها
الميراث، ولا صداق لها وعليها العدة، وهو قول الشافعي، قال: لو ثبت حديث بروع بنت واشق
لكانت الحجة فيما روي عن النبي ﷺ وروي عن الشافعي أنه رجع بمصر عن هذا القول، وقال
بحديث بروع بنت واشق.

والحديث أيضًا أخرجه الإمام أحمد في مسند ٤٢٦٤ المكثرين من الصحابة وبرقم ١٧٩٩٤ في
مسند الكوفيين، والحديث أيضًا أخرجه الإمام النسائي في كتاب النكاح باب إباحة الزوج بغير
صداق وفي كتاب الطلاق باب عدة المتوفى عنها زوجها قبل أن يدخل بها، وأخرجه الإمام أبو داود
في كتاب النكاح باب فيمن تزوج ولم يسم صداقًا حتى مات، وأخرجه الإمام ابن ماجه في كتاب
النكاح أيضًا باب الرجل يتزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك، وأخيرًا أخرجه الإمام الدارمي في
كتاب النكاح باب الرجل يتزوج المرأة فيموت قبل أن يفرض لها، وقد صحح الحديث الألباني
رحمته في صحيح الترمذي ج ١/ ٥٨٢.

(١) رواه البيهقي، انظر صحيح الجامع للألباني برقم ٧٥٥٧.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ^(١) عَلَى أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ- فَأَعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى وَصَاحِبُ قَوْلٍ سُوءٍ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا»^(٢)، فَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ ﷺ مَا يَكُونُ مِنْهُمْ مِنَ الزَّلَلِ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَلَمْ يَقُلْ فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا. وَقَوْلُهُ: «ذَرُوا أَصْحَابِي، لَا تَقُولُوا فِيهِمْ إِلَّا خَيْرًا»^(٣). وَلَا تُحَدِّثْ بِشَيْءٍ مِنْ زَلَلِهِمْ، وَلَا حَزْبِهِمْ، وَلَا مَا غَابَ عَنْكَ عِلْمُهُ، وَلَا تَسْمَعُهُ مِنْ أَحَدٍ يُحَدِّثُ بِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْلَمُ لَكَ قَلْبُكَ إِنْ سَمِعْتَهُ [١].

[١] قَوْلُهُ: (وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ...) إلخ.

هذا هو قول أهل السنة والجماعة خلافاً لأصحاب البدع من رافضة وخوارج، فإنهم يطعنون في أصحاب النبي ﷺ الذين زكاهم الله في كتابه وأخبر بالتوبة عليهم في قَوْلِهِ وَعَجَّلَ: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

وفي قَوْلِهِ تعالى في آخر سورة الفتح: ﴿ثُمَّ حَمْدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ

(١) وفي نسخة الراددي: (يطعن على أحد من أصحاب النبي ﷺ).

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) قال المحقق الراددي -حفظه الله- ورعا عن الحديث: لم أجده بهذا اللفظ ويبدو أن المؤلف لفقه من حديثين متغايرين.

وإليك شرحه: فقوله: «ذروا أصحابي» أخرجه البزار (٣/ ٢٩٠ كشف الأستار) بإسناد حسن.

وقوله: «لا تقولوا فيهم إلا خيراً» أخرجه خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة كما في جزء طرق

حديث: «لا تسبوا أصحابي» لابن حجر (ص ٧٠) وإسناده ضعيف.

لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ إلى أن قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ٨-١٠].

وقال -صلوات الله وسلامه عليه-: «لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أن أحداكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»^(١). رواه البخاري، ومسلم. ومن أجل هذه النصوص فإن أهل السنة والجماعة يرون توقيف أصحاب النبي ﷺ وإجلالهم وعدم الكلام فيهم، وأن ما جرى بينهم نسكت عنه، هكذا قرر أئمة الهدى كأحمد بن حنبل، والشافعي، ومالك، وعبد الله بن المبارك، والسفيانان، والحمادان، ومن تبعهم من أصحاب الحديث.

وأنه لا ينبغي التحدث بشيء مما وقعوا فيه من الحروب، وأنهم يحملون في ذلك على الاجتهاد، وأنهم مجتهدون، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ منهم فله أجر واحد، وأن صحبتهم للنبي ﷺ وجهادهم معه يكفر ما وقعوا فيه، وبالله التوفيق. أما قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (فقد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته، فلم يقل فيهم إلا خيراً...) إلخ.

فهذا لا أدري على أي شيء استند المؤلف في قوله هذا! مع أن أهل السنة والجماعة يعتقدون بأن النبي ﷺ لم يعلم شيئاً من الغيب إلا ما علمه الله إياه، فكونه علمه الله بما قد يقع من بعضهم، وأخبر به النبي ﷺ هذا لا ينكر.

(١) الحديث سبق تخريجه.

أَمَّا أَنَّهُ عِلْمٌ كُلُّ مَا يَصِيرُ مِنْهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِ، فَهَذَا لَا يَقُولُهُ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ، وَلَا يَعْتَقِدُهُ إِلَّا أَصْحَابُ الْإِعْتِقَادَاتِ الْمُنْحَرِفَةِ.

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعُنُ عَلَى الْآثَارِ أَوْ يَرُدُّ الْآثَارَ أَوْ يُرِيدُ غَيْرَ الْآثَارِ فَاتَّهِمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَلَا تَشْكُ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى مُبْتَدِعٌ [١].

وقد نفى الله ﷻ عن نبيه علم الغيب، وأمره أن ينفيه عن نفسه كما في قول الله تعالى في آخر سورة الأعراف آية ١٨٨: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾. وقوله: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

[١] أقول: هذا القول تطابقت عليه أقوال كثير من السلف، واتفقوا جميعاً على أن من رد السنن، أو أبغض حملتها وطالبيها، أو طلب الحق من غيرها فإنه صاحب بدعة وزندقة وضلالة، ولهذا أثر عن الإمام أحمد أنه لما ذكر له أن ابن أبي قتيلة يطعن على أصحاب الحديث، ويقده فيهم ويتكلم في حقهم؛ قام وجعل ينفذ ثوبه ويقول: زنديق، زنديق زنديق^(١)، وقد ورد عن سهل بن حنيف ﷺ في صحيح الإمام البخاري ومسلم قال: يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلا أسهلنا بنا إلى أمر نعرفه غير هذا الأمر. قال: وقال أبو وائل: شهدت صفين، وبئست صفوفون^(٢).

والشاهد منه: قوله ﷺ: «اتهموا رأيكم على دينكم».

(١) انظر في مقدمة معرفة علوم الحديث للحاكم (تخريج الشيخ عبد الله بن محمد النجدي).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري بهذا اللفظ في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس، وفي كتاب المغازي باب غزوة الحديبية، والحديث أخرجه أيضاً الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية.

وقد جاء في الحديث: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله»^(١) أو قال: «حتى يأتي وعد الله» فلما سئل الإمام أحمد بن حنبل

عن هذه الطائفة قال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم^(٢)!!
وقد ذكر أهل السنة والجماعة: إذا رأيت الرجل يبغض فلاناً وفلاناً وعدوا رجلاً من أصحاب الحديث فاتهمه على الدين^(٣).

(١) الحديث قد سبق تخريجه.

(٢) رواه الإمام الحاكم في معرفة علوم الحديث ص ٢ (تخريج الشيخ عبد الله بن محمد النجدي حفظه الله).

(٣) ذكر الشيخ خالد بن ضحوي الظفيري في كتابه الممتع إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء ص ٣٦ بعض مواقف أهل السنة من المبتدعين ليحسن الاقتداء بالسلف في ذلك عند الحديث عن الفصل الثاني: (شدة أهل السنة على أهل البدع منقبة وليست مذمة حيث قال وفقه الله: والآثار عن الصحابة في معاملتهم لأهل البدع كثيرة، وما هذا إلا غيظ من فيض... ثم قال: وهذا أيضاً الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو سلمة حماد بن سلمة البصري (ت: ١٦٧) قال الذهبي في ترجمته: قال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الأنصاري في الفاروق له: قال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام فإنه كان شديداً على المبتدعة، ثم أضاف في حاشية كتابه هذا بقوله: كان السلف -رحمهم الله- يعدون الطعن على أهل السنة، والذابين عنها من علامات أهل البدع والضلال، بل قد يعدون الرجل من أهل البدع بمجرد طعنه عليهم. قال أبو زرعة رَحِمَهُ اللهُ: إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري وزائدة فلا تشك أنه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي فلا تشك أنه مرجئ، واعلم أن هذه الطوائف كلها مجمعة على بغض أحمد بن حنبل لأنه ما من أحد إلا وفي قلبه منه سهم لا براء له. طبقات الحنابلة (١/١٩٩-٢٠٠).

وقال نعيم بن حماد: إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد بن حنبل فاتهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه. تاريخ بغداد (٦/٣٤٨) وتاريخ دمشق (٨/١٣٢). اهـ

ونحن اليوم قد تبين لنا من ذلك ما تبين، واتضح لنا من أمر الحزبيات^(١) المبتدعة ما

جعلنا نتيقن صدق هذه الأخبار، وأن أصحاب البدع والحزبيات هم أعداء لأصحاب الحديث ولأهل السنة والجماعة، ولدعاة التوحيد والعقيدة السلفية الصحيحة.

بينما طلاب العلم السلفيون يدعونهم إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ وإلى عمل السلف الصالح، وهم يدعون طلاب العلم السلفيين إلى رأي فلان وفلان، وهذا الحزب وذاك الحزب لا يستحيون من الله، ولا يخشون بطشه وعقوبته العاجلة والآجلة بصددهم عن سبيل الله وقلوبهم الحقائق واتباعهم لغير ما أمر الله به، ومع ذلك يقولون عن السلفيين بأنهم هم الذين فرقوا!

وإنما التفريق جاء من أصحاب التحزب على حد قول القائل: رممني بدائها وانسلت، وعند الله تجتمع الخصوم، وأنا لله وأنا إليه راجعون، وبالله التوفيق.

(١) الأحزاب جمع حزب، وهم كل قوم تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم وفي التنزيل العزيز: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ انظر المعجم الوسيط ص ١٧٠.

والمقصود بهم جميع من خالف باجتهاد أو قياس الكتاب والسنة وعمل سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلى رأسهم بعض الجماعات المعاصرة كجماعة الإخوان المسلمين بشتى فصائلها وكذا جماعة التبليغ وغيرهما من الجماعات التي خالفت طريقة السلف. ولمزيد من التقصي عن حال مؤسسي هذه الجماعات وما وقعوا فيه من الغي والضلال، والذي قد يصل بأهلها إلى الكفر الصراح، فليرجع في ذلك إلى كتابي شيخنا أحمد النجمي (المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال، والرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول) فحري بكل طالب علم أن يقرأ ما في هذين الكتاين ليعرف الحق من الباطل ليجتنب كل دخيل على المنهج السلفي، وبالله التوفيق.



وَأَعْلَمَ أَنَّ جَوْرَ السُّلْطَانِ لَا يُنْقِصُ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ الَّتِي افْتَرَضَهَا عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ، جَوْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَتَطَوُّعُكَ وَبِرُّكَ مَعَهُ تَامٌّ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - يَعْنِي: الْجَمَاعَةُ وَالْجُمُعَةُ مَعَهُمْ، وَالْجِهَادَ مَعَهُمْ، وَكُلَّ شَيْءٍ مِنَ الطَّاعَاتِ فَشَارِكُهُمْ فِيهِ فَلَكَ نِيَّتُكَ، وَعَلَيْكَ وَزَرُهُ [١].

[١] معنى هذه الفقرة أن أهل السنة والجماعة يرون وجوب طاعة السلطان سواء كان مؤمناً أو فاجراً، وسواء كان برّاً أو فاسقاً، فإنّ فجوره أو فسقه على نفسه. وعليك يا عبد الله أن تعلم أن طاعة السلطان طاعة لله وفريضة من الله، وقد قال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصي الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصي أميري فقد عصاني»^(١) متفق عليه.

فلا يجوز لك أن تثير على السلطان، وأن تذكر جوره، ومثالبه للتوصل بذلك إلى الخروج عليه، فالأدلة متوافرة على وجوب الطاعة، وعدم الخروج هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي حديث ابن عباس: «من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»^(٢) رواه البخاري ومسلم، وفيه أيضاً عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»^(٣) رواه مسلم.

فعليك يا عبد الله أن تطيع الله، ثمّ تتقرب إليه بطاعة السلطان حتى ولو كان فاسقاً جائراً، فإنه إذا فسق ففسقه على نفسه، وجهادك معه وصلاتك وراءه هي طاعة لله رب العالمين واتباع لما أمر به.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ فِي كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، وأخرجه الإمام البخاري في كتاب الأحكام باب قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو عَلَى السُّلْطَانِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى، وَإِذَا سَمِعْتَ^(١) الرَّجُلَ يَدْعُو لِلْسُّلْطَانِ بِالصَّلَاحِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -؛ لِقَوْلِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ: «لَوْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ مَا جَعَلْتُهَا إِلَّا فِي السُّلْطَانِ». قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، فَسَرُّ لَنَا هَذَا، قَالَ: «إِذَا جَعَلْتُهَا فِي نَفْسِي لَمْ تَعُدْنِي، وَإِذَا جَعَلْتُهَا فِي السُّلْطَانِ صَلَحَ، فَصَلَحَ بِصَلَاحِهِ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ». فَأَمَرْنَا أَنْ نَدْعُو لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، وَلَمْ نُؤْمَرْ أَنْ نَدْعُو عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا؛ لَأَنَّ ظُلْمَهُمْ وَجَوْرَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ لَأَنْفُسِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ^(٢) [١].

ولا يغرنك من يقول يجب عليك أن تغضب لله، وتخرج عن السلطان الجائر فإنَّ قوله باطل ومردود على مقتضى النصوص الشرعية والعقيدة السلفية، وبالله التوفيق. [١] أقول: رحم الله الإمام البرهاري، فهذه علامة واضحة للحزبيين أنَّهم يدعون على السلطان ولا يدعون له، والعلامة الفارقة بين الحزبيين وغيرهم: أنَّ الحزبيين يدعون على السلطان، والدعاء على السلطان إفسادٌ وليس بإصلاح وخرابٌ وليس ببناء ومضرةٌ وليس بمبرة.

فالسلطان بصلاحه تصلح العباد والبلاد، وبخرابه يفسد ما يفسد، ولكنا نهينا أن ندعو عليه أو أن نخرج عن طاعته، أو أن نثير عليه الدهماء، أو أن نذكر مثالبه ومعائبه أو ننزع السلطان الذي ولَّاه الله ما ولَّاه الله إياه، فكل ذلك محرم وممنوع. فإن قيل: إنَّ السلطان إذا فسد فسدت بفساده العباد والبلاد؛ لذلك فإنَّ الدعاء عليه يكون سبباً في إزالة الشر الواقع منه.

(١) وفي نسخة الردادي: (رأيت) والأولى أصح.

(٢) وأضاف الردادي - حفظه الله - عبارةً طويلة نسبها إلى غير البرهاري تؤيد ما نقل عن الإمام فضيل بن عياض فقال: (أنا أحمد بن كامل قال حدثنا الحسين بن محمد الطبري حدثنا مردويه الصائغ قال: سمعت فضيلاً يقول: لو أنَّ لي دعوةً مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان). اهـ

فنقول: إنَّ الذي حرَّم الخروج عليه أعلم بالمصلحة منَّا، فالله ﷻ حرَّم على لسان رسوله ﷺ الخروج على السلطان مهما كان فساده وخرابه، ما لم يصل إلى حدِّ الكفر. ففي حديث أم سلمة رضي الله عنها في صحيح الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا ما صلوا»^(١).

وفي حديث عوف الأشجعي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول الله، أفلا نناذبهم بالسيوف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولا تكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة»^(٢) رواه مسلم.

وحينئذ يتبين لنا تحريم الخروج على السلطان مهما كان فساد ما لم يصل إلى حد الكفر، فالذي فرض عدم الخروج هو أعلم بالمصلحة منَّا. ومن ناحية أخرى فإنَّ المشاهد أنَّه لا تقوم دولةٌ بدل دولةٍ إلَّا بإراقة دماء وإزهاق أرواح، وربما حصل بناءً على ذلك انقطاع السبل وإخافة الأمنين وانتهاك محارم. وبهذا نعلم أنَّ الله ما حرَّم الخروج على الولاة إلَّا لما فيه من المفساد، فلكون المفساد التي تترتب على تغيير والٍ بدل والٍ أو أميرٍ بدل أميرٍ أو سلطانٍ بدل سلطانٍ أكثر من المفساد التي تصدر منه؛ لذلك منع الخروج عليه، ولكن تجب مناصحته في السر. فنسأل الله ﷻ أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه؛ إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمته الله في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم من حديث أم سلمة رضي الله عنها.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم.

وَلَا تَذْكُرْ أَحَدًا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ [١].

أَمَّا قَوْلُهُ: (وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَدْعُو لِلسُّلْطَانِ بِالصَّلَاحِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سَنَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ).

فنقول: هذه علامة فارقة بين أهل السنة وأهل البدعة، فإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة - إن شاء الله -، وإذا رأيته بخلاف ذلك فاعلم أنه صاحب بدعة، وبالله التوفيق.

قَوْلُهُ: (وَلَمْ نَوْمِرْ أَنْ نَدْعُو عَلَيْهِمْ وَإِنْ جَارُوا وَظَلَمُوا، لِأَنْ جَوْرَهُمْ وَظَلَمَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصَلَاحَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ).

وأقول: لا شك أن جورهم وظلمهم إن حصل فهو عليهم وحدهم، وصلاحتهم لأنفسهم وللمسلمين، لذلك فإننا لم نؤمر بالدعاء عليهم، بل أمرنا بالدعاء لهم.

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم». قيل: يا رسول الله، أفلا نناذبهم بالسيف؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولا تكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة» ^(١) رواه مسلم، وبالله التوفيق.

[١] وأقول: أمهات المؤمنين: زوجات النبي ﷺ، والله ﻋَﻠَﻴْهِمُ السَّلَامُ يقول: ﴿الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

فقد جعل الله زوجات النبي ﷺ بمنزلة الأمهات للمؤمنين. ويترتب على ذلك أمور:

أولاً: أَنَّهُنَّ مُحَرَّمَاتٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ اللَّاتِي دَخَلَ بِهِنَّ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ دَخَلَ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ، وَلَا عَلَى مَنْ

(١) سبق تخريجه.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْفَرَائِضَ فِي جَمَاعَةٍ مَعَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى -، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَتَهَاوَنُ بِالْفَرَائِضِ فِي جَمَاعَةٍ وَإِنْ كَانَ مَعَ السُّلْطَانِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًى [١].

تزوجهنَّ، ولا يعتبرن زوجات للنبي ﷺ؛ وإنما يعتبرن زوجاته من دخل بهنَّ وعاشرهنَّ، وعشن تحت كنفه.

ثانيًا: أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَقْدَحَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ أَوْ يَتَكَلَّمَ فِيهَا، فَإِنْ فَعَلَ فَإِنَّهُ يَعتَبَرُ صَاحِبَ ضَلَالَةٍ يَسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، وَقَدْ يُقَالُ إِنَّهُ يَقْتُلُ بِدُونِ اسْتِتَابَةٍ؛ لِأَنَّهُ أَذَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ.

ثالثًا: أَنَّهُنَّ يَلْحَقْنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ، وَيُنَلْنَ الدَّرَجَةَ الَّتِي نَالَهَا، وَلَوْ كَانَتْ فَوْقَ خَلِيلِ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ أَوْ نَبِيِّهِ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(١)، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

[١] وأقول: ما ذكره المؤلف هنا من علامة بعض الحزبيين، وهو أَنَّ بَعْضَهُمْ يَتَهَاوَنُ فِي الْجَمَاعَةِ إِذَا كَانَتْ مَعَ السُّلْطَانِ زَاعِمًا أَنَّهُ لَا يَصْلِي وَرَاءَ السُّلْطَانِ لِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ كُفْرَهُ، فَإِذَا صَلَّى وَرَاءَ السُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ عَرَفْنَا أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ.

أَمَّا إِذَا كَانَ يَتَهَاوَنُ فِي صَلَاةِ الْفَرَائِضِ مَعَ السُّلْطَانِ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى الْهَوَى الَّذِي عِنْدَهُ، وَهَذَا مِنَ الْعَلَامَاتِ فِي بَعْضِهِمْ كَالْخَوَارِجِ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْكَبِيرَةِ، وَالْمُعْتَزِلَةَ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ صَاحِبَ الْكَبِيرَةِ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، أَيْ: لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ، وَكَذَلِكَ الشَّيْعَةُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: لَا تَصِحُّ الْجُمُعَةُ إِلَّا وَرَاءَ الْخَارِجِ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ^(٢).

(١) قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عِنْدَ تَفْسِيرِهِ لِلآيَةِ رَقْمَ ٣١ مِنْ سُورَةِ الْأَحْزَابِ وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَفَعَلَ صَالِحًا تُوِّدُهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١] قَالَ: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أَي: يَطِيعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْتَجِيبُ ﴿تُوِّدُهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهُا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ أَي: فِي الْجَنَّةِ؛ فَإِنَّهُمْ فِي مَنَازِلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَعْلَى عِلْيَيْنِ فَوْقَ مَنَازِلِ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ فِي الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَقْرَبُ مَنَازِلِ الْجَنَّةِ إِلَى الْعَرْشِ. اهـ

(٢) وَيَقْصِدُونَ بِهِ الْحَسَنَ الْعَسْكَرِيَّ أَوْ لَدَهُ مُحَمَّدَ الْمَهْدِيَّ الْمُنْتَظَرَ وَالَّذِي سَيَعُودُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عِنْدَمَا

أما الحزبيون في زماننا، فإنَّهم يصلون الجمعة والجماعة مع الإمام ويتملقون له إذا كان حاضراً، بل إنَّهم يتملقونه أكثر من عوام المسلمين، لكن إذا خلوا فإنَّهم يقولون عن السلطان والعلماء غير ما يقولونه في حضرته، وهذا هو النفاق بعينه!

والمهم أنَّ الحزبيين في زماننا أيضاً أجناس، فالحزبيون السياسيون لا يمتنعون من الصلاة وراء السلطان، ولكنَّهم من أصحاب ذي الوجهين، واللسانين فنسأل الله أن يهديهم، وأن يلهمهم رشدهم.

وقد جاء في الحديث: «من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا كان له وجهان ولسانان من نار»^(١) وبالله التوفيق.

=

يأذن الله له بالخروج، ويملاً الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ كما زعموا، ولقد قالت الإمامية (الإثنا عشرية) قاطبة بالرجعة وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات. اهـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ج ١/ ٥٦ - ٥٨ بتصرف.

وقد أورد الشيخ يوسف بن عبد الله الوابل في كتابه أشرار الساعة حول كلامه عن مكان المهدي ص ٢٥٠ وأورد فيه كلاماً لابن كثير رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ذكر المؤلف حديثاً عن مكان المهدي وهو ما جاء عن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم..» وقال: وذكر شيئاً لا أحفظه -يعني ثوبان-؛ فقال: «إذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي» والحديث قال فيه الألباني رَحِمَهُ اللهُ صحيح المعنى إلا قوله: خليفة الله، وقال: هي منكرة.

والمهم أن ابن كثير قال: والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتل عنده ليأخذه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامراً كما يزعمه الرافضة من أن المهدي موجود في الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان.

فإن هذا نوع من الهذيان وقسط كبير من الخذلان شديد من الشيطان؛ إذ لا دليل على ذلك ولا برهان لا من كتاب، ولا سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان. اهـ بتصرف.

(١) الأثر سبق تخريجه.

وَالْحَلَالُ مَا شَهِدْتَ عَلَيْهِ وَحَلَفْتَ عَلَيْهِ أَنَّهُ حَلَالٌ؛ وَكَذَلِكَ الْحَرَامُ، وَمَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَهُوَ شُبْهَةٌ [١].

[١] قَوْلُهُ: (والحلال: ما شهدت عليه وحلفت عليه أنه حلال).

يعني: أن الحلال هو البين الذي لا يشك فيه معظم المسلمين، والذي لا شبهة فيه. أما إذا كان في صدرك شك منه وشبهة فيه، فينبغي لك أن تتجنبه حتى تأخذ حكمه من العلماء.

وفي الحديث عن وابصة بن معبد الأسدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لو ابصت: «جئت تسأل عن البر والإثم؟» قال: قلت: نعم. قال: فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال: «استفت نفسك، استفت قلبك يا وابصة -ثلاثاً-؛ البر ما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك» رواه أحمد، والدارمي.

وفي رواية عند مسلم من حديث النواس بن سمعان الأنصاري قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»^(١) وبالله التوفيق.



(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمته الله في كتاب البر والصلة والآداب باب تفسير البر والإثم والإمام الدارمي في سننه في كتاب البيوع باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وفي كتاب الرقاق باب في البر والإثم وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٣٢٠ و١٧٣١٥ وفي مسند باقي الأنصار برقم ٢١١٧٤.

وَالْمَسْتُورُ مَنْ بَانَ سِتْرُهُ، وَالْمَهْتُوكُ مَنْ بَانَ هَيْكُلُهُ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ نَاصِبِي؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ رَافِضِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: فُلَانٌ مُشَبَّهٌ، أَوْ فُلَانٌ يَتَكَلَّمُ بِالتَّشْبِيهِ^(١)، فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: تَكَلَّمُ بِالتَّوْحِيدِ، وَاشْرَحْ لِي التَّوْحِيدَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ خَارِجِيٌّ مُعْتَزِلِيٌّ، أَوْ يَقُولُ: فُلَانٌ مُجَبَّرٌ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْإِجْبَارِ، أَوْ يَتَكَلَّمُ بِالْعَدْلِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدَرِيٌّ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ مُحَدَّثَةٌ أَحَدُهَا أَهْلُ^(٢) الْبِدْعِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «لَا تَأْخُذُوا عَنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ فِي الرَّفْضِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي السَّيْفِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ فِي الْقَدَرِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ فِي الْإِرْجَاءِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ مَكَّةَ فِي الصَّرْفِ شَيْئًا، وَلَا عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فِي الْغِنَاءِ، وَلَا تَأْخُذُوا عَنْهُمْ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ شَيْئًا» [١].

[١] هذه الفقرة ذكر فيها علامات لأهل البدع الذين عرفوا في ذلك الزمان وهو كما قال؛ فإنه إذا ذكر أحدٌ أحدًا أو أكثر من قول فلانٍ ناصبي فاعلم أنه رافضي، وكذلك الجهمية يسمون أهل السنة مشبهة، وكذلك أيضًا إذا قال الرجل تكلم بالتوحيد وشرح لي التوحيد فاعلم أنه خارجي معتزلي.

وأقول: المقصود بالتوحيد عندهم هي الأصول الخمسة التي قررها المعتزلة^(٣)، وكذلك القول بالإجبار أو العدل، فالمراد بذلك القدر، فالمجبرة هم القدرية الغلاة، والذين يقولون بالعدل هم القدرية النفاة، الذين يزعمون أنَّ المعاصي من فعل الإنسان باستقلال عن القدر، وليست بقدر الله، ويزعمون أنَّ ذلك من العدل، وكذلك قول عبد الله بن المبارك: «لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئًا»، أهل الكوفة عرفوا بالتشيع والرفض، التشيع لأهل البيت والرفض لغيرهم، فلا ينبغي للمسلم أن يأخذ من هؤلاء.

(١) وفي نسخة الراددي: (يتكلم في التشبيه).

(٢) وفي نسخة الراددي: (أهل الأهواء).

(٣) والمعتزلة يعنون بالتوحيد نفي الصفات لله -تبارك وتعالى- وهو كما قال الراددي -حفظه الله-.

قال: «ولا عن أهل الشام في السيف شيئاً»؛ وكأنَّ أهل الشام كانوا يرون الخروج على الولاية.

قوله: «ولا عن أهل البصرة في القدر شيئاً» والقدر يعم القدرية النفاة والقدرية الغلاة.
قوله: «ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئاً» والإرجاء هو جعل العمل خارج الإيمان.
قوله: «ولا عن أهل مكة في الصرف شيئاً».
وأقول: عبد الله بن عباس رجع عن قوله في الصرف^(١) على الصحيح، لأنَّه كان في أول الأمر يحيز ربا الفضل ويستدل بحديث أسامة بن زيد: «لا ربا إلا في النسيئة»^(٢) متفق عليه.
ثمَّ بعد ذلك رجع عن قوله هذا حينما حدثه أبو سعيد وغيره بما جاء عن النبي ﷺ:
«الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح

(١) الصرف: هو بيع نقدٍ بنقدٍ سواءً اتحد الجنس أو اختلف، وسواءً كان النقد من الذهب أو الفضة أو من الأوراق النقدية المتعامل بها في هذا الزمان فإنَّها تأخذ حكم الذهب والفضة لاشتراكها في علة الربا وهي التنمية. أفاد ذلك الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في الملخص الفقهي ج ٢ / ٣٠، وقال شيخنا أحمد النجمي تعريف الصرف في كتابه تأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام: هو أن تحول عملة إلى عملة أو تباع نقداً بنقد آخر.

(٢) قال شيخنا النجمي: الربا في اللغة: مأخوذٌ من ربا الشيء بمعنى زاد ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾.
وفي الشرع: فهو زيادة مخصوصة في شيء مخصوص دلَّ عليه كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ وأنواعه كما قال شيخنا: ربا الفضل، وربا النسيئة:

- ١ - ربا الفضل: هو بيع أحد الجنسين بالآخر متفاضلاً ولو اختلفت الأنواع.
 - ٢ - ربا النسيئة: أن يباع جنسٌ بغير جنسه، أحدهما حاضراً والآخر غائب وهذا إنَّما يكون فيما اتفقت علة جنسه كمكيل بمكيل وبرٍّ بشعير أو تمرٍ بملح أو ما أشبه ذلك. اهـ
- والحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب البيوع باب بيع الدينار بالدينار سواء، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب بيع الطعام مثلاً بمثل من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَبَا هُرَيْرَةَ، وَأَنْسَ بْنَ مَالِكٍ، وَأُسَيْدَ بْنَ الْحَضِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَيُّوبَ، وَابْنَ عَوْنٍ،
وَيُونُسَ بْنَ عُبَيْدٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِدْرِيسَ الْأَوْدِيَّ وَالشَّعْبِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ مِغُولٍ، وَبَنِي زَيْدٍ،
وَزُرَيْعَ، وَمُعَاذَ بْنَ مُعَاذٍ، وَوَهْبَ بْنَ جَرِيرٍ، وَحَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ، وَحَمَّادَ بْنَ زَيْدٍ، وَمَالِكَ بْنَ
أَنْسٍ، وَالْأَوْزَاعِيَّ، وَزَائِدَةَ بْنَ قُدَّامَةَ؛ فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يُحِبُّ
أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَالْحَجَّاجَ بْنَ الْمِنْهَالِ، وَأَحْمَدَ بْنَ نَصْرِ، وَذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ، وَقَالَ
بِقَوْلِهِمْ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ [١].

بالملاح، مثلاً بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء»^(١)
رواه مسلم

قوله: «ولا عن أهل المدينة في الغناء لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئاً».
أمّا أهل المدينة فقد شاع عنهم إباحة الغناء، فكان الذين يأخذون بالرخص ويتبعون
الرخص يأخذون بقول كل أهل بلد فيما خالفوا فيه وقد قال أهل العلم: من تتبع الرخص
فسق^(٢). فقول عبد الله بن المبارك تحذير من اتباع الرخص، وليس هذا حكماً على جميع أهل
المدينة أنّهم يبيحون الغناء، ولا عن جميع أهل مكة أنّهم يبيحون الصرف، وهكذا يقال في
الجميع، وقد قال مالك بن أنس حين سئل عن الغناء قال: إنّما يبيحه عندنا الفساق^(٣)، وبالله
التوفيق.

[١] يعني: أنه إذا أحبّ هؤلاء من الصحابة، فذلك دليل على حبه لسائر الصحابة.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب المساقاة باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً.

(٢) لم أجد مصدره.

(٣) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٥ / ١٤) عند تفسير آية رقم ٦ من سورة لقمان، وانظر
عون المعبود بشرح سنن أبي داود (١٨٦ / ١٣، ١٨٧) طبعة دار الكتب العلمية بيروت لعام ١٤١٥ هـ،
وانظر كذلك العلل ومعرفة الرجال (٧٠ / ٢) للإمام أحمد ابن حنبل الطبعة الأولى بتحقيق وصي الله
محمد عباس - حفظه الله - (تخريج الشيخ أحمد الحكمي - وفقه الله -).

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ يَجْلِسُ مَعَ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ ^(١) فَاحْذَرُهُ، وَعَرِّفْهُ، فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُ
بَعْدَمَا عَلِمَ فَاتَّقِهِ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى [١].

ثم ذكر جماعة من التابعين، وأتباع الأتباع، وهم أيوب السخيتاني، وابن عون،
ويونس بن عبيد، وعبد الله بن إدريس الأودي، والشعبي، ومالك بن مغول، ويزيد بن
زريع، ومعاذ بن معاذ، ووهب بن جرير، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ومالك بن أنس،
والأوزاعي، وزائدة بن قدامة؛ فاعلم أنه صاحب سنة.

ثم ذكر بعد ذلك أحمد بن حنبل، والحجاج بن المنهال السلمي، وأحمد بن نصر
الخرزاعي، وقال: وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل والحجاج بن المنهال وأحمد بن
نصر وذكرهم بخير وقال قولهم؛ فاعلم أنه صاحب سنة.

وما ذكره المؤلف دليل على عقيدة الرجل، فإنه إذا أثنى على أهل السنة وأحبهم فهو
منهم، وإذا أثنى على أهل البدعة وأحبهم فهو منهم.

وقد قال النبي ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» ^(٢) متفق
عليه.

فهذا الحديث يقتضي أن من أحب الأنصار الذين نصروا الدين ونشروه في ربوع
الأرض بسيوفهم، وتعليمهم بالقول والفعل من أحبهم فذلك دليل على إيمانه، ومن
أبغضهم فذلك دليل على نفاقه.

نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى، وأن يجنبنا الشرور، ويرزقنا السلامة من الفتن،
وبالله التوفيق.

[١] قوله هنا: (فاحذره واعرفه) بهذه الصيغة فيما أرى أنه خطأ، لأن قوله: (فإن
جلس معه بعدما علم فاتقه) دليل على أن الصيغة الصحيحة: فحذره وعرفه، أي: فحذره
منهم وعرفه بهم وبيدعهم التي هم واقعون بها.

(١) وفي نسخة الراددي: (جالس مع رجل من أهل الأهواء).

(٢) الحديث قد سبق تخريجه.

وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالْأَثَرِ فَلَا يُرِيدُهُ، وَيُرِيدُ الْقُرْآنَ فَلَا تَشْكُ أَنَّهُ رَجُلٌ قَدْ
 احْتَوَى عَلَى الزُّنْدَقَةِ، فَقُمْ مِنْ عِنْدِهِ وَدَعُهُ [١].
 وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ تَدْعُو كُلُّهَا إِلَى السَّيْفِ، وَأَرْدُوها وَأَكْفَرُها
 الرَّوَافِضُ وَالْمُعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ، فَإِنَّهُمْ يَرُدُّونَ النَّاسَ ^(١) عَلَى التَّعْطِيلِ وَالزُّنْدَقَةِ [٢].

قَوْلُهُ: (فَإِنْ جَلَسَ مَعَهُمْ بَعْدَ مَا عَلِمَ فَاتَّقَهُ، فَإِنَّهُ صَاحِبُ هَوًى) أَيُّ صَاحِبِ بَدْعَةٍ،
 وَصَاحِبِ الْبَدْعَةِ لَا حِيلَةَ فِيهِ إِلَّا اجْتِنَابُهُ وَالبَعْدُ عَنْهُ.

[١] مَعْنَى هَذِهِ الْفَقْرَةُ أَنَّ مَنْ لَا يَقْتَنِعُ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ فَهُوَ رَجُلٌ مَفْتُونٌ وَمُضِلٌّ بِهِ، لِأَنَّ
 سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ هِيَ مَبِينَةٌ لِلْقُرْآنِ، مَبِينَةٌ لِمَجْمَلِهِ، وَمَقِيدَةٌ لِمَطْلَقِهِ، وَمَخْصُصَةٌ لِعُمُومِهِ، فَكَثِيرٌ
 مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ ذَكَرَتْ فِي الْقُرْآنِ عَلَى سَبِيلِ الْإِجْمَالِ، وَبَيَّنَّتْهَا السُّنَّةُ أَعْظَمَ بَيَانٍ.
 وَلِهَذَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ مُحَذِّرًا مِنْ هَذَا الْمَسْلَكِ الْوَحِيمِ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ
 وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يَوْشِكُ رَجُلٌ شَبْعَانٌ عَلَى أُرَيْكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِهَذَا الْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ
 مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا
 كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبْعِ، وَلَا لَقِطَةٌ مَعَاهِدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ
 فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرَؤَهُ، فَإِنْ لَمْ يَقْرَؤَهُ فَلَهُ أَنْ يَعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاءِهِ» ^(٢).

فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ أَصْلٌ، وَمَنْ أَبَى مِنَ السُّنَّةِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ أَنَّهُ زَنْدِيقٌ
 وَمُبْتَدِعٌ أَوْ فِيهِ مِنَ الزُّنْدَقَةِ وَالْبَدْعَةِ مَا فِيهِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

[٢] قَوْلُهُ: (وَاعْلَمْ أَنَّ الْأَهْوَاءَ كُلَّهَا رَدِيَّةٌ تَدْعُو إِلَى السَّيْفِ...) إلخ.

مَعْنَى ذَلِكَ: أَنَّ الْمَذَاهِبَ الْمُبْتَدِعَةَ تَدْعُو إِلَى الْخُرُوجِ عَلَى السُّلْطَانِ؛ فَالْرافِضَةُ
 يَكْفُرُونَ الصَّحَابَةَ مَا عدا عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَعَدَدٌ قَلِيلٌ مَعَهُ لَا يَتَجَاوَزُونَ أَصَابِعَ الْيَدِ الْوَاحِدَةِ،

(١) وَفِي نَسْخَةِ الرَّدَادِيِّ: (يَرُدُّونَ النَّاسَ).

(٢) الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِهِ فِي كِتَابِ السُّنَّةِ بَابَ لُزُومِ السُّنَّةِ، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي
 مُسْنَدِ الشَّامِيِّينَ بِرَقْمِ ١٦٧٢٢، وَقَدْ صَحَّحَ الْحَدِيثَ الْإِمَامُ الْعَلَامَةُ الْأَلْبَانِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ- فِي
 صَحِيحِ الْجَامِعِ بِرَقْمِ ٢٦٤٣، وَأَحَالَ إِلَى الْمَشْكَاةِ بِرَقْمِ ١٦٣ فَرَاغَهُمَا إِنْ شِئْتَ.

أما غيرهم فهم يكفرونهم بدءًا بأبي بكر وعمر وانتهاءً بكل صحابي، ولهم أقوال سيئة يخالفون بها الحق.

فالنبي ﷺ يشهد للعشرة بالجنة، والرافضة: يقولون أبو بكر وعمر صنما قريش، ويفسرون الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر، ويزعمون أن عليًا وبنيه معصومون، ويساؤونهم بالأنبياء، ويتهمون جبريل بأنه أرسل إلى علي فعدل بالرسالة إلى محمد، ولهم أقوال قبيحة جدًا، وتخون الخليلين جبريل ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - من أعظم الكفر.

والمعتزلة من أصولهم: جواز الخروج على الولاة، ويسمونهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويزعمون بأن كلام الله مخلوق، ويتفقون مع الجهمية على تعطيل الأسماء والصفات، ويزعمون بأن الله لا يرى في الآخرة... إلى غير ذلك من العقائد التي تخالف ما كان عليه النبي ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين - رضوان الله عليهم، وحشرنا الله في زمريتهم -، وبالله التوفيق.



وَأَعْلَمَ أَنَّ مَنْ تَنَاوَلَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - فَأَعْلَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدًا ﷺ، وَقَدْ آذَاهُ فِي قَبْرِهِ، وَإِذَا ظَهَرَ لَكَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ مِنَ الْبِدْعِ، فَاحْذَرُهُ، فَإِنَّ الَّذِي أَخْفَى عَنْكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَظْهَرَ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ رَدِيءَ الطَّرِيقِ وَالْمَذْهَبِ، فَاسْقًا فَاجِرًا، صَاحِبَ مَعَاصٍ ظَالِمًا وَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ ^(١) فَاصْحَبْهُ، وَاجْلِسْ مَعَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَضُرُّكَ مَعْصِيَتُهُ، وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ عَابِدًا ^(٢) مُجْتَهِدًا مُتَقَشِّفًا مُحْتَرِقًا بِالْعِبَادَةِ صَاحِبَ هَوًى، فَلَا تَجْلِسْ مَعَهُ ^(٣)، وَلَا تَسْمَعْ كَلَامَهُ، وَلَا تَمْشِ مَعَهُ فِي طَرِيقٍ ^(٤)، فَإِنِّي لَا أَمْنُ أَنْ تَسْتَحْلِيَ طَرِيقَهُ فَتَهْلِكَ مَعَهُ، رَأَى يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ ابْنَهُ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ عِنْدِ صَاحِبِ هَوًى، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ مِنْ أَيْنَ خَرَجْتَ؟ ^(٥) قَالَ: مِنْ عِنْدِ ^(٦) عَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ، قَالَ: يَا بُنَيَّ، لَأَنْ أَرَاكَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِ هَيْتِي ^(٧) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاكَ ^(٨) تَخْرُجُ مِنْ بَيْتِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ ^(٩)، وَلَأَنْ تَلْقَى اللَّهَ يَا بُنَيَّ زَانِيًا فَاسِقًا سَارِقًا خَائِنًا؛ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَلْقَاهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ يُونُسَ قَدْ عَلِمَ أَنَّ الْهَيْتِي لَا يُضِلُّ ابْنَهُ عَنْ دِينِهِ، وَأَنَّ صَاحِبَ الْبِدْعَةِ يُضِلُّهُ حَتَّى يَكْفُرَ ^(١٠) [١].

[١] إِنْ قَوْلَ الْبَرْبَهَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَضَمَّنُ النِّهْيَ عَنِ الْكَلَامِ فِي أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ

(١) وفي نسخة الراددي: (وهو على السنة).

(٢) وفي نسخة الراددي: (وإذا رأيت الرجل مجتهدًا في العبادة).

(٣) وفي نسخة الراددي: (فلا تجالسه، ولا تقعد معه).

(٤) وفي نسخة الراددي: (طريقته).

(٥) وفي نسخة الراددي: (من أين جئت).

(٦) وفي نسخة الراددي: (من عند فلان).

(٧) وفي نسخة الراددي: (من بيت خنتي).

(٨) وفي نسخة الراددي بزيادة: (يا بني).

(٩) وفي نسخة الراددي: (بقول فلان وفلان).

(١٠) وفي نسخة الراددي: (ألا ترى أن يونس بن عبيد قد علم أن الخنثى لا يضل ابنه عن دينه وأن صاحب البدعة يضلّه حتى يكفر).

وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبًا ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه»^(١) رواه البخاري ومسلم.

بل الكف عن أصحاب رسول الله ﷺ وعدم الكلام فيهم هو قول أهل السنة قاطبة، ومن خالف في ذلك فهو يدل على نفسه أنه مبتدع.

وقوله: (وإذا ظهر لك من إنسان شيء من البدع فاحذره، فإن الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر).

هذا فيه تنفير من أصحاب البدع، وأن أهل البدع يتسرَّرون ببدعهم ويتخفون بها، بخلاف أهل السنة، فأهل السنة يتحاشون التسرُّر في أمور الدين، ويرون أن ذلك إنما هو طريقة أهل البدع.

وقد قال عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيت قومًا يتناجون في أمر دينهم دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة»^(٢).

لذلك فإن أهل السنة يتحاشون التخفي في أمور الدين ويتعدون عنه، ويعتبرونه من علامات أهل البدع.

ثم قال: (وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب فاسقًا فاجرًا صاحب معاصٍ ظالمًا، وهو من أهل السنة فاصحبه، واجلس معه، فإنه لا تضرَّك معصيته).

وأقول: لم يقل المؤلف هنا ما قاله إلا على سبيل المفاضلة بين المبتدع والفاسق؛ فالمبتدع يرى أنه على حق ويستمر على ما هو عليه، بينما الفاسق يعتبر نفسه عاصيًا وظالمًا؛ فلذلك ينتظر منه التوبة، ولا شك أن صاحب الكبائر أقرب إلى الحق من صاحب

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) انظر سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٥٤ (تخريج الشيخ عبد الله بن محمد حسين النجمي - حفظه الله -).

فلذلك يرى المؤلف أنَّ مجالسة الفاسق أهون وأخف جرمًا من مجالسة المبتدع، وليس معنى ذلك أنه يأمر بمجالسة الفاسق.

ويبنى على ذلك قوله: (وإذا رأيت الرجل عابداً مجتهداً، متقشفاً، محترفاً بالعبادة، صاحب هوى، فلا تجلس معه ولا تسمع كلامه...) إلخ.

وأقول: لقد بحثنا عن كلمة الهيئي فلم نجد لها مصدرًا مع أننا نظرنا في كتب اللغة المطولة، ولعلَّ المراد بها المخنث نسبةً إلى هيت المخنث الذي طرده النبي ﷺ عن المدينة كما جاء في الصحيحين^(١) وغيرهما.

أو المراد به الجرّار الذي يجبر على النساء بالحرام نسبةً إلى امرأة العزيز حين قالت ليوسف -عليه الصلاة والسلام-: ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف: ٢٣]، أو: ﴿هَيْتُ لَكَ﴾ أو: ﴿هَيْتُ لَكَ﴾ هذه كلها قراءات، ومعناها: هلمَّ فقد تهيأت لك.

وهذا إنما قلته اجتهدًا مني، ولا أدري هل هو صوابٌ أو خطأ غير أنه هو الذي بلغه علمي، علمًا بأنَّ كلام يونس بن عبيد لولده حين رآه خرج من عند عمرو بن عبيد القدري هذا فيه أنَّ من يخالط أصحاب المعاصي الكبائر خيرٌ ممن يخالط أصحاب البدع وكان

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب المغازي باب غزوة الطائف وقد جاء بلفظ: عن أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا دخل علي النبي ﷺ وعندي مخنث فسمعتة يقول لعبد الله بن أبي أمية: «يا عبد الله، أرايت إن فتح الله عليكم الطائف غدًا فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان» وقال النبي ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكن».

قال ابن عيينة وقال ابن جريج: المخنث هيت حدثنا محمود حدثنا أبو أسامة عن هشام بهذا وزاد وهو محاصر الطائف يومئذٍ.

وأخرجه أيضًا في كتاب النكاح باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة، وفي كتاب اللباس من صحيحه باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، وأخرجه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ عَنْهُ عن أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا في كتاب السلام باب منع المخنث من الدخول على النساء الأجانب.

معهم في بدعهم، ولو كان مجتهداً في العبادة، وبالله التوفيق.

فاحذرْ ثُمَّ احذرْ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً، وَاَنْظُرْ مَنْ تُجَالِسُ، وَمِمَّنْ تَسْمَعُ وَمَنْ تَصْحَبُ، فَإِنَّ الْخَلْقَ كَأَنَّهُمْ فِي رِدَّةٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَإِذَا رَأَيْتَ ^(١) الرَّجُلَ يَذْكُرُ ابْنَ أَبِي دُوَادٍ، وَالْمَرِّيَّ ^(٢)، وَثُمَامَةَ، أَوْ أَبَا هُذَيْلٍ، أَوْ هِشَامًا الْفُوطِيَّ، أَوْ وَاحِدًا مِنْ أَتْبَاعِهِمْ، وَأَشْيَاعِهِمْ، فَاحْذَرُهُ فَإِنَّهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ كَانُوا عَلَى الرَّدَّةِ، وَاتْرُكْ هَذَا الرَّجُلَ الَّذِي ذَكَرَهُمْ بِخَيْرٍ ^(٣) [١].

[١] وأقول: إِنَّ قول المؤلف رَحِمَهُ اللهُ: (فاحذرْ ثُمَّ احذرْ أَهْلَ زَمَانِكَ خَاصَّةً، وانظر

من تجالس، وممن تسمع، ومن تصحب).

في هذا تحذيرٌ لطالب العلم، وأنه لا ينبغي أن يجالس ولا يصاحب ولا يسمع إلاَّ مِمَّنْ يثق بعلمه وعقيدته.

أَمَّا قوله: (فإنَّ الخلق كلهم كأنهم في ردة) فهذا كان ينبغي ألاَّ يقوله ولا يجوز الحكم على الناس جميعاً، ولكن من اعتقد مذهب المعتزلة فهو في هذه الحالة يعدُّ منهم، ومن عظم رؤساء المعتزلة كأحمد بن أبي دُوَادٍ، وبشر المريسي، أو ثمامة بن أشرس، أو أبا الهذيل العلاف، أو هشام الفُوطِيَّ هؤلاء كلهم من رؤساء المعتزلة، فمن رأيتهم يعظمهم ويأخذ بأرائهم، فإنه يلتحق بهم ويكون في عدادهم، ويجب أن يهجر كما هجروا، لأنَّه إذا ذكر هؤلاء بخير فهو واقعٌ فيما وقعوا فيه.

قوله: (إلاَّ من عصم الله) هذا استثناءٌ، فكأنَّه لم ينجو من الردة إلاَّ القليل ممن عصمه الله وهذا الكلام لا نوافقه عليه، بل أنَّ الأصل في المسلمين الإسلام، ولا يخرج من

(١) وفي نسخة الراددي: (وانظر إذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دُوَادٍ).

(٢) وفي نسخة الراددي: (وبشر المريسي).

(٣) وفي نسخة الراددي بزيادة: (ومن ذكر منهم).

الإسلام إلا من تبينت ردة.

وَالْمِحْنَةُ فِي الْإِسْلَامِ بِدْعَةٌ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَيُمْتَحَنُ بِالسُّنَّةِ، لِقَوْلِهِ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»^(١). وَقَوْلِهِ: «لَا تَقْبَلُوا الْحَدِيثَ إِلَّا مِمَّنْ تَقْبَلُونَ شَهَادَتَهُ»^(٢)، فَتَنْظُرُ فَإِنْ كَانَ صَاحِبَ سُنَّةٍ لَهُ مَعْرِفَةٌ صَدُوقًا كَتَبَتْ عَنْهُ وَإِلَّا تَرَكْتَهُ [١].

فإن كان قد وقع في شيء من البدع غير المكفرة أو وقع في شيء من المعاصي فنحن لا نحكم عليه بالكفر؛ لأن ذلك صعب وقد نهينا عن التكفير إلا بأمر واضح يكون معنا فيه الدليل، سواء كان ما نكفره به قول أو فعل أو اعتقاد؛ أي: أنا لا نكفره إلا بما اتضح أنه فيه باعتدافه، أو ثبت عليه بقول الثقات من الناس، وبالله التوفيق.

[١] وأقول: قوله: (المحنة في الإسلام بدعة) يعني: أن يمتحن الرجل حتى يعرف

هل هو من أهل السنة أم لا؟

والظاهر: أن عموم الناس على عموم الإسلام، ولا نمتحن أحداً إلا إذا أظهر لنا خلاف مذهب أهل السنة، بأن يكون متهاوناً بالإرجاء أو بمعتقد الجهمية أو الصوفية أو الرافضة أو ما أشبه ذلك، فهو يُسأل عما هو متهم به.

فإن كان مرجئاً يُسأل هل الإيمان يزيد وينقص، وهل هو اعتقاد وقول وعمل، أم يكفي فيه

التصديق؟

وإذا كان معتزلياً يُسأل عن الأصول الخمسة التي عند المعتزلة.

(١) قال الشيخ الراددي: وقد صحَّ هذا من قول الإمام محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ أَخْرَجَهُ الإمام مسلم في

المقدمة (١/١٤)، وابن عدي في الكامل (١/١٥٥)، وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٧٨)، والخطيب

البغدادي في الكفاية (ص ١٦١)، والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص ٤١٤).

(٢) وقال أيضاً: أَخْرَجَهُ الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص ٤١١)، وابن عدي في الكامل (١/١٥٩)، ٢/

٧٩٨، ٤/١٣٦٩، والخطيب البغدادي في الكفاية (ص ١٢٥-١٢٦)، وفي تاريخه (٩/٣٠١)،

وابن الجوزي في الواهيات (١/١٣١) من حديث ابن عباس مرفوعاً وهو حديث ضعيف جداً،

وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦١٩٣): موضوع. اهـ مختصراً.

وإذا كان جهميًّا سئل عن الصفات، وعن القول في كتاب الله.

وَإِذَا أَرَدْتَ الاسْتِقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ وَطَرِيقِ أَهْلِ السُّنَّةِ قَبْلَكَ، فَاحْذَرِ الْكَلَامَ وَأَصْحَابَ الْكَلَامِ وَالْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ وَالْقِيَاسَ وَالْمُنَظَرَةَ فِي الدِّينِ، فَإِنَّ اسْتِمَاعَكَ مِنْهُمْ -وإنَّ لَمْ تَقْبَلْ مِنْهُمْ- يَقْدَحُ الشَّكَّ فِي الْقَلْبِ، وَكَفَى بِهِ قُبُولًا، فَتَهْلِكُ، وَمَا كَانَتْ زَنْدَقَةً قَطُّ، وَلَا بِدْعَةً، وَلَا هَوًى وَلَا ضَلَالَةً، إِلَّا مِنَ الْكَلَامِ وَالْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ وَالْقِيَاسِ، وَهِيَ أَبْوَابُ الْبِدْعَةِ، وَالشُّكُوكِ وَالزَّنْدَقَةِ [١].

وإن كان رافضيًّا سئل عن أهل البيت هل هم معصومون أو لا؟ وهكذا يقال.

وقوله: (إنَّ هذا العلم دينٌ، فانظروا عَمَّنْ تأخذون دينكم).

هذا قاله محمد بن سيرين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلى هذا فلا يؤخذ العلم إلا عن أهل السنة

وأهل الحديث، بل وأصحاب الاستقامة فيهم دون غيرهم، وبالله التوفيق.

[١] في هذه الفقرة تحذيرٌ من الكلام، والمراد به المنطق الذي وقع فيه كثيرٌ من

الناس في الأزمنة المتقدمة، وأجهدوا أنفسهم إجهاداً عظيماً من أجل أن يصلوا إلى الحقيقة كما زعموا، ولكنهم لم يصلوا إلى حقيقة، لذلك فقد ندم كثيرٌ ممن انغمسوا في الكلام، حتى إنَّ بعضهم ليتمَنَّى أن يموت على دين العجائز وهو اعتقاد العوام حتى قال بعضهم^(١):

لعمري لقد طفت المعاهد كلها سيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعاً كفَّ حائر على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادم

لذلك فقد أوصى المؤلف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وحذر من الكلام وأصحاب الكلام، وحذر من

الجدال والمراء والقِيَاس، والمناظرة في الدين، وبيَّن أنَّه كثيراً ما يقدح الشك في قلب المناظر، فيهلك بسببه، وأخبر أنَّه ما كانت قط زندقَةً، ولا بدعةً، ولا هوى، ولا ضلالة إلا

(١) وهو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم الشهرستاني كما في أول كتابه نهاية الأقدام وهو يقول في وصف

حال أهل الكلام انظر كتاب إرشاد البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية ودحض الشبه البدعية

من الكلام والجدال والمراء والقياس، وهي أبواب البدع والشكوك والزندقة.

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ، وَعَلَيْكَ بِالْأَثَرِ وَأَصْحَابِ الْأَثَرِ وَالتَّقْلِيدِ، فَإِنَّ الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْلِيدِ، يَعْنِي: لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ -رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-، وَمَنْ قَبْلُنَا لَمْ يَدْعُونَا فِي لِبْسٍ فَقَلَدْنَاهُمْ وَاسْتَرَحَّ وَلَا تُجَاوِزِ الْأَثَرَ وَأَهْلُ الْأَثَرِ، وَقِفْ عِنْدَ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ^(١) وَلَا تَقَسْ شَيْئًا^(٢)، وَلَا تَطْلُبْ مِنْ عِنْدِكَ حِيلَةً تَرُدُّ بِهَا عَلَى أَهْلِ الْبِدْعِ، فَإِنَّكَ أُمِرْتَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُمْ، وَلَا تُمَكِّنْهُمْ مِنْ نَفْسِكَ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ سِيرِينَ مَعَ^(٣) فَضْلِهِ لَمْ يُحِبَّ أَحَدًا^(٤) مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فِي مَسْأَلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَا سَمِعَ مِنْهُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ، فَقِيلَ لَهُ، فَقَالَ: «أَخَافُ أَنْ يُحَرِّفَهَا فَيَقْعُ فِي قَلْبِي شَيْءٌ»^(٥) [١].

وأقول: إنَّ هذا يحصل في الأغلب بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وزعمهم أنَّ الكتاب والسنة لا توصل إلى الحقيقة، فلمَّا فعلوا ذلك إعراضًا منهم عن شريعة الله، واعتقدوا الحقائق في كلام الفلاسفة عند ذلك عاقبهم الله.

كما قال -جل وعلا-: ﴿وَنَقَلِبْ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]. وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]، وبالله التوفيق.

[١] وأقول: قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: (فإنَّ الدين إنما هو التقليد).

أقول: رحم الله المؤلف؛ فإنَّ اتباع النبي ﷺ وأصحابه، واتباع الآثار ليس بتقليد،

(١) وفي نسخة الراددي: (المتشابه) بدون قوله: (القرآن والحديث).

(٢) وفي نسخة الراددي: (ولا تفسر).

(٣) وفي نسخة الراددي: (في فضله).

(٤) وفي نسخة الراددي: (رجلاً) بدل أحدًا.

(٥) هذا الأثر: أخرجه الدارمي في (١/ ٩١)، وابن وضاح في البدع (ص ٥٣)، والآجري في الشريعة

(ص ٥٧)، واللالكائي في السنة (٢٤٢)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٩٨، ٣٩٩) وهو صحيح،

كما ذكر الشيخ الراددي -وفقه الله-.

وإنما التقليد هو متابعة من ليس بمعصوم على غير دليل.

أما متابعة النبي ﷺ فهو الذي أمرنا الله به، وما كان ينبغي له أن يسمى هذا تقليداً. وكذلك متابعة الصحابة ومن بعدهم من السلف المتبعين للأثار لم تكن متابعتهم تقليداً؛ وإنما هي متابعة للدليل إلا أن العامي الذي يتابع العالم السني، ولا يعرف مأخذه ولا دليله، هذا هو التقليد.

أما من تابع العلماء قبله بحيث عرف أدلتهم وأخذ بها وتابعهم على ذلك، فإن هذا هو المطلوب من العلماء، وهو أنهم يبحثون عن الأدلة من مظانها، ويعملون بها، فهم يكونون بذلك مجتهدين من أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر. أما قوله: (وقف عند متشابه القرآن والحديث، ولا تقس شيئاً ولا تطلب من عندك حيلة ترد بها على أهل البدع).

فمعنى ذلك أنك لا تتكلف الرد على المبتدع، ولا تجهد نفسك بمحاورته ومناظرته، فإنه يخاف عليك في ذلك، وليس هذا يكون لكل الناس، بل من أنس من نفسه القوة والقدرة والعلم على مناظرتهم بحجج يقرعون بها كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية، فالظاهر أن ذلك جائز، وبالله التوفيق.



وَإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللَّهَ، إِذَا سَمِعَ آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
فَاعْلَمْ أَنَّهُ جَهْمِيٌّ، يُرِيدُ أَنْ يَرُدَّ آثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَيُدْفَعَهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّهُ
يُعَظِّمُ اللَّهَ^(١) وَيُنَزِّهُهُ إِذَا سَمِعَ حَدِيثَ الرَّؤْيِيَّةِ، وَحَدِيثَ النُّزُولِ، وَغَيْرَهُ، أَفَلَيْسَ قَدْ رَدَّ
آثَرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَالَ: إِنَّا^(٢) نُعَظِّمُ اللَّهَ أَنْ يَنْزِلَ^(٣) مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ؛ فَقَدْ زَعَمَ
أَنَّهُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَاحْذَرْ هَؤُلَاءِ، فَإِنَّ جُمْهُورَ النَّاسِ مِنَ السُّوقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَى
هَذَا الْحَالِ، وَحَذَرِ النَّاسِ مِنْهُمْ، وَإِذَا سَأَلَكَ الرَّجُلُ^(٤) مِنْهُمْ عَنْ مَسْأَلَةٍ فِي هَذَا الْبَابِ^(٥)
وَهُوَ مُسْتَرْشِدٌ فَكَلِّمَهُ وَأَرْشُدْهُ، وَإِذَا جَاءَكَ يَنْظُرُكَ؛ فَاحْذَرْهُ، فَإِنَّ فِي الْمُنَاطَرَةِ الْمِرَاءَ
وَالْجِدَالَ وَالْمُغَالَبَةَ وَالْخُصُومَةَ وَالْغَضَبَ، وَقَدْ نُهِيتَ^(٦) عَنْ جَمِيعِ هَذَا جِدًّا، وَهُوَ
يُزِيلُ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَلَمْ يَبْلُغْنَا عَنْ أَحَدٍ مِنْ فُقَهَائِنَا وَعُلَمَائِنَا أَنَّهُ نَظَرَ أَوْ جَادَلَ أَوْ
خَاصَمَ، قَالَ الْحَسَنُ^(٧): «الْحَكِيمُ لَا يُمَارِي وَلَا يُدَارِي، حِكْمَتُهُ يَنْشُرُهَا»^(٨)؛ إِنْ قُبِلَتْ
حَمْدُ اللَّهِ، وَإِنْ رُدَّتْ حَمْدُ اللَّهِ»^(٩)، وَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْحَسَنِ فَقَالَ: أَنَا أَنُظِرُكَ فِي الدِّينِ،
فَقَالَ الْحَسَنُ: «أَنَا عَرَفْتُ دِينِي، فَإِنْ ضَلَّ دِينُكَ فَادْهَبْ فَاطْلُبْهُ»^(١٠)، وَسَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

(١) وفي طبعة: (ويتزهد) كما ذكر ذلك الراددي - وفقه الله -.

(٢) وفي نسخة الراددي: (إِنَّا نَحْنُ نُعَظِّمُ اللَّهَ).

(٣) وفي نسخة الراددي: (أَنْ يَزُول).

(٤) وفي نسخة الراددي: (أَحَد).

(٥) وفي نسخة الراددي: (الكتاب).

(٦) وفي نسخة الراددي بعد قوله: (وقد نهيت عن هذا) زيادة: (جدًّا يخرجان جميعًا من طريق الحق).

(٧) وفي نسخة الراددي: (الحسن البصري).

(٨) وفي طبعة: (ولا يداري في حكمته أن ينشرها).

(٩) قال الشيخ الراددي - حفظه الله -: (أخرجه نعيم بن حماد في زوائد على الزهد لابن المبارك (٣٠)،

وابن بطة في الإبانة الكبرى (٦١١) وإسناده ضعيف فيه راو مبهم). اهـ

(١٠) قال الشيخ الراددي: (أخرجه الآجري في الشريعة (ص ٥٧) واللالكائي في السنة (٢١٥) وابن بطة

في الإبانة الكبرى (٥٨٦) وهو صحيح). اهـ

قَوْماً عَلَى بَابِ حُجْرَتِهِ يَقُولُ أَحَدُهُمْ: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا؟^(١) فَخَرَجَ مُغْضَبًا، فَقَالَ: «أَبْهَذَا أَمَرْتُكُمْ؟!»^(٢) أَمْ بِهَذَا بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ؟! أَنْ تَضْرِبُوا كِتَابَ اللَّهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؟!»^(٣) فَتَنَاهُمْ عَنِ الْجِدَالِ^(٤)، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنه يَكْرَهُ الْمُنَازَعَةَ، وَمَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَمَنْ فَوْقَهُ، وَمَنْ دُونَهُ، إِلَى يَوْمِنَا هَذَا^(٥)، وَقَوْلُ اللَّهِ تعالى أَكْبَرُ مِنْ قَوْلِ الْخَلْقِ، قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤]. وَسَأَلَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: مَا ﴿وَالنَّشِطَاتِ﴾^(٦) نَشْطًا؟ [النازعات: ٢]. فَقَالَ: «لَوْ كُنْتُ مَحْلُوقًا»^(٧)، لَضَرَبْتُ عَنْقَكَ»^(٨)، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لَا يُمَارِي، وَلَا أَشْفَعُ لِلْمُمَارِي يَوْمَ

(١) وفي طبعة أخرى أوردها الراددي بزيادة: (وقال الآخر: أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ كَذَا).

(٢) وفي رواية عند الإمام أحمد: (أمرتم).

(٣) قال الشيخ الراددي: الحديث صحيح أخرجه أحمد (١٩٥ / ٢ - ١٩٦)، وابن ماجه في (المقدمة باب

في القدر، ٨٥) واللالكائي في (السنة ١١١٨، ١١١٩) وصححه البوصيري في (زوائد ابن ماجه ١ /

١٤) والألباني في (حاشية شرح الطحاوية ص ٢١٨). اهـ، قال الشيخ القحطاني وفي السنة لعبد الله

بن أحمد فقرة ٨٦ والبغوي في شرح السنة (١ / ٢٦٠). اهـ

(٤) وفي طبعة: (فنهى عن الجدال).

(٥) قال الشيخ الراددي: انظر المصادر الآتية ففيها مزيد من البيان: سنن الدارمي (١ / ٧٧) والسنة

للالكائي (١ / ١١٤ - ١٥٠) والإبانة الكبرى لابن بطة (٤٨٣ - ٥٤٩) والفتاوى والمتفقه للخطيب

البغدادي (١ / ٢٣٠) والحجة للأصبهاني (١ / ٣١١). اهـ

(٦) وفي نسخة الراددي: (النشاطات).

(٧) قال الشيخ القحطاني: محلوفاً، وذلك أَنَّ سيما الخوارج التحليق. انظر تفصيل ذلك في آخر كتاب

السنة لعبد الله بن أحمد. اهـ

(٨) قال الشيخ الراددي: الرجل الذي سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو صبيغ وقصته صحيحة مشهورة

أخرجها الدارمي (١ / ٥١)، وابن وضاح في البدع (ص ٥٦)، والآجري في الشريعة (ص ٧٣)،

واللالكائي في السنة (ص ٦٣٤ - ٦٣٦)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١ / ٤١٤ - ٤١٥). اهـ

الْقِيَامَةِ، فَدَعُوا الْمِرَاءَ لِقَلَّةِ خَيْرِهِ»^(١) انتهى [١].

[١] وأقول إن قول البربهاري رَحِمَهُ اللهُ: (وإذا سمعت الرجل يقول: إنا نحن نعظم الله إذا سمع آثار رسول الله ﷺ؛ فاعلم أنه جهمي يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ ويدفعه بهذه الكلمة، وهو يزعم أنه يعظم الله وينزهه.

وإذا سمع حديث الرؤية وحديث النزول وغيره أفليس قد رد أثر رسول الله ﷺ إذا قال إنا نحن نعظم الله أن ينزل من موضع إلى موضع، فقد زعم أنه أعلم بالله من غيره، فاحذر هؤلاء، فإن جمهور الناس من السَّوَّةِ وغيرهم على هذا الحال وحذر الناس منهم). الظاهر منه أنه شاع هذا في زمنه عند من يعطلون صفات الله ﷻ بِأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ التَّعْظِيمِ لِلَّهِ ﷻ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَنْزَهُونَهُ مِنَ النُّزُولِ وَالصُّعُودِ وَالِاسْتِواءِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَيَرُدُّونَ آثَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

وما هذه إلا خدعة تعلموها من شيوخهم المبتدعة، فهم يخدعون الجاهل بقولهم: إنا نعظم الله، ويردون آثار رسول الله ﷺ بهذه الحيلة، وهم مع ذلك يتركون آثار رسول الله ﷺ ويتركون كتاب الله حينما يلبسون على الناس هذا التلبيس.

ولا والله ما عظم الله من رد خبره وترك أمره، ولا عظم رسوله ﷺ من فعل ذلك في سنته - صلوات الله وسلامه عليه -.

فهذا تحذير من هذا الإمام من هؤلاء الجهالة الضالين الذين يتركون قول الله وقول رسوله ﷺ، ويأخذون بآرائهم أو آراء شيوخهم، فأبي تعظيم الله ولرسوله قام به من يفعل ذلك؟!

(١) الحديث قال عنه الشيخ الراددي: ضعيف جداً أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٨/٨ - ١٧٩) والآجري في الشريعة (ص ٥٥ - ٥٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٥٦، ٧/٢٥٩): وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً. وقال في (١/١٠٦): وفيه كثير بن مروان كذبه يحيى والدارقطني. انظر: ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٤٠٩)، ثم قال الراددي - وفقه الله -: تنبيه وقع اسم كثير بن مروان عند الآجري مصحفاً إلى حكيم بن مروان! اهـ

فنسأل الله أن يعافينا مما ابتلاهم، علمًا بأنهم إذا عطلوا صفات الله وَجَلَّ يكونون قد جردوه من صفات الكمال، وجعلوا له صفات الجماد الذي لا يتحرك، والعياذ بالله! قوله: (وإذا سألك الرجل منهم عن مسألة في هذا الباب وهو مسترشد فكلمه وأرشدته، فإذا جاءك يناظرك فاحذره، فإنَّ في المناظرة المراء والجدال والمغالبة والخصومة والغضب وقد نهيت عن جميع هذا، وهو يزيل عن طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحدٍ من فقهاءنا وعلمائنا أنه جادل أو ناظر أو خصم).

وأقول: قول المؤلف هاهنا فيه تحذير من الجدال والخصام والمناظرة والمغالبة.

وقد يقال: إنَّ فيه تفصيل:

- ١- إن كان الإنسان يغلب على ظنه أنه سيغلب في المناظرة لحفظه للنصوص التي تدين خصمه، فالظاهر أنه يجوز له ذلك، وكذلك فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمته الله؛ لقد ناظر كثيرًا من فئات البدع والآراء الضالة؛ فغلبهم وجادلهم وخصمهم فبهرهم.
 - ٢- أمَّا إذا كان الإنسان يجد من نفسه الضعف عند استحضار الأدلة، والضعف في شخصيته، فإنَّ استحضار الأدلة قد يكون في بعض المواضع يحتاج إلى شخصية تعزّزه، فإنَّه في هذه الحالة ينبغي له أن يترك المناظرة.
- هذا هو الأولي في نظري؛ أخذًا بما قرأناه عن ترجمة الإمام ابن تيمية رحمته الله، وما أثر عن علي بن أبي طالب في إرساله لابن عباس رضي الله عنهما لمناظرة الحواريين^(١).
- أمَّا ما رواه عن الحسن أنه قال: الحكيم لا يماري ولا يداري حكمته ينشرها إن قبلت حمد الله، وإن ردَّت حمد الله^(٢).

(١) لمزيد من الاستقصاء حول هذا الأثر فليرجع في ذلك إلى كتاب الفرق بين الفرق ص ٧٩ وشرح نهج البلاغة ٢/ ٢٧٥ والكامل المبرد ج ٢/ ١١٧ نقلًا من كتاب فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للشيخ غالب بن علي عواجي عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ج ١/ ٧٢ الطبعة الثانية لعام ١٤١٤ هـ.

(٢) سبق بيان ضعف هذه الرواية.

فهذا لا بأس به على وجه مما قلناه، ليستعمل الإنسان البيان وليجتنب المناظرة والمغالبة، ولينشر الحق من طريق الدروس والبيان الذي يستطيع عليه، ولا يترك المجال لأهل البدع، فإنَّ في عمله هذا مدافعة عن الدين الإسلامي وعن السنة بقدر ما يستطيع هذا، والتوفيق من الله.

إنَّ الداعية إلى الدين الحق بحاجة إلى كثرة الدعاء، واللجوء إلى الله وَجَلَّ أن يعينه ويثبته ويوفقه.

ثمَّ إنَّ الحكاية التي حكاها إن صحت فهي جيدة، أي قوله: (أنا عرفت ديني، فلست بحاجة أن أناظر عليه أو أخطر به، فإن كنت يا أيها المبتدع قد أضللت دينك، فاذهب فابحث عنه أو اطلبه).

أمَّا قوله: (وسمع رسول الله ﷺ قوماً على باب حجرته يقول أحدهم: ألم يقل الله كذا، ويقول الآخر: ألم يقل الله كذا، فخرج مغضباً وقال: أبهذا أمرتكم أم بهذا بعثت إليكم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فنهاهم عن الجدل).

قال المعلق: أخرجه أحمد في المسند (ج ٢ / ١٧٨-١٨١)، وابن ماجه في المقدمة رقم الحديث (٨٥)، وصححه صاحب الزوائد على ابن ماجه.

ففي هذا الحديث أن النبي ﷺ خاف على أمته من أن يضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وطالب العلم بحاجة أن يعرف الآيات المتعارضة والتوفيق بينها إن كان التوفيق ممكناً، وأن يعرف الناسخ من المنسوخ، والمطلق من المقيّد، والعام من الخاص، فإذا تعلم هذه المسائل وهضمها، فإنَّه ينبغي له أن يعمل بها ويعلمها غيره.

ولا شك أن ترك الجدل أولى، إلّا أن المناقشة التي تحصل من قوم يريدون أن يتوصلوا إلى الحق وإلى القول الراجح في المسألة من دون رغبة في ظهور الشخصية أو الرياء للناس وحب الاستعلاء، ففي هذه الحالة لا شيء في ذلك.

ومثل ذلك القول في الجدل في الحج إذا كان الجدل مقصوداً به التوصل إلى الحق والبحث عنه والأخذ به، فهذا لا يمنع -إن شاء الله-.

قوله: (وكان ابن عمر يكره المناظرة، ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا^(١))، وقول الله تعالى: ﴿مَا يُجَدِّلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [غافر: ٤٤].
 قد تقدم أن قلت ما ترجح لي في المناظرة وهو الذي اعتقد أنه الحق.
 أمّا الاستدلال بالآية على منع الجدل بالكلية، فهذا فيه نظر، لأن هذه الآية نازلة في جدال الكفار للمؤمنين، إذ إن قصدهم أن يغلّبوا المؤمنين بجدالهم الذي يريدون به نصرة الباطل.
 قوله: (وسأل رجل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما: ﴿وَالنَّشِطَاتِ نَشْطًا﴾؟ فقال: لو كنت محلوقاً لضربت عنقك)^(٢).

وأقول: شبيهاً بهذه الرواية ما ورد في قصة صبيغ بن عسل العراقي عند الإمام الدارمي في مقدمته: جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ قال: في الرحل.
 قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك منه العقوبة الموجعة فأناه به، فقال عمر: تسأل محدثاً، وأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دبرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له.
 قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برأت.

فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: ألا يجالسه أحد من المسلمين، فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى رضي الله عنه إلى عمر رضي الله عنه أن قد حسنت توبته، فكتب عمر أن ائذن للناس بمجالسته^(٣).

(١) تقدم تخريج هذا الأثر.

(٢) تقدم تخريج هذا الأثر.

(٣) رواه الإمام الدارمي رحمته الله في سننه في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع.

قوله: (وقال النبي ﷺ: المؤمن لا يماري، ولا أشفع للماري يوم القيامة، ودعوا المراء لقللة خيره).

قال المعلق^(١): انظر تخريجه في مجمع الزوائد (١/١٥٦ و ٧/٢٥٩).
وأقول: هذا الحديث لا أدري الآن عن صحته^(٢)، ولكن يغنينا عنه الحديث الصحيح: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً، وبيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً، وبيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٣) رواه أبو داود وغيره، وبالله التوفيق.



(١) أي الشيخ محمد بن سعيد القحطاني.

(٢) قال الشيخ الراددي: هذا الحديث ضعيفٌ جداً أخرجه الطبراني في الكبير (٨/١٧٨ - ١٧٩) والآجري في الشريعة (ص ٥٥ - ٥٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٥٦، ٧/٢٥٩): وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً. وقال في (١/١٠٦): وفيه كثير بن مروان كذبه يحيى القطان والدارقطني. وانظر ميزان الاعتدال للذهبي (٣/٤٠٩) تنبيه: وقع اسم كثير بن مروان عند الآجري مصحفاً إلى حكيم بن مروان. اهـ

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود واللفظ له في كتاب الأدب باب ما في حسن الخلق، وأخرجه الإمام ابن ماجه في المقدمة باب اجتناب البدع، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في المراء، وقد حسن الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج ١/٣٠٦ برقم ١٤٦٤.

وَلَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ ^(١) مُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ: فَلَانٌ صَاحِبُ سُنَّةٍ، حَتَّى يَعْلَمَ ^(٢) مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ خِصَالُ السُّنَّةِ، لَا يُقَالُ لَهُ صَاحِبُ سُنَّةٍ حَتَّى تَجْتَمِعَ فِيهِ السُّنَّةُ كُلُّهَا، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَصْلُ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ هَوَى أَرْبَعَةُ أَهْوَاءٍ، فَمِنْ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ أَهْوَاءٌ تَشَعَّبَتْ ^(٣) الْاِثْنَانِ وَسَبْعُونَ هَوَى: الْقَدَرِيَّةُ، وَالْمُرْجِيَّةُ، وَالشَّيْعَةُ، وَالْخَوَارِجُ»، فَمَنْ قَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيًّا عَلَى ^(٤) أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَمْ يَتَّكِلْ فِي الْبَاقِينَ إِلَّا بِخَيْرٍ وَدَعَا لَهُمْ، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ التَّشْيِيعِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَمَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ؛ فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْإِرْجَاءِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَمَنْ قَالَ: الصَّلَاةُ خَلْفَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَالْجِهَادُ مَعَ كُلِّ خَلِيفَةٍ، وَلَمْ يَرِ الْخُرُوجَ عَلَى السُّلْطَانِ بِالسَّيْفِ، وَدَعَا لَهُمْ بِالصَّلَاحِ، فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْخَوَارِجِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَمَنْ قَالَ: الْمَقَادِيرُ كُلُّهَا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرُهَا وَشَرُّهَا، يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَقَدْ خَرَجَ مِنْ قَوْلِ الْقَدَرِيَّةِ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ، وَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ [١].

[١] وأقول: إنَّ صاحب السنة هو من سلَّمه الله ﷻ من هذه الأهواء، وكان آخذًا بالسنن التي جاءت عن النبي ﷺ وعن أصحابه على طريقة المحدثين، ومن قلَّدهم من العوام. وقد ذكر البرهاري رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّ صاحب السنة هو: (من اجتمعت فيه خصال السنة) بأن يكون سليمًا من الأهواء المذكورة جميعًا.

والمعروف أنَّ أصول البدع خمسة، وهي:

١ - الجهمية.

٢ - الشيعة.

٣ - الخوارج.

(١) وفي نسخة الراددي: (لا يحل لرجل مسلم).

(٢) وفي نسخة الراددي: (حتى يعلم منه).

(٣) وفي نسخة الراددي: (انشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى).

(٤) وفي نسخة الراددي: (على جميع أصحاب).

٤- المرجئة.

٥- القدريّة.

والمقصود بالقدريّة: أصحاب الاعتزال الذين يقال لهم العقلانيون، فلم يذكر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ الجهميّة، ولعلّه ممن يرى أنّهم ليسوا من أمة محمد ﷺ. وقد ذكر قول عبد الله بن المبارك: «أصل اثنين وسبعين هوّى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوّى...».

ثمّ قال: (فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان وعليّاً على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقيين إلا بخير، ودعا لهم؛ فقد خرج من التشيع أوله وآخره، ومن قال: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص؛ فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره).

والمعروف أنّ الشيعة لهم فرقٌ فهو قد خرج من ذلك إذا قال بهذا القول في الصحابة. ومن قال الإيمان قولٌ وعملٌ يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء كله أوّله وآخره، لأنّ من اعتقد أنّ الإيمان يزيد وينقص، واعتقد الفرق بين المؤمنين ومنازلهم في الإيمان، فإنّه حينئذٍ يكون قد خرج من الإرجاء، والمقصود بالإرجاء تأخير العمل وأنّه ليس من الإيمان^(١).

ولهذا نرى أنّ البخاري في كتاب الصحيح قد ردّ على المرجئة ردوداً مقنعة لمن أراد الحق، ولسنا الآن بمثابة تفصيل ذلك فمن شاء فليقرأ كتاب الإيمان للبخاري في صحيحه.

ثمّ قال: (ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح؛ فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره).

وأقول: إنّ الخروج على السلطان تارةً يكون بالسيف، وتارةً يكون بالمنازعة

(١) أي أنّ الإيمان عند مرجئة الفقهاء اعتقاد بالقلب ونطق باللسان فقط.

والإثارة، وكل ذلك محرم.

وقد حرم الله الخروج على ولاية الأمر بجميع أنواعه سواء كان بالكلمة بذكر مساوئ الولاية، ونشر ما يصدر عنهم من الشر، وكنتم ما عندهم من الخير والفضائل يقصد بها أصحاب هذه الدعوات الإثارة عليهم، ونشر بغضهم في قلوب الناس، فيجب على كل مسلم أن يحذر هذا، وكذلك الخروج عليهم بالسيف.

والمهم أن قول المؤلف: (ولم ير الخروج على السلطان بالسيف) ربما يكون فيه منفذ لمن يريد الشر، ويقول إن الكلمة إنما هي أمرٌ بمعروف ونهي عن منكر، فلا تكون خروجاً، وهذا باطل؛ فالمحرم منازعة السلطان؛ أي: ذوي السلطان سلطانهم، والمحرم إثارة العامة عليهم، والمحرم نشر مساوئهم، وكنتم ما عندهم من الخير، لينتشر بغضهم في قلوب الناس، هذا كله محرم عند أهل السنة والجماعة.

قوله: (ومن قال: المقادير كلها من الله عَزَّ وَجَلَّ، خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهدي من يشاء؛ فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة).

وأقول: سبق لنا أن القدرية قسمان:

أ- القدرية النفاة: وهم الذين يقولون: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لم يقدر الكفر، ولم يقدر الفسوق والفواحش، وأن هذه الأعمال هي من أعمال العباد خارجة عن قدر الله.

وهذا هو قول عامة المعتزلة، ومن لوازم هذا القول: أن العبد خالق لأفعاله، ومن لوازمه: نسبة الله إلى العجز -جل- وتقديس عن ذلك-، ومن لوازمه: أنه يقع في ملكه ما لم يشأ ولم يرد، وهذا كله لا يجوز، والقائلون بهذا القول فرُّوا من شيء ووقعوا فيما هو أشد منه.

ب- أمّا القدرية الغلاة: وهم الذين يقولون: إن العبد ليس له تصرف، وأن تصرفه

قهري.

وهؤلاء هم القدرية المجبرة، ويقال أنهم انقرضوا.

والمهم: أن أهل السنة والجماعة يقولون: إن المقادير كلها من الله خيرها وشرها،

حلوها ومرها، فهو يقدر الخير كوناً ويريده شرعاً، ويقدر الشر كوناً ولا يريده شرعاً.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٧].

فالقدر الكوني: هو القدر العام الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ، وهذا يشمل الكفر والإيمان، والطاعة والعصيان، والبر والفسوق
والقدر الشرعي: هو ما أنزل الله في كتبه، وبلغه إلى الأمم على ألسنة رسله، والذي يريده الله من العباد أن يؤمنوا بالكتب والرسل، وآخر الكتب القرآن وآخر الرسل رسولنا محمد بن عبد الله -صلوات الله وسلامه عليه-.
وباتباع الكتب والرسل تضمن النجاة، وبترك ذلك يتعرض العبد لما لا طاقة له به من العذاب، وبالله تعالى التوفيق.



وَبِدْعَةٍ^(١) ظَهَرَتْ هِيَ كُفْرٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَمَنْ قَالَ بِهَا فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ لَا شَكَّ فِيهِ، مَنْ يُؤْمِنُ بِالرَّجْعَةِ^(٢)، وَيَقُولُ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام حَيٌّ، وَسَيَرْجِعُ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، وَمُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ، وَيَعْظُمُونَ^(٣) الْأُئِمَّةَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ، فَاحْذَرُهُمْ فَإِنَّهُمْ كُفَّارٌ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ^(٤)، قَالَ طُعْمَةُ بْنُ عَمْرٍو^(٥)، وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: «مَنْ وَقَفَ عِنْدَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، فَهُوَ شَيْعِيٌّ، لَا يُعَدُّ، وَلَا يُكَلِّمُ، وَلَا يُجَالِسُ، وَمَنْ قَدَّمَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ عليه السلام فَهُوَ رَافِضِيٌّ، قَدْ رَفَضَ آثَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-، وَمَنْ قَدَّمَ الْأَرْبَعَةَ^(٦) عَلَى جَمِيعِهِمْ^(٧)، وَتَرَحَّمْ عَلَى الْبَاقِينَ، وَكَفَّ عَنْ زَلِّهِمْ، فَهُوَ عَلَى طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ وَالْهُدَى فِي هَذَا الْبَابِ» [١].

[١] أقول: من يؤمن بهذه الترهات وهو قول الرافضة أو الشيعة أو بعض فرقهم قولهم أن علي بن أبي طالب لم يمت، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، هذه ترهات كاذبة؛ فالرعد موجود قبل وجود علي بن أبي طالب وبعده، والبرق كذلك. وكذلك الذين يعتقدون أن المهدي المنتظر في غيبة قصيرة أو طويلة، وأنه سيبعث، وأنه سيعاقب الذين أخذوا حق أهل البيت، كل هذه ترهات باطلة، فالمهدي المنتظر الذي يزعمونه، ويزعمون أنه دخل السرداب في تاريخ ٢٦٠ هـ وأنه إلى الآن في غيبته.

(١) وفي طبعة ذكرها الشيخ الرادادي: (وكل بدعة).

(٢) وفي طبعة ذكرها الشيخ الرادادي: (والذين يؤمنون بالرجعة ويقولون علي بن أبي طالب).

(٣) وفي نسخة الرادادي: (تكلموا فيه) أي في علي عليه السلام وذريته، وأنه هو وأحفاده هم الأئمة المعصومون وأنهم يعلمون الغيب إلى غير ذلك مما هو معروف عن معتقدات الشيعة الإمامية.

(٤) وفي نسخة الرادادي زيادة قوله: (ومن قال بهذا القول).

(٥) وفي نسخة الرادادي: (طعمة بن عمر) والصواب طعمة بن عمرو.

(٦) وفي نسخة الرادادي: (ومن قدم الثلاثة) المقصود بالثلاثة: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان

ذو النورين عليهم السلام والرابع هو أبو السبطين علي بن أبي طالب عليه السلام، والله أعلم.

(٧) وفي نسخة الرادادي: (على جماعتهم).

وقولهم عن علي بن أبي طالب أنه لم يمت، وقولهم هؤلاء الذين ذكرهم أو كل أئمة الجعفرية كلهم يعلمون الغيب، هذا كله اعتقاد باطل، ومن اعتقده كفر.

فمن اعتقد أن فلاناً سيبعث قبل يوم القيامة؛ فقد كذب الله في خبره.

والله ﷻ يقول لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ (٢٢) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿[الزمر: ٣٠-٣١].

ويقول سبحانه: ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرَبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (٩٥) حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَوَلَّوْنَ قَدُوكُنَا فِي عَفْوَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿[الأنبياء: ٩٥-٩٧].

والله ﷻ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمَتَعٌ الْعُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].
فمن يقول بهذه الأقوال^(١) لم يؤمن بكتاب الله، فكان لذلك كافراً.

إن الدين الإسلامي هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

وإن من مقتضيات الإيمان أن الله منفرد بعلم الغيب، فمن أعطى علم الغيب لغيره فهو كافر بالله تعالى.

والله ﷻ يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]. والله ﷻ يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

إلى غير ذلك من الآيات، فهؤلاء الذين قالوا هذه الأقوال لا شك في كفرهم، وبالله التوفيق.

(١) أي ما ذكره المؤلف في الصفحة السابقة عن شيء من اعتقادات الشيعة وما علق عليه شيخنا من شطحاتهم في هذه الصفحة.

أَمَّا قَوْلُهُ: (وبدعةً ظهرت) أو (وكل بدعة ظهرت هي كفرٌ بالله العظيم) فهذا القول فيه تجاوز لا يقرُّ عليه المؤلف؛ فليس كل بدعة تكون كفرًا، ولكن البدع تنقسم إلى قسمين: أ- مكفرة.

ب- مفسقة.

ولا يجوز أن نحكم عليها جميعًا بأنها كفرٌ، فإن قصد أن القول بأن علي بن أبي طالب لم يمت، وأنه في السحاب، وأن الرعد صوته، والبرق سوطه، فهذه البدعة من اعتقدها فهو كافر، ولسنا نقول بأن كل بدعة كفر، ولا المؤلف يقول ذلك، هذا بيان للاحتمال الوارد في قول المؤلف المذكور.

قوله: (قال طعمة بن عمرو، وسفيان بن عيينة: من وقف عند عثمان وعلي؛ فهو شيعي لا يعدل، ولا يكلم، ولا يجالس).

ومن قدَّم عليًّا على عثمان؛ فهو رافضي قد رفض آثار أصحاب رسول الله ﷺ. ومن قدَّم الأربعة على جميعهم، وترحم على الباقيين، وكفَّ عن زلهم؛ فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب).

وأقول: مذهب أهل السنة والجماعة: تقديم الأربعة الخلفاء على ترتيبهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب، ثم بقية العشرة، ثم من هاجر الهجرتين، ثم من هاجر إلى المدينة، ثم أصحاب بدر، ثم أصحاب بيعة الرضوان، ثم من أسلم وهاجر قبل الفتح، ثم من أسلم وهاجر بعد الفتح، ثم صغار الصحابة.

هذا ترتيب الصحابة وأنه يجب على كل مسلم أن يرضى عنهم، ويكفَّ عن زلهم هذه طريقة السلف الصالح في أصحاب النبي ﷺ، أمَّا غيرهم من الشيعة والخوارج وغيرهم فإنهم ضالون في حق أصحاب رسول الله ﷺ مبتدعون، يجب الحذر منهم ومن أقوالهم الشيعة وترقيعاتهم الفظيعة، وبالله التوفيق.



وَالسُّنَّةُ: أَنْ تَشْهَدَ أَنَّ الْعَشْرَةَ الَّذِينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَا تُفَرِّدُ بِالصَّلَاةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى آلِهِ فَقَطْ، وَتَعْلَمُ أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ ؓ قُتِلَ مَظْلُومًا، وَمَنْ قَتَلَهُ كَانَ ظَالِمًا، فَمَنْ أَقَرَّ بِمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ وَآمَنَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ إِمَامًا، وَلَمْ يَشُكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، وَلَمْ يَجْحَدْ حَرْفًا وَاحِدًا؛ فَهُوَ صَاحِبُ سُنَّةٍ وَجَمَاعَةٍ^(١)، كَامِلٌ قَدْ اكْتَمَلَتْ فِيهِ الْجَمَاعَةُ، وَمَنْ جَحَدَ حَرْفًا مِمَّا فِي هَذَا الْكِتَابِ، أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنْهُ، أَوْ شَكَّ وَوَقَفَ، فَهُوَ صَاحِبُ هَوًى، وَمَنْ جَحَدَ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ فِي شَيْءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى مُكَذِّبًا، فَاتَّقِ اللَّهَ وَاحْذَرْ وَتَعَاهَدْ إِيْمَانَكَ [١].

[١] أقول: السنة أن نشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة^(٢) كالعشرة المشهود لهم بالجنة، وثابت بن قيس بن شماس^(٣)، والمرأة السوداء^(٤) التي كانت تصرع.

(١) وفي نسخة الراددي: (السنة).

(٢) كما في حديث عبد الرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول الله ﷺ قال: «عشرة في الجنة: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وعبد الرحمن، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص». قال: فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة. قال أبو عيسى: أبو الأعور هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وسمعت محمدًا يقول: هو أصح من الحديث الأول. والحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب عبد الرحمن بن عوف ؓ والحديث أخرجه نحوه أبو داود في السنة باب في الخلفاء وابن ماجه في المقدمة باب فضائل الصحابة وغيرهم من أهل الحديث انظر معارج القبول ج ٣/ ١١٩١ بتحقيق عمر بن محمود أبو عمر، وقال عن الحديث: وهو صحيح. اهـ

(٣) كما في حديث عبد الخبير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده ؓ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ يقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة؟ فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي، فقال رسول الله ﷺ: «ابنك له أجر شهيدين». قالت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: «لأنه قتله أهل الكتاب» أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم.

(٤) كما في الحديث المتفق عليه واللفظ للبخاري عن عطاء بن أبي رباح ؓ قال: قال لي ابن عباس: ألا

أمّا غير هؤلاء فلا نشهد لأحدٍ بالجنة، ولا نشهد على أحدٍ بالنار^(١) ولا نقطع لأحدٍ بإحدى المنزلتين، ولكنّا نرجو للمطيع ونخاف على العاصي.
وحقُّ الصحابة: الترضي عنهم، وحقُّ الأنبياء: الصلاة والسلام عليهم، وحقُّ غيرهم: الترحم إذا كان من أهل الخير والصلاح، والترحم على المسلمين عموماً، هذه هي طريقة أهل السنة.

ويجوز أن نصلي على الآل والصحب تبعاً لرسول الله ﷺ إذا صلينا عليه، ولا يجوز أن نفرد أحداً بالصلاة والتسليم عليه، هذا في الشعار المتداول بين المسلمين؛ لأنّ الصلاة والسلام من خصائص الأنبياء، والترضي من خصائص الصحابة، وسائر الناس يدعى لهم بالرحمة.

قوله: (ولا نفرد بالصلاة على أحدٍ إلّا رسول الله ﷺ فقط).

أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: «إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك». فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي ألا أتكشف، فدعا لها.
والحديث أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح، ومسلم في كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها.
(١) كما في حديث أم العلاء حين سمعها النبي ﷺ وهي تقول لعثمان بن مظعون رضي الله عنه حين مرض ومات: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لي النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمهم؟»، فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «أما عثمان فقد جاءه والله اليقين، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به». قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً. وفي رواية: «والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي» رواه البخاري في كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه وفي كتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات والتعبير باب رؤيا النساء وباب العين في المنام وقد ورد النهي عن أن يقال فلان شهيد كما في صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير.

أقول: يجوز أن نصلي على الآل والصحب تبعاً كما تقدم، ولا يجوز أن نعمل ذلك مع أحدٍ منهم بالانفراد، ونعتقد أن من يخصُّون علياً بالصلاة والسلام عليه أنهم مبتدعة. أمّا إن أراد أحدُ الدعاء فقال لأخيه وصاحبه: رضي الله عنك، فإنَّ ذلك يجوز على سبيل الدعاء في الحالات النادرة لا أن يتخذ شعاراً.

قوله: (وتعلم أن عثمان قُتِلَ مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً). لا شك أن ذلك هو الذي ينبغي اعتقاده في قتل عثمان، وأنَّ الخوارج الذين قتلوه كانوا ظالمين له خارجين عليه يُعدُّون من المبتدعة. قوله: (فمن أقرَّ بما في هذا الكتاب، وآمن به، واتخذه إماماً، ولم يشك في حرفٍ منه ولم يجحد حرفاً منه؛ فهو صاحبُ سنةٍ وجماعةٍ كامل قد كملت فيه الجماعة، ومن جحد حرفاً مما في هذا الكتاب أو شكَّ في حرفٍ منه أو شكَّ فيه أو وقف فهو صاحب هوى). وأقول: قد سبق أن قال البربهاري رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى مثل هذا أو قريباً منه في كتابه هذا^(١)، وقلت: ليته لم يقل هذا الكلام، فإنَّ هذا الوصف لا يجوز أن يقال إلّا في القرآن. أمّا ما كتبه أحد من الناس فلا ينبغي أن يوصف بهذا الوصف؛ لأنَّ جعلنا العصمة لكتابه من الخطأ، وهذا غير صحيح، فقوله هذا فيه مبالغة عظيمة باطلة. وقد قال الإمام مالك: كلُّ يؤخذ من قوله ويرد إلّا صاحب هذا القبر، وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ^(٢).

(١) انظر إليه في شرح المتن في ص ٢٠٧ من متون هذا الكتاب القيم.

(٢) قال الإمام الألباني رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى في صفة صلاة النبي ﷺ ص ٤٩: نسبة هذا «ليس أحدٌ بعد النبي ﷺ إلّا ويؤخذ من قوله ويترك إلّا النبي ﷺ» إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين وصححه عنه ابن عبد الهادي في إرشاد السالك ١/٢٢٧، وقد رواه ابن عبد البر في الجامع ٩١/٢، وابن حزم في أصول الأحكام ١٤٥/٦ و١٧٩ من قول الحكم بن عتيبة ومجاهد، وأورده تقي الدين السبكي في الفتاوى ١٤٨/١ من قول ابن عباس متعجباً من حسنه، ثمَّ قال وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد، وأخذهما منهما مالك رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى، واشتهرت عنه.

وكان ينبغي له ألا يبالغ هذه المبالغة ولا يصف كتابه بهذا الوصف الذي لا يوصف به إلا كتاب الله، وأنه لا شك أن عمله هذا خطأ، فإنه قد سوى كتابه هذا بالقرآن. ونحن معه نقول: إن من شك أو جحد حرفاً من القرآن أو في شيء جاء عن رسول الله ﷺ من طرق صحيحة لا شك فيها؛ فإنه إذا كذب بشيء من ذلك لقي الله مكذباً بذلك الأمر الذي كذب به.

وسنة رسول الله ﷺ لا يجوز جحدها، ولا القدح فيها، ولا ضرب الأمثال لها، ولكن لا نقول ذلك إلا فيما صح عنه صحة لا شك فيها. أما غير ذلك فإنه يحتمل الصحة وغيرها، ولو كان الأمر على ما تكلم به المحدثون في بعض الأحاديث.

فقله له: (أو في شيء جاء عن رسول الله ﷺ) كان ينبغي أن يقيد بما صح. قوله: (لقي الله مكذباً) أي: بما كذب به، وليس بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ. قوله: (فاتق الله، واحذر، وتعاهد إيمانك) هذا حق ونحن معه فيه.



قلت -أي الألباني رَحِمَهُ اللهُ-: ثم أخذها عنهم الإمام أحمد؛ فقد قال أبو داود في مسائل أحمد ص ٢٧٦ سمعت أحمد يقول: ليس أحدٌ إلا يؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي ﷺ. اهـ

وَمِنَ السُّنَّةِ ^(١) أَلَّا تُطِيعَ أَحَدًا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا الْوَالِدَيْنِ ^(٢) وَالْخَلْقَ جَمِيعًا، لَا طَاعَةَ لِبَشَرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا يُحِبُّ عَلَيْهِ أَحَدًا، وَآكْرَهُ ذَلِكَ كُلُّهُ لِلَّهِ [١].
وَالْإِيمَانُ بِأَنَّ التَّوْبَةَ فَرِيضَةٌ عَلَى الْعِبَادِ، أَنْ يَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ ^(٣) عَجَلًا مِنْ كَبِيرِ الْمَعَاصِي وَصَغِيرِهَا [٢].

[١] وأقول: قد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» ^(٣)؛ فمن أمرك بمعصية فلا تطعه فيها حتى ولو كان أبوك أو أمك.
قوله: (ولا يحب عليه أحدًا، وآكره ذلك كله) أي لا تحب أحدًا وأنت ترى عليه آثار المعصية بادية، وأوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله ^(٤).
وأقول: إنَّ الحب في الله والبغض في الله أمرٌ واجب لا يتم الإيمان إلا به، ولكنه يختلف من شخص إلى شخص، ومن حالة إلى حالة؛ فمن عرفت منه الاستقامة على الشريعة والبعد عن مخالفتها وجب عليك أن تحبه بكل قلبك، ومن كان عنده أصل الإسلام وعنده مخالفات كبائر أو صغائر، فعليك أن تحبه بقدر ما فيه من أصل الإسلام، وتبغضه على ما عنده من المخالفة، هذا هو الواجب على كل شخص، وبالله التوفيق.
[٢] هذا ظاهر الأوامر الربانية كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ لِلَّهِ النَّاسُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحریم: ٨]. فقد نادى الله المؤمنين باسم الإيمان، وأمرهم بالتوبة

(١) وفي نسخة الراددي: (ألا تعين أحدًا).

(٢) وفي نسخة الراددي: (ولا أولي الخير).

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) وقد أخرج الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج ١/ ٤٩٧ برقم ٢٥٣٩ بلفظ: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله عَجَلًا»، ثم قال: أخرجه طب عن ابن عباس وأشار إلى تخريجه في الصحيحة برقم ١٧٢٨ عن ابن مسعود في مسند الطيالسي وك وطب وأخرجه حم وابن أبي شيبة وابن نصر عن البراء بن عازب رضي الله عنه.

إليه توبةً نصوحاً؛ أي: توبةً خالصةً لا يشوبها شك ولا رياء، ولا يقصد منها غرض من الأغراض الدنيوية القاصرة، وإنما يكون المقصود منها التوبة التي تجب ما قبلها وتكون نافعةً لصاحبها، وفي الآية الأخرى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وفي الحديث عند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله؛ فإنني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»^(١).

وقال النبي ﷺ: «الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح»^(٢). رواه مسلم.

وبالجملة: فإن التوبة واجبة من كل المعاصي حتى يلقي العبد ربه وهو طاهر نظيف أو يحمل حملاً خفيفاً، وبالله التوفيق.



(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمته الله في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في أول كتاب التوبة وأخرج نحوه الإمام البخاري في كتاب الدعوات باب التوبة قال قتادة: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ الصادقة الناصحة.

وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ؛ فَهُوَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، وَضَلَالَةٍ، شَاكٌّ فِيمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ لَزِمَ السُّنَّةَ وَسَلِمَ مِنْهُ أَصْحَابُ^(١) رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ مَاتَ، كَانَ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، وَإِنْ قَصَرَ فِي الْعَمَلِ^(٢). وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ رَحِمَهُ اللَّهُ: - «السُّنَّةُ هِيَ الْإِسْلَامُ، وَالْإِسْلَامُ هُوَ السُّنَّةُ»^(٣). وَقَالَ فَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ فَكَأَنَّمَا أَرَى رَجُلًا مِنَ الْمُنَافِقِينَ»^(٤). وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «الْعَجَبُ مِمَّنْ يَدْعُو الْيَوْمَ إِلَى السُّنَّةِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ الْمُجِيبُ إِلَى السُّنَّةِ»^(٥). وَكَانَ ابْنُ عَوْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ عِنْدَ الْمَوْتِ: «السُّنَّةُ السُّنَّةُ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ، حَتَّى مَاتَ»^(٦) [١].

[١] وأقول: في هذه الفقرة قرر المؤلف أنَّ مَنْ لَمْ يَشْهَدْ لِمَنْ شَهِدَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْجَنَّةِ فهو صاحب بدعة وضلالة، شاكٌّ فيما قال رسول الله ﷺ، وإنَّ الواجب على العبد تصديق رسول الله ﷺ فيما أخبر به مع اليقين أنَّ كل ما قاله على طريق التشريع فهو وحي من الله ﷻ.

وأهل السنة يثبتون الجنة لمن أثبتها له رسول الله ﷺ، ويتيقنون بقلوبهم أنَّ كل ما يقوله - صلوات الله وسلامه عليه - من الغيبات فهو واقعٌ كما أخبر لا يتخلف أبدًا.

(١) وفي طبعة ذكرها الشيخ الراددي: (أصهاري).

(٢) لم أجد تخريجه.

(٣) لم أجد تخريجه.

(٤) لم أجد تخريجه.

(٥) وفي نسخة الراددي زيادة فيقبل؛ والأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢١/٣) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٠) واللالكائي في السنة (٢١، ٢٢، ٢٣) بإسناد حسن كما أشار إلى ذلك الشيخ الراددي

- حفظه الله -.

(٦) لم أجد تخريجه.

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: «مَاتَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَرُئِيَ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ: قُولُوا لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ: عَلَيْكَ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي رَبِّي ﷺ عَنْ السُّنَّةِ»^(١). وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ مَاتَ عَلَى السُّنَّةِ مَسْتُورًا فَهُوَ صَدِيقٌ، الْاِعْتِصَامُ بِالسُّنَّةِ»^(٢) نَجَاةً. وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ أَصْغَى بِأُذُنِهِ إِلَى صَاحِبِ بَدْعَةٍ خَرَجَ مِنْ عِصْمَةِ اللَّهِ، وَوُكِّلَ إِلَيْهَا». يَعْنِي: إِلَى الْبِدْعِ^(٣) [١].

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤].

ثم في الآثار التي حكاها أمر بلزوم السنة واتباعها، والإيمان بها وعدم مخالفتها. وفي ذلك إخبار بأن أصحاب السنة هم يعتبرون العلماء والعظماء وإن حصل من بعضهم تقصير في العمل، فاتباعهم لرسول الله ﷺ واقتفاؤهم لآثاره، وعملهم بها ظاهراً وباطناً، وتعظيمهم لها سرّاً وعلناً هو دليل على أنهم هم أهل الحق، ومن عداهم من أهل البدع فهو على خطر عظيم وإن اجتهد في العمل، وبالله التوفيق.

[١] قوله: (وقال أحمد بن حنبل: مات رجل من أصحابي فرئى في المنام؛ فقال: قولوا لأبي عبد الله: عليك بالسنة، فإن أول ما سألني ربي ﷺ عن السنة).

أقول: الرؤيا التي ذكرت لأبي عبد الله لعلها من الرؤيا الصالحة، وإن الاعتصام بالسنة والمتابعة لها والعمل بها، والموالاة عليها والمعاداة من أجل تركها، والحب لأصحابها وحملتها، والبغض لمن أعرض عنها هذا من المأمورات التي تطابق عليها نصوص الكتاب والسنة.

والله ﷻ أمر بتعظيم نبيه، وتعظيم ما جاء به نبيه ومتابعته، والعمل عليه؛ فقال -جل من قائل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلَّمُوا أَنَّ

(١) لم أجد تخريجه.

(٢) انظر سير أعلام النبلاء ج ٥ (الزهري) رَحِمَهُ اللَّهُ البداية والنهاية ج ٩/ سنة ١٢٤ الزهري (تخريج الشيخ أحمد الحكيمي).

(٣) الأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦، ٣٤) وابن بطّة في الإبانة الكبرى (٤٤٤).

اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَتَقُوا فَتَنَةَ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ [الأنفال: ٢٤-٢٥].

وقال -جل من قائل -: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْمَقْتُلُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٢٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [النور: ٤٨-٥٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١-٥٢].

والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦] إلى غير ذلك من الآيات. والنبى ﷺ يقول: «تركتم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك...».

ويقول: «فعلیکم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(١). ويقول ﷺ: «نُصِرَ اللهُ امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإن الدعوة تحيط من وراءهم»^(٢).

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي واللفظ له رَحِمَهُ اللهُ فِي كِتَابِ الْعِلْمِ بَابِ مَا جَاءَ فِي الْحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ، وَأَخْرَجَ بَنَحْوِهِ الْإِمَامُ ابْنُ مَاجَهَ فِي الْمَقْدَمَةِ بَابِ مَنْ بَلَغَ عِلْمًا، وَأَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي مَسْنَدِ الْمَدَنِيِّينَ بِرَقْمِ ١٦١٣٨ وَ ١٦١٥٣، وَالْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فِي الْمَقْدَمَةِ أَيْضًا بَابِ الْاِقْتِدَاءِ بِالْعُلَمَاءِ، وَالحديث أشار الألباني رَحِمَهُ اللهُ إِلَى تَصْحِيحِهِ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ ج ٢/ ١١٤٥ بِرَقْمِ ٦٧٦٦ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ أَبِيهِ، وَجَبْرِ بْنِ مَطْعَمٍ وَمِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

ويقول: «بلغوا عني ولو آية»^(١).

إلى غير ذلك مما ورد في السنة؛ أي: في الحث على تعلمها وحملها، وإبلاغها إلى الغير، وفي ضمن ذلك وعيد لمن أعرض عنها؛ قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].
وتبين من هذه الآيات والأحاديث وجوب اتباع سنة النبي ﷺ والرغبة فيها، واليقين بأنها خير سبيل.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ١٨-١٩]. وما عظم سنة رسول الله ﷺ أحد إلا عظمه المؤمنون، وما أعرض عنها وزهد فيها أحد إلا كان حرياً أن يهينه الله ويخزيه ويذله.

نسأل الله أن يجعلنا من المعظمين لها، المتبعين لأوامرها، والمجتنبين لزواجرها، والمصدقين لأخبارها، والمشتغلين بها في جل أوقاتنا، وبالله التوفيق.
ومن هذا تعلم أن هذه الرؤيا وافقت ما أمر الله به في كتابه وما أمر به رسوله ﷺ في سنته.

وقال أبو العالية الرياحي، تابعي من كبار التابعين لقي جل الصحابة، وقرأ عليهم وتعلم السنن منهم: «من مات على السنة مستوراً فهو صديق، والاعتصام بالسنة نجاة». وهذا القول أيضاً يعتبر من الحث على اتباع السنة كما، أن قول سفيان الثوري: من أصغى بإذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله، ووكّل إليها يعني البدعة، وهذا القول

جميعاً-.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ فِي كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

من الأقوال التي تزجر عن الركون إلى البدع وأهلها، والإصغاء إلى أصحابها، فليس ذلك شأن المؤمنين ولا طريقتهم.

وَقَالَ دَاوُدُ بْنُ أَبِي هِنْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَوْحَى اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- إِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَجَالِسْ أَهْلَ الْبِدْعِ، فَإِنْ جَالَسْتَهُمْ تَحَاكَ^(١) فِي صَدْرِكَ شَيْءٌ مِمَّا يَقُولُونَ أَكْبَبْتَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ» [١].^(٢)

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ لَمْ يُعْطَ الْحِكْمَةَ»^(٣).
وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «لَا تَجْلِسْ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ»^(٤).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ أَحَبَّ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَأَخْرَجَ نُورَ الْإِسْلَامِ مِنْ قَلْبِهِ»^(٥).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ، فَجَزُ فِي طَرِيقٍ غَيْرِهِ»^(٦).

(١) وفي نسخة الراددي: (فحاك في صدرك).

(٢) قال الشيخ الراددي -وفقه الله-: أخرج ابن وضاح في البدع نحوه (ص ٤٩) نحوه عن محمد بن أسلم، وأخرج الآجري في الشريعة (ص ٥٧)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٥٦) نحوه عن خفيف بن عبد الرحمن الجزري. اهـ.

(٣) قال الشيخ الراددي الأثر: (أخرجه اللالكائي في السنة ٢٦٣، ١١٤٩)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٣٩) وإسناده حسن. اهـ.

(٤) وقال: أخرجه اللالكائي في (٢٦٢) وابن بطة (٤٤١، ٤٥١) وإسناده حسن. اهـ.

(٥) وقال: وأخرجه اللالكائي (٢٦٣)، وابن بطة (٤٤٠)، وأبو نعيم في الحلية (٨/١٠٣)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص ١٦) وإسناده صحيح. اهـ.

(٦) وقال: (أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/١٠٣)، وابن بطة (٤٩٣)، وابن الجوزي في تلبيس إبليس =

[١] هذا القول فيه مبالغة، ولعله مما أخذ من التوراة. انتهى.

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بَدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ»^(١)، وَمَنْ تَبَسَّمَ فِي وَجْهِ مُبْتَدِعٍ؛ فَقَدْ اسْتَخَفَّ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ مُبْتَدِعٍ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا، وَمَنْ تَبَعَ جَنَازَةَ مُبْتَدِعٍ لَمْ يَزَلْ فِي سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ حَتَّى يَرْجَعَ»^(٢).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ جَلَسَ مَعَ صَاحِبِ بَدْعَةٍ وَرِثَةُ الْعَمَى». وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «أَكُلْ مَعَ يَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ وَلَا أَكُلْ مَعَ مُبْتَدِعٍ، وَأَحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بَدْعَةٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ»^(٣).

وَقَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «إِذَا عَلِمَ اللَّهُ مِنَ الرَّجُلِ أَنَّهُ مُبْغِضٌ لِصَاحِبِ بَدْعَةٍ؛ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ»^(٤)، وَلَا يَكُنْ صَاحِبُ سُنَّةٍ يَمَالِي صَاحِبَ بَدْعَةٍ إِلَّا نِفَاقًا»^(٥)، وَمَنْ

(ص ١٦) وإسناده صحيح).

(١) قال الشيخ القحطاني: (ورد في الحديث: مَنْ وَقَّرَ صَاحِبَ بَدْعَةٍ فَقَدْ أَعَانَ عَلَى هَدْمِ الْإِسْلَامِ؛ أخرجه البيهقي في الشعب مرسلاً قال الشيخ الألباني: وقد روي موصولاً ومرفوعاً من طرق كثيرة... قد يرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن. انظر المشكاة ١/٦٦ ح ١٨٩ وقال الشيخ الراددي: وجاء هذا المعنى مرفوعاً عن النبي ﷺ بيد أنه ضعيف لا يصح كما بينه الشيخ الألباني - حفظه الله - في السلسلة الضعيفة رقم ١٨٦٢. اهـ

(٢) قال الشيخ الراددي: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٨/١٠٣)، وابن الجوزي في تلبس إبليس (ص ١٦) إلى قوله: فقد قطع رحمها، وإسناده صحيح، وليس عندهما أيضاً قوله: (ومن تبسم...). اهـ

(٣) قال: (أخرجه اللالكائي (١١٤٩)، وأبو نعيم (٨/١٠٣)، وأخرج ابن بطة (٤٧٠) الشطر الثاني منه وإسناده حسن). اهـ

(٤) قال الراددي: (أخرج هذا الشطر: أبو نعيم في الحلية (٨/١٠٣) بإسناد صحيح، وعنده رجوت أن يغفر له). اهـ

(٥) قال: (أخرج نحوه أبو نعيم (٨/١٠٤) بإسناد صحيح، وأخرج ابن بطة بلفظه (٤٢٩) بإسناد لا بأس

أَعْرَضَ بِوَجْهِهِ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ، مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ إِيمَانًا، وَمَنْ انْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ آمَنَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ، رَفَعَهُ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، فَلَا تَكُنْ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي اللَّهِ أَبَدًا»^(١) [١].

[١] قَوْلُهُ: (وقال الفضيل بن عياض: من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة).
هذا أيضًا من الزجر عن مجالسة أصحاب البدع، ومن بعض عقوبات من جالسهم.
وقَوْلُهُ: (وقال الفضيل بن عياض: لا تجلس مع صاحب بدعة، فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ).

أَقُولُ: هذا من الزجر عن مجالسة أهل البدع، فَإِنَّهُ لَا يُؤْمَنُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ بِسَبَبِ بَدْعِهِمْ، فَيَكُونُ مَنْ حَضَرَ مَعَهُمْ مِنْ أَهْلِ السَّنَةِ لَهُ نَصِيبٌ مِنْ تِلْكَ اللَّعْنَةِ، كَمَا أَنَّ مَنْ حَضَرَ مَجَالِسَ الْخَيْرِ وَمَجَالِسَ السَّنَةِ وَمَجَالِسَ الْحَقِّ، مَنْ حَضَرَ هَذِهِ الْمَجَالِسَ فَإِنَّ لَهُ نَصِيبًا مِنْ خَيْرِهَا.

وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطَّرِيقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَيْنَا حَاجَتُكُمْ، قَالَ: فَيَحْفَوْنَهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا. قَالَ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟»

قالوا: يقولون يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك، ويمجدونك.

قال: فيقول: هل رأوني؟

به). اهـ

(١) انظر كنز العمال ج ٣/ الاكمال من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم ٥٥٩٨ و ٥٥٩٩، وتاريخ بغداد (١٠/ ٢٦٣)، والفردوس (٣/ ٥٦٧)، ومسند الشهاب (١/ ٣١٨، ٣١٩) و (١/ ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨) - تخريج الشيخ أحمد الحكمي -.

قال: فيقولون: لا والله ما رأوك.

قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟

قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدًا وتحميدًا وأكثر لك تسبيحًا.

قال: يقول: فما يسألوني؟

قال: يسألونك الجنة.

قال: يقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها.

قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟

قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة.

قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار.

قال: يقول: وهل رأوها؟

قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها.

قال: يقول: فكيف لو رأوها؟

قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة.

قال: فيقول: فأشهدكم أنني قد غفرت لهم.

قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة.

قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم^(١) متفق عليه.

فكما أن من جالس أهل السنة فإنه لا يشقى بمجالستهم، بل ينال خيرًا من ذلك،

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رَحِمَهُ اللهُ واللفظ له في كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار في باب فضل مجالس الذكر.

فكذلك من جالس أصحاب البدعة فإنه يناله نصيبٌ من السخط الذي ينزل عليهم.
نسأل الله أن يعصمنا من البدع، وأن يجعلنا من المتبعين للسنن والمبتعدين عن
البدع.

وقوله: (من أحبَّ صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه).

هذا فيه زجرٌ أيضًا من محبة أصحاب البدع، وإنَّ محبة أصحاب البدع على ما
عندهم من البدع أمرٌ يخالف ما أمر الله به، فلذلك لعلَّه يتعرض لإحباط العمل أو شيءٍ منه،
ولعلَّه يتعرض لإطفاء جذوة الإيمان من قلبه، وضعف نور الإيمان فيه، وبالله التوفيق.
وقوله: (من جلس مع صاحب بدعة في طريقٍ فجز في طريقٍ غيره).
بمعنى أنك تجاوز عنه وابتعد عنه، ولعل الصواب إذا جلس صاحب بدعته في طريق
فجز في طريق غيره.

وقوله: (قال الفضيل بن عياض: من عظمَّ صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام،
ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله وَعَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، ومن زوج كريمته
مبتدعًا فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع، وقال
الفضيل بن عياض: أكل مع يهودي أو نصراني، ولا أكل مع مبتدع، وأحب أن يكون بيني
وبين صاحب بدعة حصنٌ من حديد).

وأقول: هذا من الزجر عن معاشرة المبتدع والأكل معه، واتباع جنازته إذا مات،
والنهي عن تزويجه على كريمته، والانبساط إليه، كل ذلك منهئٍ عنه، وهو من الزجر عن
معاشرة المبتدع كما قلنا.

قوله: (وقال الفضيل بن عياض: إذا علم الله وَعَلَّمَ من الرجل أنه مبغض لصاحب بدعة
غفر له، وإن قلَّ عمله، ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا نفاقًا).
يعني: أن ممالئة السني للبدعي تعتبر من النفاق؛ لأن الأصل أن صاحب السنة يجب
أن يبغض المبتدع ويبغض عمله.

وقوله: (ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيماناً، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة؛ فلا تكن صاحب بدعة في الله أبداً).

معنى ذلك: لا تصاحب صاحب البدعة، ولا تؤاخيه في الله.

وأقول: إن بعض هذا الكلام فيه نظر؛ فرفعة الدرجات في الجنة لا تكون إلا عن توقيف، وعلى العموم فالزجر حاصل عن مصاحبة أصحاب البدع والرضا بعملهم. نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة، وأن يعيدنا من البدع صغيرها وكبيرها. والحمد لله على الانتهاء من شرح هذا الكتاب. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



الخاتمة

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد ﷺ وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً كثيراً دوام الليل والنهار.

ثمّ أمّا بعد:

إن كان لي من مقالٍ في ختام هذا الشرح البهي لشيخنا النجمي، والذي أشكر الله فيه أولاً وآخرًا على ما منّ به من إتمام تبييض هذا الشرح البديع لشيخنا والدنا الشيخ أحمد بن يحيى النجمي رَحِمَهُ اللهُ، والذي أجاد في شرح هذا المتن وأفاد فجزاه الله خيرًا، وأسأل الله أن يشبهه على ذلك أعظم ثواب.

وأحمد الله تعالى على أن قمت بتبييضه، وعزو الآيات التي فيه إلى مظانها من السور وتخريج الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة، والإحالة على آثار السلف التي ذكرت في ثنايا هذا البحث إلى مراجعها من الكتب إن وجدت لها مصدرًا، وإن كان المقام يحتاج إلى توضيح فائدة وضحتها بقدر الاستطاعة: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا﴾.

ثمّ أكرر شكري وتقديري إلى كلّ من كانت له يدٌ طولى في مساعدتي لإخراج هذا الشرح الرائع بأجمل هيئة، وأبهى صورة، وأبى الله أن تكون العصمة إلا لرسوله ﷺ فإن وجد القارئ خطأً في هذا الكتاب فلا يبخل بتوضيحه وبيانه، فالكمال عزيز والله المستعان. وأخيرًا: نرجوا الدعاء بظهر الغيب للماتن البربهاري بالرحمة والمغفرة من الله، ولشارحه شيخنا النجمي ولكاتب الأسطر ولجميع من ساهم في إنجاز هذا الكتاب الجليل القدر ولبقية المسلمين بالهداية والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه ونسأله تعالى أن يختم لنا جميعًا بخاتمة السعادة، وأن نكون من أهل الجنان والفائزين برضا الكريم الرحمن وأن

ننجوا جميعاً من عذاب الله في دار البؤس والجحيم.
وصلّى الله وسلّم على خاتم النبيين والمرسلين وعلى أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سطرها المعلم

حسن بن محمد بن منصور دغريري

٦ / ١١ / ١٤٢٢ هـ

الفهرس

المقدمة	٥
ترجمة الماتن الإمام البريهاري	١٠
اسمه، وكنيته، ونسبه:	١٠
موطنه، ونشأته:	١٠
هيئته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه:	١١
زهده وورعه:	١٢
تلاميذه:	١٢
بعض أقواله:	١٣
مصنفاته:	١٤
محنته ووفاته:	١٤
ترجمة شارح المتن	١٧
نص كتاب شرح السنة للبريهاري	٢٥
أهمية لزوم الجماعة	٢٥
السواد الأعظم	٤٧
ليس في السنة قياس	٦١
ربنا أول بلا متي، وآخر بلا متهي	٦٤
الإيمان قول وعمل ونية	٩٥
السمع والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى	٩٩

- ١١٠ لا طاعة لبشر في معصية الله
- ١١٢ أحكام المسلمين في الدنيا
- ١٢٠ الصلاة على من مات من أهل القبلة
- ١٢٥ التفويض
- ١٢٩ لا نكاح إلا بولي
- ١٣١ لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث
- ١٣٣ الإيمان بالقصاص يوم القيامة
- ١٤٤ لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله
- ١٤٦ الطاعن على الآثار متهم على الإسلام
- ١٥٠ الإيمان بحديث الإسراء
- ١٥٧ لا يحل كتم النصيحة
- ١٦٢ علم الكلام سبب البدعة والزندقة
- ١٧٦ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة
- ١٨٤ من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي
- ١٨٦ الخليفة المتوكل أطفأ الله به البدع
- ١٩٨ أصول البدع أربعة
- ٢٠٥ التحذير من قتال الفتنة
- ٢٢٦ علامة أهل البدع وعلامة أهل السنة
- ٢٣٢ علامة الخارجي والمعتزلي
- ٢٣٥ إذا رأيت الرجل مع أهل الأهواء فاحذر منه
- ٢٤٦ من علامة الجهمي
- ٢٥٣ أربعة أهواء هي أصل الفرق
- ٢٦٠ العشرة المبشرون بالجنة

بعض الآثار الواردة في وجوب لزوم السنة والنهي عن البدعة ومجالسة أصحابها	٢٦٦
الخاتمة	٢٧٦
الفهرس	٢٧٨

